بسم الله الرحمن الرحيم

العنفوان الخالد

استقراء لأهم آثار الإمام الحسين عليه السلام الاجتماعية

حيدر العريضي

الإهداء....

يا من تسامى بجوده وجهاده...
وكان للفضل أباً وللفداء رمزا...
يا حامل لواء أَبي الأحرار...
يا ابن الوصي نسباً وسيرة...
سيديِ... يا أبا الفضل العباس
أُهديك ما أظنّه سبباً لسرورك
وأرجو من اللهﷻ القبول ومنك الرضا

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ الكهف-٩

وصَوْنًا لمجدكَ منْ أَنْ يُذَالِ بما أنتَ تأباهُ منْ مُبْدِعِ
فيا أيُّها الوِتْرُ فِي الخالدين فَدًا، إلى الآنَ لَم يشْفَعِ

الشاعر- محمد مهدي الجواهري

المقدمة

تتفاوت درجات الخلود بالنسبة لكلّ إنسانٍ شدّةً وضعفاً، ومرد هذا التفاوت يعود الى حيثيات منشأه وعلّة حصوله، فربَّ عالمٍ بأمور الدنيا يبتكر وسيلةً يسعد الناس استخدامها في تيسير شؤون حياتهم، وربَّ مفكرٍ ينير درب السالكين سبيل العلم برؤيته وحكمته، فكلُّ طاقة موجبة تصدر عن عالمٍ بحسب تخصصه تعدُّ سبباً لخلوده ما دامت فاعلةً في خدمة البشرية، وأما إن كان ذلك العطاء متواصلاً لا ينضب من حيث الدوام والشمولية لعوامل سعادة الانسان في دنياه الزائلة موصولاً بآخرته الباقية، فهو العطاء الخالد حقّاً الذي لا عطاء ينافسه، ولا نفع يجاري قدره.

لقد مرَّ بخاطري حين قراءتي لكتب سيرة الإمام الحسين عليه السلام عوامل كثيرة أختص بها صاحب تلك السيرة العطرة لتكون سبباً في خصوصية تخليد ذكراه، وإحياء أمر نهضته الكبرى كلَّ عامٍ في ضمير الأمة التي أنجبت الأحرار، فدار في خلدي أن أجمع تلك الآثار المتناثرة في القراطيس كاللآلئ، وتكون في كتابٍ يرشد قارئه إلى أهمِ آثار الإمام الحسين عليه السلام التي سطر ملاحمها في حياته، وما تركه عليه السلام من أرث معنوي بعد شهادته في أرض كربلاء.

وعلى ضوء ما تبلور من أفكارٍ أنقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول بحسب ما اقتضته الغاية من جمعه وبيانه، فكان لمفاهيم عنوان الكتاب نصيبٍ في الفصل الأول؛ ليكون ممهداً في إدراك مطالب الكتاب الأساسية، ثُمَّ تناولت في الفصل الثاني أهم آثار الإمام الحسين عليه السلام في حياته (قبل شهادته) مثل آثاره الثقافية والفكرية والأخلاقية، ثُمَّ كان الختام بمسك آثاره عليه السلام بعد شهادته من كرامة نطق الرأس الشريف مروراً بأثرِ تضحيته في سمات الثائرين من بعده، وحتى آثار نصوص زيارته في عقيدة المؤمنين.

بعد هذا الجهد المتصاغر أمام عظمة صاحب تلك الآثار أساله تعالى القبول الحسن، وأن يرزقنا شفاعته يوم الورود، والحمد لله ربِ العالمين وأفضل صلواته على نبيه الأكرم محمد وعلى آله الطاهرين.

مشكلة البحث

كيف ترك الإمام الحسين عليه السلام تلك الآثار العظيمة في نفوس الأحرار؟ وهل اقتصرت آثاره عليه السلام في حياته أم تعدتها الى ما بعد شهادته عليه السلام؟ وما هو المنهج الذي سلكه عليه السلام في سبيل تحقّق ذلك الخلود؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في ضرورة بلورت الأفكار النافعة حول أعظم فداء للإسلام، وجمعها في منهجٍ قويمٍ يرصد مواطن النهوض والخلود.

غاية البحث

يهدف البحث إلى اظهار صورة كاملة عن أهم أسباب خلود الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة؛ لأجل اظهار آثار ذلك القدوة الحسنة لكل من يريد سلوك سبيل التحرر والنجاة.

منهج البحث

سلكت المنهج الوصفي للسيرة العطرة، مع إضفاء صبغة التحليل لبعض المطالب.

الفصل الأول- بحوثٌ تمهيدية

المبحث الأول- علم الاجتماع -مفهوماً ونبذة تأريخية ومدارس-

المطلب الأول- مفهوم علم الاجتماع

المطلب الثاني- نبذة تأريخية

المطلب الثالث- مدارس علم الاجتماع

المبحث الثاني- النظرة الغربية للسلوك الانساني

المطلب الأول- مصادر المعرفة في العالم المادي

المطلب الثاني- معالم النظرية التجريبية وآثارها الاجتماعية

المطلب الثالث- ملامح النظرية العقلية ونتائجها الاجتماعية

المبحث الثالث- الرؤية الاسلامية للسلوك الانساني

المطلب الأول- مصادر المعرفة في العالم الإسلامي

المطلب الثاني- العلوم الاجتماعية في الفكر الاسلامي

المطلب الثالث- المعرفة الاجتماعية في الوحي الالهي وأثرها

الفصل الأول- بحوثٌ تمهيدية

تنقسم هذه البحوث إلى ثلاثة أقسام ولكُلّ منها ثلاثة مطالب يسبقها استهلال لاستعراض معاني مفردات العنوان اللغويةً.

استهلال- المعاني اللغوية والاصطلاحية

(العنفوان-الخالد-الأثر)

١- العنفوان

العنف لُغةً: ضد الرفق. عنف يعنف عنفاً فهو عنيف. وعنفّته تعنيفاً، وجدت له عليك عنفا ومشقة. وعنفوان الشباب: أول بهجته.[١]

ويجوز أن يكون الأصل فيه أنفوان من ائتنفت الشيء واستأنفته إذا اقتبلته فأقبل إذا ابتدأته، فقُلبت الهمزة عينا فقيل عنفوان، والعنفوان: ما سال من العنب من غير اعتصار كالعسل. والعنفوة: يبيس النصي وهو قطعة من الحلي.[٢]

اذاً العنفوان في اللغة يعني: ما تجدد من الشباب، وغلوة الشباب في موجة شبابه في إشارةٍ الى الطاقة والحيوية.

٢- الخالد

الخلد: من أسماء الجنان، والخلود: البقاء فيها، وهم فيها خالدون، وأخلد فلان إلى كذا أي: ركن إليه ورضي به. والخلد: البال، تقول: ما يقع ذلك في خَلدي، وتسمى الجبال والحجارة خوالد.[٣]

---

[١] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢، ص١٥٧.
[٢] ابن منظور: محمد ين مكرم، لسان العرب، ج٩، ص٢٥٧-٢٥٨.
[٣] الفراهيدي، مصدر سابق، ج٤، ص٢٣١.

٣- الأثر

الأثر: بقية ما ترى من كلّ شيء، وما لا يرى بعد ما يبقى علقة.

والإثر: خلاص السمن. وأَثر السيف: ضربته. وذهبت في إثر فلان، أي: استقفيته.[٤]

وأثر الرجل: أثر قدمه في الأرض، وكذلك أثر كلِّ شيء، وأثرت الحديث آثره أثراً فهو مأثور، إذا رويته[٥].

إذاً الأثر هو كلُّ أمارةٍ على شيء، أو دليل على جريان الحوادث، والشاهد على وقوعها فعلاً.

---

[٤] الفراهيدي، الخليل بن احمد، ج٨، ص٢٣٦.
[٥] ابن دريد، محمد بن الحسن اليزدي، جمهرة اللغة، ج٢، ص١٠٣٥.

المبحث الأول- علم الاجتماع -مفهوماً ونبذة ومدارس-

توطئة

علم الاجتماع علم واسع يهتمُّ بدراسة السلوك الانساني وما يتعلّق به من شؤون الحياة والطبيعة، وقد اختلفت المدارس العلمية بتحديد ماهيته، ونطاق معرفته بين مقيّد لها بالتجربة والحس (المادي)، وآخر يتوسع في معرفته بعلم الفلسفة والدين (الماورائي).

إن مرجع الاختلاف بين المدارس الاجتماعية يعود بطبيعته الى المنطلقات الثقافية لرواد تلكم المدارس، فمن كانت بيئته ترفض الواقع الديني متأثّرة بالتطور التقني المتولد من التجارب العلمية والمعطيات الحسية، تجده يستغني بالرفاهية الدنيوية وزخرفها منخدعاً ببهرجتها، والذي تكون بيئته دينية يسعى للكمال الجامع بين رفاهية حياته الدنيا باستثمار حواسه وتجاربه، وبين سعادته في دار الآخرة باتباع مفاهيم الوحي الالهي الراشدة الى الخير والسلام، وهو ما جاء ذكره في قوله تعالى: **﴿فَمِنَ النَّاسِ من يقُول ربَّنَا آتنَا فِي الدُّنْيا وما لَهُ فِي الْآخرةِ منْ خَلَاقٍ* ومنْهم مَّن يقُول ربَّنَا آتنَا فِي الدُّنْيَا حسَنَةً وفِي الْآخرةِ حسَنَةً وقِنَا عذَاب النَّار﴾**[٦].

وفيما يلي بيان لمفهوم علم الاجتماع وعلم الانسان، ومن بعده أقوم باستعراض لنبذة تأريخية عن علم الاجتماع وأهم رواده ومدارسه.

---

[٦] سورة البقرة:٢٠٠-٢٠١.

المطلب الأول- مفهوم علم الاجتماع

ينظر العقل الإسلامي إلى الفعل الانساني بنظرةٍ توحيديةٍ من حيثية وجوده، فكلُّ صادرٍ من الأفعال يقع ضمن المشيئة الالهية مع حفظ هوية الفاعل الذي تقع عليه مسؤولية فعله؛ لأن هذا الفعل الانساني لابدَّ أن يكون صادراً عن وعيٍ وإرادة إنسانية جادة، وهذا يعني أن الفعل الانساني له دور في التغيير الظاهري للعالم، ولكنه يقع في سياق العلم الالهي ومشيئته، ويتفاعل مع سائر الظواهر العامة ضمن إطار السنن الالهية في خلقه، **فعلم الاجتماع** هو: العلم بالفعل الانساني الصادر عن إرادة ووعي.[٧]

إن الفعل الاجتماعي هو من صنف العلم الانساني ومنبثق عنه، فهو الفعل المتبادل بين أفراد البشر بالتواصل والمعاملة التفاعلية بإرادة ووعي، ولولا هذا الفعل لما تحقق أي شكل من السلوك الانساني ذو قيمة تهدف إلى إيجاد الفعل المحكوم بالمعايير السلوكية العامة عبر التربية والتعليم، ومما تقدم يمكن تعريف العلوم الاجتماعية وفق الرؤية الاسلامية بأنها "العلم بالفعل الانسان الاجتماعي وآثاره ونتائجه".[٨]

إن الإنسان اجتماعي بطبعه وجبلته الأولى التي فُطر عليها، فهو مضطر أن يكون كائناً اجتماعياً بعد ولادته في وسط اجتماعي، ويعيش باتصال مستمرٍ مع المجتمع، بحيث يندمج في محيطهم ويتفاعل معهم بصورةٍ إيجابية. وهذا يؤكد أنه في حال تفاعل إنسانيٍ مستمر، وهي الصفة المقصودة بالاجتماعي.

إن مدرسة الغرب المادية تنظر إلى علم الاجتماع وتدرسه بصيغة وصفية تخلو من المعايير المسبقة للمجتمعات الانسانية، ولا تكلّف نفسها لوضع القيم والمبادئ العامة لتغيير السلوك نحو الأفضل، فقد توافق علماء

---

[٧] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص١١-١٢.
[٨] ينظر: المصدر نفسه، ص٥٩-٦١.

الغرب على فهم علم الاجتماع بأنّه "هو العلم الذي يعنى بدراسة الحياة الاجتماعية، ووصف السلوكيات، والتفاعلات، والقواعد، والعمليات الاجتماعية للأفراد والجماعات والمجتمعات"، وتشمل العلوم الاجتماعية مجموعة من التخصصات الأكاديمية التي تعنى بفحص المجتمع، وكيفية تفاعل الناس وتصرفاتهم مع بعضهم البعض، والتطور الثقافي، والبناء الاجتماعي، وتركيبة المجتمعات وخصائصها ومشاكلها ووظائفها، والتأثير على العالم،[٩] كما عرفه (هربرت سبنسر) بأنه؛ "**العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية**"، ولكن (جورج زيمل) يرى ضرورة التفرقة بين ما هو اجتماعي، والعلم الاجتماعي، فالمجال الاجتماعي يتضمن ما يدور بين الناس، أما العلم الاجتماعي فهو المجال الذي يتناوله الدارس الاجتماعي؛ لتحديد وتحليل الجوانب المهمة له. [١٠]

إذاً هناك إشكالية بين العلماء المختصين في إيجاد تعريف موحّد ودقيقٍ لعلم الاجتماع يتّفق عليه الجميع، ويرجع ذلك لعدة أسباب وعوامل منً أهمها: أن علماء الاجتماع أنفسهم لا يتفقون على المحور الأساسي الذي يقوم عليه علم الاجتماع، كما يختلفون في الفلسفة والتوجه الفكري أيضا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلُّ على أهمية هذا العلم واتساع أنشطته ومجالاته المتنوعة.

كما أن لكلّ علمٍ موضوعاً خاصاً به يميزه عن سائر العلوم، فله أيضاً مجالاته الخاصة ومساراته المحددة، ويمكن تنويع أهم مجالات علم الاجتماع إلى ما يلي:

أولاً- علم التأريخ الذي ينطوي على أسسٍ كلاميّة ومعرفيّة خاصّة بكل حضارةٍ وديانة.

ثانياً- علم المدن والعمران الذي يستفيد من السياقات الفلسفية والحكمة العملية.

---

[٩] ينظر: د. بغريش ياسمينة، "محاضرة المدخل إلى علم الاجتماع"، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ٢، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٧/٥.

[١٠] ديمة صالح، تعريف علم الاجتماع، ص٣، مقال. ١٩ أغسطس ٢٠٢١.

ثالثاً- الفقه السياسي الذي يعد مكملاً لعلم المدن؛ لما له من دورٍ في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق القيم والمبادئ العامة.[١١]

إذاً تكمن أهمية الأبحاث الاجتماعية من خلال اهتمام الباحثين بها من السياسيين، والمربين، والمخططين، والمشرعين، ورواد الأعمال، والأخصائيين الاجتماعيين، والأشخاص المهتمين بحلِ القضايا الاجتماعية بشكل عام، فغالبا ما يكون هناك قدر كبير من التبادل بين البحوث الاجتماعية بين ذوي الشأن العلمي.

[١١] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص٩٢-٩٣.

المطلب الثاني- تأريخ علم الاجتماع

ظهر لعلم الاجتماع توجه أكاديميٌّ جديدٌ نسبياً بين علومِ الاجتماعيات الأخرى بما فيها الاقتصاد، وعِلْم السياسة، وعِلْوم الإنسان والتاريخ والنفس. لكن الأفكار المؤسسة له ذات تاريخٍ طويل، ويمكن أن نتتبع أصولَها في خليط المعرفة الإنسانيَّة والفلسفة المشتركة. لقد برزَ علم الاجتماع كما هو حالياً كصياغة علمية في أوائل القرن التاسع عشر، كردّ أكاديميٍ على تحدي الحداثة: فالعالم كان يتحول إلى كلٍ متكامل ومترابطٍ أكثر فأكثر، في حين أصبحتَ حياة الأفراد أكثر فردية وانعزالا. لقد تمنى علماء الاجتماع أن يفهموا التحولات التي طرأت على المجموعات الاجتماعية محاولةً لتطوير دواء للتفكك الاجتماعي.

ذكر بعض المؤرخين أن مؤسس علم الاجتماع هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي (١٣٣٢-١٤٠٦م)، ولِد في تونس وشبَّ فيها وتخرج من جامعة الزيتون، وكان فلكيا، اقتصاديا، مؤرخا، فقيها، حافظا، عالم رياضيات، استراتيجيا عسكريا، فيلسوفا، غذائياً ورجل دولة، يعتبر مؤسس علم الاجتماع.

ويعد "أوجست كونت" الذي صك هذا المصطلح عام ١٨٣٠م، وربط فيه بين الكلمة اللاتينية Socius، وتعني شعباً أو قبيلة أو مدينة متحالفة مع روما (وأصبحت تعني فيما بعد كلمة المجتمع Society)، والكلمة اليونانية Logos، وتعني العقل أو المعرفة. وسرعان ما انتشر هذا المصطلح بشكل واسع، وأصبح يستخدم فعلياً في جميع اللغات للدلالة على كل دراسة علمية واعية ودقيقة نسبياً للمجتمع. وتمنى (كونت) توحيد كل الدراسات البشرية بما في ذلك التاريخ وعِلْم النفس والاقتصاد. وكان مخططه الاجتماعي الخاص مثالياً يعود إلى القرن التاسع عشر؛ حيث اعتقد أن كلَّ أنماط الحياة الإنسانية لجميع الشعوب في كل البقاع مرت من خلال نفس المراحل التاريخية المتميزة،

وبهذا إذا أمكن للشخص أن يدرك مراحل هذا التطور، فيمكن له (بحسب زعمه) أن يصف العلاج للأمراض الاجتماعية.

الكتاب الأول في علم الاجتماع حمل نفس الاسم وكتب في منتصف القرن التاسع عشر من قبل الفيلسوف الإنجليزي (هيربرت سبينسر). في الولايات المتحدة، وعلّم هذا التخصص باسمه للمرة الأولى في جامعة كانساس، لورانس في ١٨٩٠ تحت عنوان فصل علم الاجتماع (فصل علم الاجتماع المستمر الأقدم في أمريكا وقسم التاريخ وعلم الاجتماع أُسسا في ١٨٩١) أما قسم الجامعة المستقل الكامل الأول لعلم الاجتماع في الولايات المتحدة أُسست في ١٨٩٢ في جامعة شيكاغو من قبل ألبيون دبليو، التي أسست المجلّة الأمريكية لعلم الاجتماع في ١٨٩٥. وأسس القسم الأوروبي الأول لعلم الاجتماع في ١٨٩٥ في جامعة بوردو من قبل إميل دوركايم مؤسس عام ١٨٩٦، وفي عام ١٩١٩م أُسس قسم علم الاجتماع في ألمانيا في جامعة لودفيج ماكسيم يليانز في ميونخ من قبل ماكس فيبر في عام ١٩٢٠م، وفي بولندا من قبل فلوريان زنانيكي. أما أقسام علم الاجتماع الأولى في المملكة المتحدة فقد أُسست بعد الحرب العالمية الثانية.[١٢]

بدأ تعاون ماكس فيبر الدولي في علم الاجتماع في عام ١٨٩٣م عندما تأسس معهد رينيه الصغير الدولي لعلم الاجتماع، والتي التحقت بجمعية علم الاجتماع الدولية الكبيرة بدءاً من عام ١٩٤٩م. وفي عام ١٩٠٥م أُسست الجمعية الاجتماعية الأمريكية، وهي الجمعية الأكبر ملاكاً في العالم من علماء الاجتماع المحترفين.

تتضمن قائمة العلماء النظريين "الكلاسيكيين" الآخرين لعلم الاجتماع من القرون العشرون المبكرة والتاسعة عشرة المتأخرة كلا من كارل ماركس، تونيز، ميل دوركهايم، باريتو، وماكس فيبر.

---

[١٢] ينظر: موقع ويكيبيديا، رابط- https://ar.wikipedia.org/wiki.

أما في زمن (كونت)، كان جميع علماء الاجتماع هؤلاء لا يعتبرون أنفسهم "علماء اجتماع" فقط. وكانت أعمالهم تناقش الأديان، التعليم، الاقتصاد، علم النفس، الأخلاق، الفلسفة، وعلم اللاهوت، لكن باستثناء ماركس، كان تأثيرهم الأكبر ضمن علم الاجتماع، وما زال علم الاجتماع هو المجال الأبرز لتطبيق نظرياتهم. اعتبرت دراسات كارل ماركس المبكرة الاجتماعية حقلاً مشابها للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء أو علم الأحياء، حيث جادل العديد من الباحثين بأن الطريقة والمنهج المستعملَين في العلوم المتماسكة منهجياً تناسب بشكل مثالي الاستعمال في دراسات علم الاجتماع. وكان استخدام الطريقة العلمية وتشديد النزعة التجريبية امتياز علم الاجتماع عن علم اللاهوت، والفلسفة، الميتافيزيقيا، مما أدى إلى أن يكون علم الاجتماع معترف به كعلْمٍ تجريبي. هذه النظرة الاجتماعية المبكّرة، مدعومة من قبل (كونت)، أدت إلى الفلسفة الواقعية، المستندة على الطبيعية الاجتماعية.[١٣]

في القرن التاسع عشر وضعت الدراسات ذات التوجه الطبيعي لدراسة الحياة الاجتماعية موضع سؤال وشكّ من قبل العلماء مثل ديلتي وريكيرت، الذي جادل بأن العالم الطبيعيَّ يختلَف عن العالمِ الاجتماعي، بينما يتميز المجتمع الإنساني بسمات فريدة مثل المعاني، والرموز، والقواعد الأخلاقية، والمعايير، والقيم. هذه العناصرِ في المجتمع تؤدي إلى نشوء الثقافات الإنسانية. لقد تطورت وجهة النظر من قبل ماكس فيبير، الذي قدّمها ضدّ الفلسفة الواقعيةَ (علْم اجتماع إنسانيَ)، والتي تعتبر وثيقة الصلةُ بالبحَث الاجتماعي ضد الطَبيعيةَ يجب أن تركّز الدراسات على البشرِ وقيمهم الثقافية، وهذا أدى إلى بعض الخلاف على مدى إمكانية وضع خطَ فاصل بين البحث الشخصي والموضوعي الذي أثّر بالتالي في الدراسات التفسيرية. كما أن

---

[١٣] ينظر: موقع ويكيبيديا، رابط– https://ar.wikipedia.org/wiki.

النزاعات المماثلة خصوصاً في عصرِ الإنترنت أدّت إلى خلق فروع غير احترافية من العلوم الاجتماعية.[١٤]

المطلب الثالث- مدارس علم الاجتماع

تقدم الكلام عن اختلاف علماء الاجتماع في التعريف، والمنهجية العلمية الخاصة بتغيير سلوك الانسان الى الأفضل، أو السيطرة على نشاطه وسلوكه اليومي، وهذا الاختلاف مرجعه تعدد الرؤى والنظريات العلمية، وبناء عليه انقسمت المدارس العلمية الخاصة بعلم النفس والسلوك بحسب تلك النظريات والرؤى.

لقد أكدت خبرات البحث العلمي أن جمع بيانات بلا نظرية موجهة يؤدي إلى بيانات فاقدة المعنى والوظيفة، وبنفس القدر تعد النظرية العلمية بلا معطيات وبيانات عملاً خاوياً ومحض مفاهيم ومصطلحات مجردة. ومن ثُمَّ يؤكد معظم المشتغلين بالبحث العلمي عامة، وفي مجال العلم الإنساني بالتخصيص على أهمية العلاقة الجدلية بين النظرية العلمية والبحث العلمي، وأن نظرية علم الاجتماع لكي تكون كذلك يجب أن تكون نظرية علمية، ومرتبطة بطابع علم الاجتماع، ومساعدة إياه على أداء وظائفه؛ لأنها هي عقله المفكّر، ومن جانب آخر يعد تحديد هذه الخصائص وتلك الوظائف الأساس بين الاتجاهات والمدارس السلوكية[١٥]، وهي متعددة وسأذكر أهمها فيما يلي:

أولاً- المدرسة البنائية: يعتبر "فونت" مؤسس المدرسة البنائية في علم النفس. وبفضله استقل علم النفس عن الفلسفة. اهتمَّ بدراسة الوعي (الشعور) من وجهة نظر بنائية أو فيزيائية. ونعني بكلمة بنائية هنا تحليل الكل إلى أجزائه أو عناصره المختلفة، حيث كان يرى أن الوعي والتفكير والمعرفة هي

---

[١٤] ينظر: موقع ويكيبيديا، رابط- https://ar.wikipedia.org/wiki.
[١٥] ينظر: د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في غلم الاجتماع، ص٩-١٣.

مجموع هذه العناصر. ولتحديد عناصر ومكونات الخبرة الشعورية استخدم منهج التأمل الباطني.

ثانياً- المدرسة الوظيفية: يعتبر "وليم جيمس" مؤسساً لهذا الاتجاه مؤكّداً على ضرورة استخدام منهج البحث العلمي رافضاً للفكر البنائي؛ لأنه يؤمن في دراسة الوظائف العقلية. وأن الخبرة العقلية عملية شخصية مستمرة وانتقائية، وعلى هذا الأساس فإنه كان يرفض أن تكون الخبرة الذاتية مجموعة من الإحساسات المتتابعة والمتحدة مع بعضها. لقد فسر الانفعالات كنتيجة للتغيرات الفسيولوجية لا كاستجابة للأحداث الخارجية (أحداث— تغيرات فسيولوجية— انفعال). وكان يرى أنه لا يمكن فصل الجسم عن العقل فهما وجهين لعملة واحدة.

ثالثاً- مدرسة التحليل النفسي: تعتبر مدرسة التحليل النفسي من أقدم مدارس علم النفس، ويعتبر عالم النفس النمساوي "سيكموند فرويد" المؤسس لها. لقد ركّز (فرويد) على الجانب اللاشعوري (المخزون المعرفي) جاعلاً له أثر في تفسير السلوك، وأن الاهتمام بدراسة الشخصية يجب أن يشمل الشخصيات المرضية والشخصيات السوية، وإمكانية تطبيق المنهج العلمي في تفسير الأحلام.

رابعاً- المدرسة السلوكية: أسسها الأمريكي "واطسون"، وهي تنظر للإنسان كآلة ميكانيكية معقدة، وأنها قصرت على دراسة السلوك الحركي فقط عن طريق الملاحظة. وتؤمن بضرورة دراسة الأحداث البيئية (المثيرات)، والسلوك الملاحظ (الاستجابات)، كما تعتقد بتأثير الخبرة أكثر من الوراثة في السلوك، وتهدف الى وصف السلوك، وتفسيره، والتنبؤ به، وضبطه بعيداً عن التجربة والملاحظة، وإعداد المهام العلمية مثل نصح وإرشاد الوالدين، والمعلمين ورجال الأعمال.

خامساً- مدرسة علم النفس الإنساني: يعتبرها المختصون القوة الثالثة في علم النفس بعد مدرستي السلوكية والتحليل النفسي. تربط فهم السلوك

بالإدراك الذاتي المتفرد للإنسان، فالعالم ليس واحداً لدى جميع الأفراد، وتنظر إلى الإنسان بما هو إنسان، وليس آلة أو حيواناً فهو إنسان له خصوصيته وإرادته وحريته في الاختيار، ومن أنصار هذه المدرسة: ألبورت، وماسلو، وروجرز وغيرهم.[١٦]

سادساً- مدرسة العرفان الاسلامية: وهي مدرسة التكامل الأخلاقي المؤسس على مبدأ معرفة النفس وكوامنها لكل إنسان يريد إصلاح نفسه، وضبط سلوكه وفق الوجه الحسن متسماً بالقيم الروحية الممهدة لمعرفة الخالق ﷻ، وهذه المعرفة لابدّ أن تكون مستقاة من منابع الثقلين المعرفية كشرط في نيل سعادة الدارين.[١٧]

إن بعض المعارف التي يملكها الإنسان عن الكون دون نفسه لا تترك أيَّ أثرٍ أخلاقي، فمثلاً لو درسنا المجرات، وأخذنا بعض التصورات والمعلومات عنها بقدر المعلومات المتوفرة عند علماء الفلك، فإن هذه المعلومات هي معلومات قيمة للإنسان، إلا أن معرفتها أو عدم معرفتها لا تدفع بالإنسان إلى أن يفكر كيف يجب أن يكون؛ لأن هذا الأمر لا يترك أثراً على حياته وسلوكه، ولكن لو فكّر الإنسان بخالق هذا الكون، وتأمل بهذه العظمة، وفكّر أيضاً في سبب خلقته؛ لعلم كيف يجب أن يكون، وكيف ينطبق مع الغاية المقصودة من خلقته؟ وماذا سيحدث إذا لم ينطبق وجوده مع المقصود؟ فاذا ما حدث ذلك، فسيكون مصيره سوء الحظ والشقاء. أما إذا انطبق وجوده مع الغاية من خلقته، فإن نتيجة ذلك ستكون السعادة؛ ولهذا فإن التوحيد النظري، يتبعه توحيد عملي وهو الجانب الأخلاقي.[١٨]

---

[١٦] جاء ذكر وإعداد هذه المدارس المختلفة من دون الإشارة الى المدرسة الاسلامية، ينظر: سماح عادل، علم نفس-٥-، رؤية العلماء لسلوك الإنسان، مقال.

[١٧] ينظر: المطهري، الشيخ مرتضى، سلوك وأخلاق الإسلام، ص١٠٧-١٠٩.

[١٨] ينظر: المطهري، الشيخ مرتضى، الله في حياة الإنسان، ص٣-٤.

بعد هذا الاستعراض للمدارس الاجتماعية يمكن للمتأمل التمييز بين معالم المدرسة الاسلامية عن سائر المدارس العلمية في العالم الغربي، فالإنسان في المنظور الاسلامي هو كائن حي يختار أفعاله بحرية وإرادة ضمن المشيئة الالهية، وأما أكثر المدارس –عدا المدرسة الانسانية– فتعتبر الانسان أشبه بالآلة أو مظهراً من مظاهر الطبيعة، والتميز الآخر للمدرسة الاسلامية هو النظرة الشمولية للإنسان ببعديه المادي والروحي في قبال رؤية المدارس الغربية التي تنظر اليه ببعدٍ مادي فقط.

المبحث الثاني- النظرة الغربية (المادية) للسلوك الانساني

توطئة...

إن الإنسان له فكر ومنطق وقابلية للاستدلال بحيث قد يمكنه الاستدلال في مسألة ما ويتوصل إلى الحقيقة. وقد لا يمكنه الاستدلال فيقع في الخطأ، أو أنه قد يقبل أمراً ما على أساس المنطق السليم، وقد يقبل أمراً آخراً على أساس التقليد تبعاً لمحيطه الذي يعيش فيه.

ويعزى سبب اختلاف هذه الأفكار والرؤى إلى أن بعض الرؤى وجدت عند بعض الشعوب بحكم التقليد، كما وجدت في شعوب أُخرى بحكم الانزلاق الفكري، وظهرت صحيحة عند أُمة ما بحكم أفكارها الصائبة واستدلالها الصحيح.

يعتقد البعض خطأً بأن الأفكار والرؤى الكونية سواء التوحيدية أو المشركة، بل حتى الرؤية الكونية المادية ليست أصيلة، ولا بد من دخول حياة الشخص لمعرفة حياته الشخصية ونظامه الاجتماعي؛ لكي يتمَّ معرفة الرؤية الكونية للشخص بالنظر لحياته الاجتماعية، فمثلاً إذا عاش الإنسان في مجتمع يقوم على أساس الديمقراطية والحرية والمساواة، ولم يتحكم فيه فرد أو حكومة ما، فأنه لا يؤمن أن هناك قوة واحدة أو متعددة تتحكم في العالم، أي: أن العالم لا تتحكم فيه أية قوة!؛ وذلك لعدم وجود قوة تتحكم في المجتمع الذي يعيش فيه، فهو يتقبل العالم حسب مجتمعه، وبعبارة أدق فأن الإنسان يعتبر العالم مثالاً لمجتمعه، ويتصور بأن نظام العالم هو نفس نظام مجتمعه. فالشخص الذي يعيش في مجتمع ملحد ينظر إلى الكون نظرة الحادية، والمجتمع الذي يعتقد بآلهة متعددة ينظر إلى الكون نظرة تحكمه الآلهة المتعددة، وأما المجتمع الذي تتحكم فيه قوة واحدة فنظرته الكونية ستكون نظرة توحيدية حتما، أي: كلٌّ يرى العالم بمرآته.

إن لهذه الشبهة جذور في الفلسفة الغربية التي نسخت فيها العقيدة الإلهية ومعرفة الله ﷻ، وسلخ فيها التوحيد والإنسان نفسه، ومن الأمور التي قُدمت أُضحيةً على مسلخ الإنسانية في أوروبا، والتي توعز الاعتقاد بالله والإيمان به إلى مسألة سلب الأصالة من منطق الإنسان بأيٍ شكل كان، وهذا معناه أن عقل وفكر ومنطق الإنسان كالآلة لا تعتبر قوى حرة وأصلية.[١٩]

إذاً يوجد نمطان من التفكير البشري حول أصالة الفكر الانساني من عدمه، فالأول ذو بعد روحي يعطي الإنسان أصالة في فكره حين توافر شروط البرهان، والنمط الثانيً وهو المادي يرى أن النظرة الكونية للإنسان تتولد تبعاً للشروط العينية والذهنية والاجتماعية، ولكن القرآن الكريم يرفض هذا النوع من التفكير، ويقول بأن الإنسان يمتلك ذلك المقدار من الأصالة للتوصل إلى الحقيقة إذا ما استثمر عقله وفكره بشكل سليم، وفيٍ مثل تلك الحالة فإن فكر الإنسان سيعمل على بناء مجتمعه وروحه سعياً لطلب سعادة دار الدنيا والآخرة.

---

[١٩] ينظر: المطهري، الشيخ مرتضى، الله في حياة الانسان، ص٧-١٠.

المطلب الأول– مصادر المعرفة في العالم المادي

تدور حول مصادر المعرفة الانسانية مناقشات فلسفية حادة تحتل مركزاً رئيساً في الأروقة العلمية الحديثة، فهي نقطة الانطلاق لتصور رؤية متماسكة عن الكون والعالم، فما لم تحدد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان صنفها.

إن إحدى تلك المناقشات الضخمة هي المناقشة التي تتناول مصادر المعرفة وأُس منابعها بالبحث، وتحاول أن تستكشف الركائز الأولية للكيان الفكري الجبار الذي تملكه البشرية فتجيب عن كيفية نشأت المعرفة عند الانسان، وكيف تكونت حياته العقلية بكل ما تختزنه من أفكارٍ ومفاهيم، ومعرفة ماهية المصدر الذي يمدُّ الانسان بذلك السيل من الفكر والادراك.

ينقسم الإدراك بصورة رئيسة إلى قسمين، أحدهما البسيط وهو التصور، والآخر التصديق وهو الادراك الحاكم بالصدق أو الكذب. فالتصور كتصورنا لمعنى الحرارة والسخونة، والتصديق كتصديقنا بأن الحرارة طاقة صادرة من النار.

إن المصدر الأساس في المنظور المدرسة الغربية (المادية) هو الحس والملاحظة لنتائج التجربة، وقد يكون عندهم هو المصدر الوحيد للمعرفة الانسانية والغالب على رأي نخبة من علمائهم يقول بالعقل الفطري كمصدرٍ آخر للمعرفة.

إن النظرية الحسية تؤكد أن الحواس هي المصدر الوحيد للذهن البشري ومنبع للتصورات والمعاني، والقوة الذهنية هي القوة العاكسة للإحساسات المختلفة في الذهن. فحين يحسُّ المرء بالشيء يستطيع أن يعلمه، وأما المعنى الانتزاعي الذي يمتدُّ إليها الحس فلا يمكن للنفس ابتداعه وابتكاره ذاتياً وبصورة مستقلة.

وليس للذهن بناء على هذه النظرية الاّ التصرف في صور المعاني المحسوسة، وذلك بالتركيب والتجزئة بأن يركب بين تلك الصور أو يجزئ

الواحدة منها، فمثلاً يتصور جبلاً من ذهب، أو يجزئ الشجرة التي تركها إلى قطعٍ وأجزاء، أو بالتجريد والتعميم، بأن يفرز خصائص بصورة تجريداً عن صفاتها الخاصة؛ ليصوغ منها معنى كليا، كما إذا تصور زيداً واسقط من الحساب كل ما يمتاز به عن عمرو، فان الذهن يجري عملية الطرح هذه فيستبقي معنى مجرداً يصدق على زيدا وعمرو معا.

فالحس على ضوء التجارب الآنفة الذكر هو البنية الأساس التي يقوم على قاعدتها التصور البشري، ولا يعني ذلك تجريد الذهن عن الفعالية وابتكار تصورات جديدة على ضوء التصورات المستوردة من الحس، فقد دلّت التجارب العلمية على أن الحس هو الادراك الذي تنبثق عنه التصورات البشرية. فمن حرِم لوناً من ألوان الحس فهو لا يستطيع ان يتصور المعاني ذات العلاقة بذلك الحس الخاص.

ويمكن تفنيد نظرية انحصار المعرفة بالمصدر الحسي التي ترجع جميع مفاهيم التصور البشري إلى الحسِ على ضوء دراسة عدة مفاهيم في الذهن البشري كمفاهيم العلّة والمعلول، الجوهر والعرض، الإمكان، وإذا كانت تجاربنا الحسية قاصرة عن كشف مفهوم العلية، فكيف نشأ مفهوم (التجريبية) في الذهن البشري، وصرنا نتصوره ونفكّر فيه؟ إن ما صح من التجارب انما تبرهن علمياً على أن الحس هو الينبوع الأساس للتصور، فلولا الحس لما وجد تصور في الذهن البشري، ولكنها لا تسلب عن الذهن قدرة توليد معانٍ جديدة لم تدرك بالحس، كمعنى العلّة والجوهر والعرض، فليس من الضروري أن يكون قد سبق تصوراتنا البسيطة جميعاً الاحساس بمعانيها كما تزعم النظرية الحسية.[٢٠]

مما تقدم يظهر أن العالم الغربي لديه مصدران من المعرفة أحدهما الغالب وهو المصدر التجريبي (الحسي)، والثاني المهمل وهو المصدر العقلي (الفطري) الذي كان سائداً في عصر الحكومة الكنسية قبل أن تندحر بفعل

---

[٢٠] ينظر: الصدر، السيد محمد باقر الموسوي، فلسفتنا، ص٥٧-٦٠.

الثورة الصناعية الكبرى في أوربا، والتي اعتمدت المصدر التجريبي في نشاطها العلمي مع الغفلة عن المعارف الفلسفية والكليات المنطقية.

المطلب الثاني- معالم النظرية الحسية وآثارها الاجتماعية

توجد عدة محاولات لتعريف المنهج التجريبي منها من بدأ بتفسير مفهوم المنهج العلمي بأنه: "**الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة**"،[٢١] ثم أردف بتعريف المنهج الحسي (التجريبي) بأنه: "**المنهج المستخدم حين نبدأ من وقائع خارجة عن العقل سواء أكانت خارجة عن النفس، أو باطنة فيها كما في حالة الاستبطان؛ لكي نصف هذه الظواهر الخارجة عن العقل ونفسرها**"[٢٢]. أي: لا تستند على الفكر وقواعد المنطق الصورية وحدها، وتعتمد الملاحظة والتجربة معاً، وهي كالاستقراء الذي نبدأ فيه من جزئيات ظنية حتى نصل إلى قضايا قطعية، مع عرض كل خطوة إلى التجربة؛ كي تضمن لنا صحة الاستنتاج، وهو منهج خاص بالعلوم الطبيعية له قيمة علمية؛ لأن الفروض فيه تقوم على وقائع يجرب عليها الإنسان الأوضاع المختلفة أو الفروض الذهنية ويستخرج منها النتائج،[٢٣] ومن أقسامه التجريب العقلي الذي يقوم الإنسان في داخل عقله بكل الفروض والتحقيقات التي قد يئس منها، أو لا يتيسر له أن يقوم بها في الخارج.[٢٤]

مما تقدم بجد الملاحظُ أن المنهج التجريبي مختصٌّ بالعلوم الطبيعية من الجمادات والنباتات التي لا إرادة لها في نشاطها، بل هي مسخرة بقوة غيبية

---

[٢١] البدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٦.
[٢٢] مصدر نفسه، ص١٢٩.
[٢٣] ينظر: مصدر نفسه، ص١٩.
[٢٤] ينظر: مصدر نفسه، ص١١٧.

تصرفها كيف ما شاءت، ولا دخل رئيس للعلم التجريبي في معرفة السلوك البشري كما اعتمده علماء الغرب في ضبط السلوك البشري وتصحيحه.

كان المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية أداة رئيسة للبحث في أحوال المجتمع والسلوك الانساني حتى شاعت في الأوساط العلمية، ولا يخلو هذا الشياع من محاولات تشكيك في كثير من الأحيان بأسئلة تتعلّق بصحة ادعاءاتهم السببية، في حين أن تقديم بعض البيانات الاحصائية غالباً قد يكفي للتحقق من صحة المنهج، فإن اختبار الفرضيات العلية يتطلب أسلوب المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية؛ لأنه من أقوى الأدوات لتحقيق هذا الهدف وصولاً للقرار على الأدلّة، فقد كانت المنهجية التجريبية ركيزة أساس في تخصصات العلوم الطبيعية، وأصبحت شعبية في بعض تخصصات العلوم الاجتماعية مثل: علم النفس الاجتماعي والاقتصاد والعلوم السياسية الحديثة، مع وجود اختلافات ملحوظة بين التخصصات من حيث استخدام التجارب الميدانية والمخبرية، مع ذلك تعتمد الطريقة التجريبية بتقديم إمكانات لجعل الاستدلال السببي؛ لكي تتقوى على رسم السياسات والممارسة الأخلاقية المنضبطة، وهذه الطريق هي عبارة عن منهج علمي منتظم للبحث الذي يتعامل فيه المتغيرات، ويتحكم ويقيس أي تغيير في المتغيرات الأخرى، وتجرى التجارب البحثية لتكون قادرة على التنبؤ بالظواهر الاجتماعية، وعادة يتم تصميم التجربة لتكون قادرة على شرح نوع من السببية، وتعمل على تحسين الحياة اليومية.[٢٥]

تمتاز الظاهرة الاجتماعية في المنظور التجريبي بصفتين: **الأولى**- أنها مستقلة عن الوعي الفردي، وأنه لا يكفي أن يكون قد قام بها كثير من الناس، أو أن تكون منتشرة في بيئة من البيئات لكي تعد ظاهرة اجتماعية، إنما يجب أن تكون ظاهرة خارجة عن كل وعيٍ فرديٍ بحيث تبدو وكأنها تفرض

---

[٢٥] ينظر: المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث – رواد النشر العلمي، مقال دكتوراه، الموقع الالكتروني- https://search-academy.com/index.php .

فرضاً على العقول الفردية دون أن يشعروا هم بأنّهم الفعلة الحقيقيون كأفراد في بنيانها، بحيث لا يمكن أن تنسب إلى فرد بالذات، بل تنسب إلى المجموع، كما لا يمكن أن تصدر عن فردٍ على حدة، لأنها تتوقف على تركيب جمعي معين هو وحده الذي يستطيع أن يفسر حدوثها.

الثانية– تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها قسرية إلزامية، وهذه الصفة نتيجة للصفة الأولى، فما دامت هذه الظواهر تفرض على الفرد فرضاً، وهو مضطر للتأثّر بالحياة الاجتماعية والخضوع لها –شاء ذلك أم أبى.

إن هذا البيان ينقصه الكثير من الدقة؛ لأنه سيستبعد من الظواهر الاجتماعية بعض الآراء الخاصة، والتي لها أثر في المجتمع كالقوانين التي تصدر عن زعامة سياسية، أو روحية مؤثرة في نشأة مؤسسات المجتمع.

غير أن تحديدنا للظاهرة الاجتماعية على هذا النحو يمكننا من أن نعين المنهج الذي يجب أن نسلكه في الكشف عن قوانين الاجتماع والمسلّمات الموجودة فيه. وهنا سنجد أن المنهج الأعمَّ والذي يجب أن يشمل بقية المناهج في علم الاجتماع هو منهج التغيرات المتناسبة؛ وذلك بالاستقراء للتغيرات الموجودة في مجتمعٍ بالمقارنة بتلك التي تحدث في مجاميع أخرى بينها تلازم في التخلّف، وتلازم في الوقوع، بحيث ينشأ عن أي تغير فيه متغيرٍ في الآخر. ولكي نصل إلى تحديد دقيق على هذا الأساس يحسن بنا قدر المستطاع أن نعبر عن هذه التغيرات في صيغة رياضية بالنسبة للعلوم الفيزيائية، ولهذا كانت طريقة الإحصاء هي من أعظم الطرق وأخصبها في منهج علم الاجتماع.[٢٦]

مع دقة التجربة العلمية وأهميتها في مجال البحوث الاجتماعية، فمن فقد أحد حواسه فقد علما مناسباً له، والتجربة هي أحد أهم الطرق لمعرفة الواقع الخارجي، ولكن يبقى الحس عبارة عن محاولة لفهم السلوك البشري في سبيل تغييره نحو الأفضل، أو تقييد مساوئه والسيطرة على آثاره السلبية، وتبقى الرؤية

---

[٢٦] بنظر: البدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٢٢١–٢٢٢.

التجريبية تسير برجل عرجاء ما دامت تتفرد ضرب الخطى نحو التغيير الاجتماعي المنشود بعيداً عن بقية مصادر المعرفة.

آثار النظرية التجريبية

تتلخص تركت النظرية الحسية عبر التجربة بعدة آثار سأذكر منها ما يتصل بموضوعة البحث وهي ما يلي:

أولاً- الابتعاد عن التوجيهات الروحية والكمالات الواردة عن الوحي الالهي، وما أُودع في الانسان من قوة عقلية، ومن الطبيعي أن يعلم المرء أن العلم الحسي هو أدنى طبقات المعرفة لدى الانسان.[٢٧]

ثانيا- حدوث حالات التعارض بين الثقافة الروحية للإنسان مع بعض معطيات العلم التجريبي، وهو ما يسمى بالتعارض بين المعارف المشتركة للبشرية، وما ترتّب عليه من إنكار الحقائق المطلقة اعتقاداً بنسبيتها، وقد أدت هذه الأفكار الى ايصاد باب الحقيقة.[٢٨]

ثالثا- أن عالم الحس والتجربة يضع الأغلال في يدي الانسان ويأسره ضمن نطاق المادة وحدودها (ضنك الحياة)، رغم جهود علماء الغرب في تحقيق النشاط العملي والتطور الحضاري للإنسانية، حيث يظهر التناقض بصورة صراع روحي ونزاع اجتماعي.[٢٩]

هكذا تظهر حقيقة العالم المادي الذي أنكر ما وراء الحس؛ اكتفاء بمنجزاته العلمية التي خدمة البشرية في إطار الدنيا الفانية، وقد تجاهل الأهم من هذه الحياة الدنيا بإنكاره ضرورة تحقيق السعادة للإنسان في حياته الأخرى وهي الباقية.

---

[٢٧] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص٢٣١.
[٢٨] ينظر: مصدر نفسه، ص٢٢٩-٢٣٠.
[٢٩] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص١٩٢.

المطلب الثالث– ملامح النظرية العقلية ونتائجها الاجتماعية

يعتبر العقل من أهم مصادر المعرفة لدى الكثير من الفلاسفة والمفكرين على اختلاف توجهاتهم الدينية والعلمية، ومن رواد المدرسة العقلية ومنظريها هو رينيه ديكارت (١٥٩٦–١٦٥٠م)، وهو أبرز العقلانيين في الفلسفة الحديثة إذ تميز نهجه الفكري باستحداث فلسفة عملية تهتم بالتجربة وتتعاطى مع نتائجها، فالمعرفة اليقينية وفق رأيه تعتمد على مدى معرفتنا بمخرجات التجربة بأجراء عملية فكرية ثلاثية الركائز، وهي: حدسية وتجريبية واستنتاجية. الأولى لتسمية المبادئ الأولية الموضحة لكل شيء، والثانية من أجل أن نستخلص من هذه المبادئ نتائجها المباشرة، والثالثة في تناول الوقائع ومقارنتها مع مبادئ التفسير الموضوعة بشكل سابق للتجربة.[٣٠]

يعتقد ديكارت أن دراسة العلوم متداخلة بوثاقة، وأن العقل لديه وسيلتان لكشف الحقيقة هما الحدس والاستنتاج، فالحدس هو الإدراك البديهي الصادر من أنوار العقل، ويدرك الفكر اليقظ بوضوح وتمييز بحيث لا يطاله الشك، وليس الحدس المتقلب الذي نتلقاه عن طريق الحواس، أو الحكم الخاطئ الصادر من خيال الفطرة الملوثة، والاستنتاج هو استخلاص نتائج من معرفة يقينية تترتب عليها ضرورة، فهناك أشياء ليست بديهية في حدّ ذاتها لكنها يقينية كالمشهورات، شريطة أن يستنتجها الفكر من مبادئ صحَيحة، فيكون معرفة القضايا الأولى الصادرة من المبادئ إما عن طريق الحدس، أو عن طريق الاستنتاج وفق ما ينظر إليها، ولكن المبادئ نفسها معرفتها بالحدس وحده، والنتائج البعيدة بالاستنتاج فقط، ولقد أرسى ديكارت لفكره أربع قواعد ترشده في طلب المعرفة الحقة وهي:

---

[٣٠] ينظر: الجبوري، عماد الدين، رحلة مع الفلاسفة في نظرية المعرفة، القسم ٤، ص١. مقال

القاعدة الأولى: لا يمكن القطع بشيء ما لم يتبين بالبداهة أنه من الوضوح والجلاء بحيث لا يبقى معه مجال للشك فيه.

القاعدة الثانية: أن المباحث تنقسم إلى ما يمكن من تجزئة لحل هذه المشكلات بأفضل طريقة.

القاعدة الثالثة: طرح الأفكار بالترتيب مبتدئاً بأبسط الأشياء المعلومة علمياً، ثم يتدرج إلى معرفة أكثر الأشياء تعقيداً.

القاعدة الرابعة: وضع الإحصاء والمراجعة الكاملة في كل نواحي البحث التي تؤمن عدم الاهمال.[٣١]

خلاصة القول أن ديكارت يقابل بين العقل والحواس، فالأخيرة مجرد أدوات عملية يسدي نتائجها النفع العام في الحياة، إلا أنها خالية من القيمة بالنسبة إلى المعرفة. أما العقل، فهو نوع من الإشراق الخارق، والله هو الذي وضع في الإنسان فطرياً بعض الأفكار، وهي المعارف الأولية، وأن هذه المعارف الأولية، بحسب قول باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م) هي أصلاً مغروسة بالإنسان تلقائياً؛ لأن الله هو جوهر هذا الوجود، وباقي الجواهر متضمنة فيه ومنبعثة منه. إن "الفكر هو صفة الله، أو أن الله هو تفكير الشيء، وإن الأفكار الفردية وهذا الفكر هي أنماط تعبر بطريقة ما عن صفة العلم الالهي؛ لذلك فأن التصورات الكلية للإنسان يكون مصدرها الله، فالفكر إذاً هو إحدى صفات الله اللانهائية التي تعبر عن وجود الله الأبدي اللانهائي، فالإنسان يدرك الواقع الخارجي من خلال شكلين اثنين، وهما "الامتداد والفكر" أو "المادة والعقل"، وهما صفتان للجوهر الذي ندركه خارجياً بحواسنا كونه مادة، وبشعورنا باعتباره فكراً من دون انفصال بينهما، ويزاوج في تقسيم "قوة العقل" إلى ثلاثة أنواع معرفية هي، حسية استقرائية، وعقلية استنتاجية، وعقلية حسية.[٣٢]

---

[٣١] ينظر: الجبوري، عماد الدين، رحلة مع الفلاسفة في نظرية المعرفة، القسم ٤، ص٢. مقال

[٣٢] مصدر نفسه،، ص٣-٤.

بعدهما برز إيمانويل كانط، وهو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤-١٨٠٤م)، وكان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة التقليدية، وهو آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم.

طرح إيمانويل كانت منظوراً جديداً في الفلسفة أثّر ولا زال يؤثر في الفلسفة الأوربية حتى الآن أي أن تأثيره أمتد منذ القرن الثامن عشر حتى القرن الحادي والعشرين، وأما أكثر أعماله شهرة فهو كتابه نقد العقل المجرد الذي نشره سنة ١٧٨١م، حيث بحث (كانط) في هذا الكتاب ويستقصي محدودية وبنية العقل البشري ذاته. قام في كتابه هذا بالهجوم على الميتافيزيقيا التقليدية ونظرية المعرفة الكلاسيكية. فكان أجمل وأبدع مساهماته في هذا المجال بالتحديد. ثم نشر أعمالاً رئيسة أخرى في شيخوخته، ومنها كتابه (نقد العقل العملي) الذي بحث فيه جانب الأخلاق والضمير الإنساني، وكتابه (نقد الحكم) الذي استقصى فيه فلسفة الجمال والغائية.

طرح (كانط) أسئلة عديدة حول الحقيقة المطلقة للأشياء، واعتقد أن بالإمكان إصلاح وتهذيب الميتافيزيقا الكلاسيكية عن طريق تطبيق نظرية المعرفة عليها. حيث زعم أنه يمكننا باستخدام هذه الطريقة مواجهة الأسئلة التي تطرحها الميتافيزيقا، والأهم من ذلك أن نعرف المصادر التي نستقي منها معرفتنا، وأن نعرف ماهية حدود المعرفة التي يمكن الوصول إليها، حيث اقترح (كانط) أنه بعد أن نفهم ونعرف مصادر وحدود المعرفة الإنسانية والعقلية يمكننا طرح أي أسئلة ميتافيزيقية والحصول على أجوبه مثمرة. وسأل كانت سؤالاً خطيراً، هو: هل للأشياء والمواضيع التي نعرفها خصائص معينة سابقة على تجربتنا وعلى إحساسنا، فأجاب على ذلك بأن جميع المواضيع والأشياء التي يمكن للعقل معرفتها تتم بطريقة يختارها العقل. ويضرب مثالاً على ذلك أنه إذا استعد العقل للتفكير قبل أي موضوعٍ واختار العقل التفكير بطريقة

السببية، فإننا بالتالي نعلم قبل أن نتعرف على أي موضوعٍ أن الموضوع سيكون إما سببا أو نتيجة.[٣٣]

وتتلخص نظرية (كانط) إلى نتيجة مفادها أن هناك مواضيع لا يمكن للعقل معرفتها عن طريق السببية، ونتيجة أُخرى هي أن مبدأ السببية هو طريقة في التفكير لا يمكن أن تستقل عن التجربة والإحساس، كما لا يستطيع مبدأ السببية الإجابة عن جميع الأسئلة، ويضرب مثالاً للتوضيح بسؤال هو: هل العالم أزلي أم له مسبب؟، وبالتالي فإن أسئلة الميتافيزيقيا (الغيب) الأساسية لا يستطيع العقل الإنساني الإجابة عنها. لكن العقل يفهم ويعرف ويجيب عن أسئلة العلوم المادية؛ لأنها تخضع لقوانينه.

يظهر مما تقدم أن (ايمانويل كانط) قدم نظاماً مبتكراً في نظرية المعرفة الا هو مزيج بين المدرستين التجريبية والعقلية. فأهل المدرسة التجريبية يرون أن المعرفة لا تكون إلّا عن طريق التجربة لا غير. أما أهل الطريقة العقلية فيرون أن نظام الشك الديكارتي، وأن العقل وحده من يمدنا بالمعرفة. خالفهم (كانط) في ذلك حيث يرى أن استخدام العقل وحده دون التجربة لا يقود إلى المعرفة بل يقود إلى الأوهام. أما استخدام التجربة فلا يقود إلى معرفة دقيقة ولا تعترف بوجود مسبب أول الذي يعترف به العقل المجرد.

نتائج نظرية العقليين

بعد التمعن بما ذُكر يمكن تلخيص آثار النظرية العقلية ونتائجها على المجتمع الانساني بما يلي:

أولاً- إن التعريف المتحصل للمعرفة العلمية هو نسبيٌّ وليس مطلقاً، فهذه المعرفة مرتبطة بنوع الثقافة الخاصة بكل مجتمع (الديانة الخاصة).

---

[٣٣] ينظر: موقع من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

ثانياً– إن مبادئ التجربة الحسية تستند في أسسها على معرفة عقلية لا تستند الى تجربة؛ لأنها معنى كليٌّ لا يتناوله الحس بأدواته المحدودة، فهي لا تدرك سوى الجزئيات فقط.

ثالثاً– تكون للقيم الاجتماعية ضمن المنظور العقلي تعريفاً علمياً يختلف عن المنظور الحسي، فالمعرفة العلمية للمسائل الاجتماعية لا يتدخل التجريب في أسسها النظرية حصراً من دون الرؤية العقلية.

رابعاً– لا تنحصر عقلانية علم الاجتماع بالعقل الأداتي والتجريبي، بل تستند الى عقلانية ظهرت على شكل مخزون معرفي تراكم عبر التأريخ، وهو ما يسمى بالعقل العرفي أو الجمعي.[٣٤]

لقد أحدث العقليون طفرة نوعية في مجال البحث العلمي، وأخرجوا الإنسانية من بعض سجون الحسيين وأنصار القول بالتجربة حصراً، كما حطّموا بعض قيود المادة التي كبلّت أيادي الانسانية وحركتهم الفكرية، فأضافوا إلى ميدان المعرفة مصدراً آخراً كان معطّلاً بسبب هيمنة المدرسة التجريبية على مواطن البحث العلمي.

---

[٣٤] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص٢٥٢–٢٥٣.

المبحث الثالث- الرؤية الاسلامية للسلوك الانساني

استهلال

إن الدين الإسلامي هو رسالة السماء الى البشرية جمعاء، ويتكفّل برعاية جميع شؤونهم الحياتية –مادياً ومعنوياً– فخالق الناس أدرى بما ينفعهم، ويضع لهم ما ينمي خبراتهم ويزكّي أنفسهم بطرق وأساليب حكيمة، فيهتمُّ الدين بالتربية السلوكية بمختلف مجالاتها أيما اهتمام؛ لكونه شمولياً يستوعب كافة البشرية، وعلى ضوء ذلك فإن معرفة الدين تشكّل لُبنة هذه القضية وإن تعقدت؛ "**ذلك أن للدين ثلاث ركائز أساسية إحداها في باطن النفس البشرية والأخريان خارجها، وعلى الانسان أن يجرد ذاته؛ لتتبلور لديه فكرة عن الرؤية الدينية والعنصران الخارجيان هما القرآن والعترة واما العنصر الباطني فهو العقل أو الفطرة التي تعد من البراهين الشرعية**"[٣٥]،

فالتنمية الثقافية الفكرية تعتمد على تحسين ثقافة الأفراد الدينية وزيادة الوعي لديهم، ويكون ذلك من خلال عدّة طرق منها تعميم التعليم للجميع ومحاربة الأُمية، وكل ذلك تم بناء على زيادة الوعي بمدى قيمة الإنسان والذي يعتبر هدفاً ووسيلة في المنظومة الخاصة بالتربية الشاملة، حيث ترسخت القناعة بأن الإنسان هو المحور الرئيس لعملية التربية، وخاصة أن الله ﷻ جعل الإنسان خليفة في أرضه لبنائها وتعميرها بالخير والصلاح، حيث يعتبر الأداة والغاية التي يمكن من خلالها الوصول لمستقبل أفضل يشمل البشرية جمعاء،[٣٦] فلابد من تقديم مفهوم للتربية يتماشى مع المنظور الإسلامي للرؤية الكونية والحياة والإنسان، وذلك بالاعتماد على المصادر الأساس لشريعة الإسلام، ومن المناسب للتربية أن تنسجم مع النظرة الإسلامية للكون والحياة والإنسان، فضلاً

---

[٣٥] جواد، آملي، الانسان والدين، ص١٣

[٣٦] ينظر: إيمان، الحياري، التنمية الثقافية، ص٥، مقال

عن استيعاب مجالات التنمية جميعها، بعيداً عن أية تأثيرات غريبة عن تعاليم الإسلام ،[٣٧] فأن هذا المفهوم يعبر من وجهة نظر التصور الإسلامي لمفهوم التنمية بوصفها مصطلحاً يعبّر عن عملية حضاريةٍ مستأنفةٍ أو مستحدثة.

المطلب الأول- مصادر المعرفة في العالم الإسلامي

إن الإحاطة التامة بكليات المعارف العلمية وأهمية البراهين العقلية وحسن استخدامها تعمل على تطوير الانسان وتحسين سلوكه، فالغاية من البحث العلمي هو كشف الحقائق عن طريق الدليل العقلي المعتبر، ولا يمكن بحال أن تنعكس القضية بتسخير بعض الأدلة باللف والالتواء مع صياغة النتائج بأسلوب كلامي متسق؛ لغرض إثبات معتقد أو فكرةٍ خاطئة تخدم فئة أو جهة معينة، فضمن التصور العام يمكن أن يعتبر النظام العقائدي والاُصولي لكل دينٍ هو رؤيته الشمولية، ونظام أحكامه العملية الكلية هو أيديولوجيته؛ وبذلك يمكن تطبيقهما على أصول الدين وفروعه، ولكن يلزم التأكيد على انّ مصطلح الأيديولوجية ومصطلح الرؤية الكونية لا يشمل المعتقدات الجزئية، فالرؤية الكونية هي: مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان بل وحول الوجود، وأما الأيديولوجية بنظرة عامة فهي: مجموعة الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الأنسان وأفعاله، ولكن يمكن تقسيم الرؤى على أساس الإيمان بما وراء الطبيعة وإنكاره الى قسمين جامعين هما الرؤية الكونية الالهية والآخر هو الرؤية الكونية المادية وتسمى بالدهرية او الزنادقة[٣٨]، فالمعرفة الحقّة والأدلجة المسبقة ضدان لا يجتمعان بحال من الأحوال في المنهج العلمي الرصين، "**وإن المعرفة لا تؤمن بالشيء المؤدلج، ولا تقول بالأحكام المسبقة، ولا تنقاد لمنظومة ما، ولا تدافع عنها بأي دافع طائفيّ أو مذهبيّ أو فئويّ أو عرقيّ، بل إن الأساس في المعرفة هو محاكاة**

---

[٣٧] ينظر: مجد فرارجة، مفهوم التنمية البشرية، ص٢، مقال
[٣٨] ينظر: محمد تقي المصباح، اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، ص٢٨-٢٩.

الواقع، وتبيين الحقائق ،ورفع اللبس ووضع الحلول بما يتلاءم مع الواقع ويوافق العقل".[٣٩]

إن العقل من مصادر الدين الإثباتية بل للعقل معيار وضابطه، فالعقل مصدر البديهيات والمسلّمات التي لا يختلف عليها اثنان من العقلاء، "فالعقل البرهاني هو المصدر الإثباتي والذي يثبت بمبانيه ومبادئه وجود الله تعالى وضرورة الحاجة الى النبي، إن العقل الذي يعد من المصادر الإثباتية للدين هو العقل الخالص الذي لم يتلوث باطناً وظاهراً[٤٠]، ولابد أن نعرف أن علاقة المعرفة بالأيديولوجيا تحدد مصداقية العلم ونوعية التطور وروح إنسانية الجنس البشري، "**فاذا كانت الأيديولوجيا تابعة فهذا مظهر صحي ودليل على مكانة العلم والمعرفة المتقدمة ودليل على تكريمها ورقيها**"[٤١]، فالحقائق اليقينية لا تتبع نتائجها الاّ من المقدمات الصالحة ومن دونها تكون سراباً يحسبه الباحث موجوداً بوهمه، إن المعرفة العقائدية المبنية على مقدمات عقلية وقواعد منطقية رصينة تؤدي الى نتائج يقينية، أما المعرفة المؤدلجة المعتمدة على النظرة السطحية والجزئية تؤدي الى نتائج ظنية يشوبها الشك والتغير والتبديل المستمر طوال الحركة الفكرية للبشرية[٤٢]، والمشكلة التي نعيشها هي الانخداع بالعناوين الضخمة والمظاهر المبهرجة والمزخرفة غروراً من دون بعد نظر، وإن أنسب اسمٍ يطلق على العصر الذي نعيش فيه –وخصوصاً في العقود الأخيرة– هو اسم الأزمة الثقافية، حيث التشكيك الفكري الشديد الذي لم يعهد له على مر التاريخ الى درجة أصبح يستهزأ في الجو الثقافي العالمي والذي يدعي الجزم واليقين في بعض المسائل، إنه عصر الجاهلية الحديث.[٤٣]

إن الجاهلية الحديثة هي أعتى وأشدُّ خطراً على الفكر الانساني من الجاهلية الأولى؛ لأنها تسخر المصطلحات العلمية في إثبات مبادى عقيمة،

---

[٣٩] الشيخ ليث، العتابي، جدلية الايدلوجية والمعرفة، ص٢٧.
[٤٠] ينظر: جوادي، آملي، الانسان والدين، ص٧٦.
[٤١] الشيخ ليث، العتابي، مصدر سابق، ص٢٨–٣٠.
[٤٢] ينظر: محمد تقي المصباح، اليزدي، تحديات ومواجهات، ص٥١–٥٠.
[٤٣] ينظر: مصدر نفسه، ص٥٢.

وتولد الجهل المركب لدي المنخدع بها، أما المعرفة العقلية التي اعتمدت المسلّمات والبديهيات في إثباتها للحقائق فهي معرفة قابلة للنمو والتطور، ومن هنا جاءت أهمية الأدلة العقلية في البرهنة المعرفية واستدلالاتها.

كلُّ إنسانٍ يريد التعرف على أصول المعرفة اليقينية والحقّة، فأنَّ أول سؤال يواجه به هو: ما هو الطريق الذي عليه أن يسلكه للمعرفة؟ وكيف يتوصل لمدركات أساسية صحيحة؟ وما هو طريق المعرفة الذي عليه سلوكه للتوصل لتلك المدركات؟ وماهي طريقة التفكير الصحيحة الموصلة للمعرفة؟، ثم لو تم التعرف على تلك الإجابات لأمكن استثمارها في مجال التنمية العقدية، وأن تلك الإجابة التفصيلية والفنية يتكفل بها قسم المعرفة من الفلسفة، حيث يبحث في أنواع المعرفة الإنسانية وتقويمها، وباختصار تتنوع المعرفة الى ما يلي:

١- المعرفة التجريبية أو العلمية، وتعتمد الحواس ودور العقل فيها هو تجريد المدركات الحسية وتعميمها، ويستفاد منها في العلوم الطبيعية، فرؤيته علمية بحتة،

٢-المعرفة العقلية، وتتألف من المفاهيم الانتزاعية بأدلتها الأولية والبداهة، وتوسطها بعض المعطيات الحسية كمنشأ لانتزاع المفاهيم كما في المنطق والفلسفة والرياضيات، فرؤيته فلسفية استدلالية،

٣-المعرفة التعبدية (المقبولة)، ولها دور ثانوي لاستنادها الى معرفة مسبقة بصحة المصدر المعتمد عليه، ومنها ما يعتمده أصحاب الأديان والملل من أحاديثهم المروية عن زعمائهم ومعياره الوثاقة، فرؤيتها إيمانية قلبية،

٤-المعرفة الشهودية، وتتعلق بعين المعلوم وذاته دون وساطة الصورة والمفهوم الذهني للمعلوم، وهي معرفة يقينية،[٤٤]

فأما المعرفة التجريبية والحسية تتحدد معرفتها في نطاق الظواهر المادية والطبيعية، ولا يمكننا من خلالها معرفة أُصول الرؤية الكونية ومعالجة

---

[٤٤] ينظر: اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الإسلامية، ص٤٩-٥٥.

المسائل الغيبية والمعنوية، وأما المعارف والمدركات التي يتوصل اليها من الطريق التعبدي فدورها ثانوي متفرع عن الإثبات المسبق لاعتبار المصدر التي تصدر منها هذه المعرفة أي: لابد من إثبات نبوة النبي أولاً؛ لتكون رسالته وأحاديثه معتبرة، وقبل ذلك لابد من إثبات وجود المرسِل ((الله ﷻ))، وأما المسائل الأصولية الأساسية فلابد من إثباتها مسبقاً من طريق آخر، وأما الطريق العرفاني فرؤيته ذاتيه لا ذهنية وحجته خاصة على خاصة العارف دون سواه[٤٥]،

والنتيجة أن الطريق الوحيد لكلّ باحث في المسائل الأساسية وأصول الدين هو طريق العقل والمنهج العقلي، ومن هنا فالرؤية الكونية الواقعية هي الرؤية الكونية الفلسفية، ويكفي استعمال بعض المسائل الفلسفية المبسطة والقريبة من البداهة؛ لنتوصل من خلالها إلى إثبات وجود الله ﷻ وبحث أهم المسائل الكونية، وبما أن المنهج العقلي يشترك في توليد جميع المعارف إذ لا غنى عن المبادئ العقلية سواء في استنباط واستنتاج المعارف المجردة أم العلوم الطبيعية، اذاً يمكن استثماره في تنمية إثبات الأصول العقائدية، ومن خلال شمولية المنهج العقلي لجميع المصادر المعرفية كالمعرفة التجريبية يمكن حينها الاستدلال على التوحيد من صفة الخالق، وهكذا بالنسبة لبقية المعارف، "**إن الفرضية العظيمة والخطيرة التي يجب أن تُبذل جهود حثيثة لإثباتها وتحقيقها، هي أن القرآن الكريم هو الميزان والمعيار في تقويم جميع المعارف، وهو مقياس تقويم الحجج والمعارف المكتوبة أو الذهنية أو الشخصية**"،[٤٦] فالرجوع الى القرآن الكريم هو الحل من خلال التدبر في آياته وما فيها من أساليب لغوية وكلامية باهرة للعقول،

ومما تقدم يتضح للباحث مدي أهمية العقيدة في بناء الشخصية الإسلامية الناجحة، فكلما تحصن المسلم بالمعرفة العقيدية كان في مأمن من

---

[٤٥] ينظر: : اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الإسلامية، ص٥٥-٥٦.
[٤٦] ميرزائي، نجف علي، فلسفة مرجعية القرآن المعرفية، ص١٩.

ضلال الافكار الهدامة كالادلجة الغربية وسطوة السلطة الاستبدادية، إن أهم مصادر المعرفة هو العقل الخالص فبه تتجرد التصورات الحسية عن ماديتيها، ومنه تصدر الأحكام الكلية لما تدركه حواسنا وتكتشفه الأرواح من أسرار، وهنا يأتي دور السؤال في تحديد أهم مصادر المعرفة للإنسان، فيكون القرآن الكريم هو أهم المصادر المعرفية، ففي القرآن الكريم الدعوة الجادة الى استثمار العقل والعمل وفق منظوره القطعي،

إن الحديث عن مصادر المعرفة يطول ويتشعب فمصادر المعرفة هي مبحث من مباحث نظرية المعرفة، ويمثّل موضوع المصادر أهمية خاصَّة في النظريَّة المعرفية لأي نسقٍ معرفي، فهو حجر الأساس لأي نسق؛ إذ من المصادر المعرفية تسقى المعارف والأدلة، والرؤية الإسلامية في هذا المبحث هي التي تميزت عن بقية المذاهب والمدارس الفلسفية بالتكامل والشمول، بخلاف تلك المذاهب التي ضيقت المعارف وحصرت طرقها في طريق واحد، فينبغي العناية بهذا الموضوع؛ لأن كثيرا من الانحرافات نتجت عن الخلل في مصادر التلقي، فكما تقدم ظهر لدى المتتبع عدة اتجاهات معرفية ومدارس فكرية تفسر التنمية المعرفية وهي كما يلي:

الاتجاه الحسي: حصر المعرفة في الحس وكل فكرة عندهم ليس لها انطباع حسي فهي وهم لا حقيقة لها.

الاتجاه العقلي: جعل العقل هو سبيل المعرفة الحقيقية وتجاهلوا الاعتماد على الحواس في تلقي المعرفة.

الاتجاه الحدسي: نفى دور العقل والحواس وجعل الطريق لتلقي المعرفة هو الحدس.

إن مصادر المعرفة متنوعة منها النقل والعقل والحس والتجربة، فالإنسان معلوماته تأتيه عن طريق هذه الوسائل المتنوعة، ولا يمكن حصر المعرفة في مصدر منها وتجاهل الآخرين، وللوصول إلى الحقيقة يجب أن يستخدم كلَّ مصدرٍ في مجاله، ومن غيب مصدراً من هذه المصادر أو تجاهله

فقد يكون عاجزاً عن الوصول للحقيقة في بعض الموارد، فمن أراد الحقيقة فعليه بالتوازن وأن يستخدم كل مصدر في موضعه.

إذاً خلاصة القول هي أن مصادر المعرفة من وجهة نظر الاسلام هي: النقل والعقل والحس، والوحي يندرج تحت مصدر النقل، وللعقل في الإسلام دور كبير جدا في كثير من المجالات منها إثبات كثير من المسائل العقدية كوجود الله وتوحيده والنبوة والبعث وهو ما يسمى الغيب المتعقّل، بخلاف الغيب المحض الذي هو من خصائص الوحي، فمن الغيبيات ما يمكن الاستدلال عليها بالعقل ومنها ما لا يمكن التعرف عليها إلا بدلالة الوحي عليها،

إن إثبات العقل للغيب المتعقل هو إثبات مجمل؛ لأن العقل عاجز عن الإثبات الغيبي الذي يختصُّ به الوحي، فإذا لم يأتنا خبر من اللهﷻ يدلُّ عليه فلا يمكن إثباته (مثل نعيم الجنة وعذاب النار وأهوال يوم القيامة ...) فلا تعرف إلّا بالخبر، ولكن يدل عليها العقل دلالة غير مباشرة عن طريق إثبات النبوة بالعقل فإذا ثبت لدينا صدق النبي لزم تصديقه في جميع ما أخبر عنه في الأمور الغيبية المحضة، وإثبات العقل للغيب المتعقل هو إثبات معنى لا إثبات كيفية؛ لأن العقول لا تدرك حقيقتها وكيفياتها؛ لذا ضرب الله الأمثال في القرآن لتقرير مسائل الغيب تنبيها للعقول على إمكان وجودها، فاستدل مثلاً على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة، ولكن العقل لا يدرك كل المصالح، وإن أدركها فقد يغلب عليه الهوى والشهوة، وهذا مشاهد خاصة في بلاد الغرب: تجد أنهم لا يحكّمون العقل في كثيرٍ من القوانين، مثال: الخمر من الناحية العقلية، إذا أراد الإنسان أن يصدر قانونا للدولة ويحكم عقله فالأصل أنه يمنعه؛ لأن له مفاسد أمنية واجتماعية وصحية واقتصادية، هذا ما يقتضيه العقل لكنه مسموح، لأن الشهوة أو مبدأ الحرية الفردية غلبت على العقل، وإثبات الإسلام لدور العقل وفاعليته وتأثيره يجعله بذلك يخالف العديد

من المذاهب والفلسفات التي عطلت دور العقل إما كليا أو جزئيا في بعض المسائل مثل المذهب الحسي: فقد أنكر أتباعه دور العقل والغيبيات لما تقرر عندهم أن الحواس هي المذهب الوحيد للمعرفة.

إذاً العقل هو مصدر آخر من مصادر المعرفة الإنسانية، وبحسب الرؤيا الإسلامية التي وضحت مكانة العقل في الفكر الإنساني، وليس من باب مقابلته بالمذاهب الفلسفية، أو الحسية، أو المادية، إنما خلاصة القول إن العقل هو مصدر مهم من مصادر المعرفة، والعقل له مكانة سامية في المنظومة الإسلامية، وقد وردت الآيات والأحاديث الكثيرة في مدحه وتبيان مكانته، فهو أحد مصادر التشريع في الإسلام.

المطلب الثاني- العلوم الاجتماعية في الفكر الاسلامي

تشكّل الأخلاق الحسنة دور العامل الحاسم في صلاح المجتمع، وتقدم الأمم والشعوب إن كانت قائمة على معايير سليمة، كما تكون أخلاق الشر المنطلقة من قواعد فاسدة عاملاً رئيساً في انحلال المجتمع وفساده، وتفكك روابطه، وسبيلاً لتخلف الأمم والشعوب، فقد قيل في الحكمة:

والصدق أرفع ما اهتز الرجال له وخير ما عود أبناً في الحياة أب

وإنّما الأُمم الأَخْلاقُ ما بقيَتْ فَإِنْ هُم ذَهَبتْ أَخْلاقُهم ذَهَبوا[٤٧]

إن الأخلاق هي تلك الفَلسفة التي تهتمُّ بالجانب العملي في سلوك الإنسان، والوجه العملي من سلوك الإنسان هو المعيار الذي يحكم الآخرون من خلاله عليه، وهو الباب لتمتين علاقته مع غيره، أو السبيل لإفساد علاقته بهم، فضلاً من أن القيم الأخلاقية التي تشكّل حال إلزام ذاتي للفرد ترقى به إنسانياً، وتساعده على تزكية نفسه والسمو بشخصيته فوق الأعراض الزائلة، وبعيداً عن حطام الدنيا ولهوها. بينما ينحط الإنسان المتحلل من الضوابط الأخلاقية إلى تصرفات بهيمية تحصر اهتمامه بمطالب جسدية تفسد عليه إنسانيته، ولأهمية الأخلاق في ضبط المجتمعات وتنظيمها أخذت من جهد الفلاسفة الكثير على امتداد التاريخ، وشغلت اهتمام المفكّرين والكتّاب في العلوم الإنسانية الذين خصصوا حيزاً من كدحهم الذهني، وكتاباتهم لباب الأخلاق، ولكن جهود الأفراد في رسم المعايير والقواعد الأخلاقية تبقى في إطار النسبية لأن للأفراد قناعات ومفاهيم، وأهواء ومصالح تلعب دوراً في ما يكتبون؛ ولذلك نرى كل فيلسوف حسب اهتماماته وواقعه، وعوامل الضغط الاجتماعي في عصره، ووفق موقعه وسط الجماعة قد رسم للأخلاق أُسساً وقواعد تلتقي أو تتمايز عما رسمه غيره.

---

[٤٧] البيتان لشاعر النيل الكبير أحمد شوقي، ينظر: https://adabworld.com/.

إذاً إن أراد الانسان قيماً أخلاقية ترقى عن الفردية والهوى، وتمتاز بالثبات واستمرارية الصلاحية متجاوزة حدود المكان والزمان، فلابد أن يبحثها في الدين؛ لأنه صنعة إلهية، ومن لدن عليم حكيم، ليس فيه سوى هدف الرحمة للعالمين، وصلاح المجتمعات، والوعيد للمفسدين. والدين لم يكن أصلاً إلاّ من أجل تهذيب الإنسان وبيان طريق الخير ويأمره باتباعه، ويعرفه بالشر وينهاه عنه. لذلك لا داعي لإجهاد النفس في سبيل تحديد معايير وقيم تصلح أسساً لفلسفات أخلاقية، فمحاولاتنا لن تتقدم كثيراً عن محاولات من سبقونا، ولن يكون بيننا موقف موحد بل ستكون محاولاتنا سبيل تفتيت للمجتمع، وباباً لإيجاد العصبيات. لذلك من المفيد أن نسلّم بما جاءنا في شريعة الله ﷻ لأنه السبيل لصلاحنا ورقي إنسانيتنا، ولابد أن ينصب جهدنا في فهم ما أنزل الله والالتزام به، وأن يحصر اجتهادنا وجهدنا في التنظير للأخلاق انطلاقاً من ضوابط الشريعة وأحكامها، والتزاماً بما أمر به الله ﷻ، وامتناعاً عن فعل ما نهى عنه سبحانه. وليكن كل منا في دعوته الأخلاقية مقتدياً بأخلاق النبي محمد ﷺ الذي حدد من غايات بعثته الرسالية في إصلاح الأخلاق فقال ﷺ: «**بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**».[٤٨]

لقد أهتم القرآن الكريم بمكارم الأخلاق، وذم مساوئها في آياته المتكررة وسوره المتتالية، بحيث بلغت مجموع الآيات التي تحدثت عن الأخلاق صراحة أو إشارة، أمراً أو نهياً ما يقرب من ربع العدد الإجمالي لآيات القرآن الكريم، ولعل السر في عناية القرآن الكريم بهذا الأصل هو ما ذكره في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾.[٤٩] وتدلُّ الآية أنَ المقصود من البعثة أن يبلّغ الرسول تكاليف الله ﷻ إلى الخلق، وهذا المقصود لا يتم إلاّ إذا مالت قلوبهم إليه، وسكنت نفوسهم لديه، وهذا المقصود لا يتم إلاّ إذا كان رحيماً بهم كريماً عليهم، ويتجاوز عن

---

[٤٨] ينظر: السحمراني، أسعد، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص٩-١٠.
[٤٩] سورة آل عمران:١٥٩

ذنبهم، ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول ﷺ مبرأ عن سوء الخلق، كما وجب أن يكون غير غليظ القلب، بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، كثير القيام بإعانة الفقراء، كثير الصفح عن زلاّتهم،[٥٠] فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن من أهم قواعد وأصول تبليغ هذا الدين القيم هو التحلّي بهذا الخلق الإلهي الرفيع، لأنّ الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ودٍ يسعهم، وحلمٍ لا يضيق بجهلهم، وضعفهم ونقصهم في أمسِ الحاجة إلى قلبٍ كبيرٍ يعطيهم، ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء.... وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياته مع الناس، إذ ما غضب لنفسه قطّ، ولا ضاق صدره لضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم.[٥١]

مما تقدم يتّضح لنا أهمية العنصر الأخلاقي في النظرية القرآنية، وأصالته في العقيدة الإسلامية. لذا نجد أن هذا العنصر له دور أصيل في جميع ما أسسه الشارع في أصوله التشريعية والتهذيبية، فإن القوانين والسنن التي سنها الشارع المقدس، وإن كانت عادلة في حدود مفاهيمها، وأحكام الجزاء وإن كانت بالغة في شدتها صرامة، لا تجري عادة على رسلها في المجتمع، ولا تسد باب الخلاف وطريق التخلّف بين الناس، إلاّ بأخلاق فاضلة إنسانية، تقطع دابر الظلم والفساد كملكة اتباع الحق، واحترام الإنسانية والعدالة وسائر القيم الاخلاقية الفاضلة. وعموماً أن السنن والقوانين لا تأمن التخلّف إلاّ إذا تأسست على أخلاق كريمة إنسانية واستظهرت بها. نعم الأخلاق بمفردها لا تفي بإسعاد المجتمع، ولا تسوق الإنسان إلى العمل الصالح، إلاّ إذا اعتمدت على التوحيد،

---

[٥٠] ينظر: الرازي، فخر الدين الشافعي، تفسير مفاتيح الغيب، ج٩، ص٥٢.
[٥١] ينظر: الحيدري، السيد كمال، مقدمة في علم الأخلاق، ص٧.

وهو الإيمان بأن للعالم ومنه الإنسان، إلهاً واحداً سرمدياً لا يعزب عن علمه شيء، ولا يغيب في قدرته عن أحد، وهو ﷻ خلق الأشياء على أكمل نظام، لا لحاجة منه إليها، وسيعيدهم إليه فيحاسبهم، فيجزي المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته، ثم يخلدون منعمين أو معذّبين في دار الخلود.[٥٢]

إن معرفة الطريق الواجب سلوكه لتحقيق التحلّي بالأخلاق الفاضلة، والتخلي عن مساوئ العادات بحاجة الى الاطلاع على مقدمة علمية مهمة حاصلها: أن هناك علاقة وطيدة بين العلم والاعتقاد القلبي من جهة، وبين العمل الذي يصدر من الإنسان من جهة أخرى. وبتعبير آخر: إن هناك نحواً من السنخية بين العلم والعمل، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ**﴾[٥٣] فالآية الكريمة ترتّب عمل الإنسان على شاكلته بمعنى أن لكل عمل ما يَنَاسبه ويتوافق معه، فالعقيدة بالنسبة إلى العمل كالروح السارية في البدن الذي يتمثّل بأعضائه، وأعماله هيئات الروح المعنوية، وقد تحقّق بالتجارب والبحث العلمي أن بين الملكات والأحوال النفسانية، وبين الأعمال رابطة خاصة، فليس يتساوى عمل الشجاع الباسل والجبان إذا حضرا موقفاً هائلا، ولا يتساوى عمل الجواد الكريم والبخيل اللئيم في موارد الإنفاق في ميزان العقيدة الحقّة.[٥٤]

من هنا يثبت للمتلقّي أن الله ﷻ لا يمكن أن يصدر منه الظلم لا لعدم قدرته على ذلك، بل لعدم انسجام ومسانخة الظلم له عزّ وجل. وهكذا لا تصدر عن المعصوم عليه السلام معصية، لا لأنه غير قادر على ارتكابها، بل لعدم انسجامها مع ذاته عليه السلام المطهرة التي لا يصدر عنها إلاّ العمل الصالح. ثم إنه كما أن كل علمٍ واعتقاد قلبي يترشّح منه نوع من العمل يناسب ذلك العلم كذلك العكس، فإن كل نوعٍ من العمل صالحاً كان أم طالحاً فإنه يتركّز، ويحصل في النفس

---

[٥٢] ينظر: الطبطبائي، السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ج١١، ص١٥٦.
[٥٣] سورة الاسراء:٨٤
[٥٤] ينظر: الطبطبائي، محمد حسين، مصدر سابق، ج١٣، ص١٨٩.

نوعاً خاصاً من العلم والاعتقاد يناسبه وينسجم معه،[٥٥] فقد قال تعالى: ﴿**واعبد ربَّكَ حتّى يأتيكَ اليقينُ**﴾[٥٦].

بعد أن اتضحت هذه المقدمة أذكر مذاهب العلماء في مسالك تهذيب الأخلاق الإنسانية وإصلاحها وهي ثلاثة كما يلي:

المسلك الأول: تهذيب الأخلاق بالغايات الصالحة الدنيوية يقوم على حثّ الإنسان ودفعه وإيجاد الداعي فيه إلى القيام بالأعمال الحسنة، وإلى إصلاح نفسه من خلال الجزاء والمصالح الدنيوية من جاه أو مال أو ثناء أو ذكر حسن، وعلى تحذيره من القيام بالأعمال السيئة وذمها من خلال بيان المساوئ والمضار الدنيوية المترتّبة عليها. إن هذا الجزاء هو اعتباري منقطع وزائل بزوال الدنيا.

المسلك الثاني: تهذيب الأخلاق من خلال الغايات الأخروية

هذا المسلك قائم على دعوة الإنسان وحثّه على الاتّصاف بالخصال الحسنة والحميدة، وعلى اجتناب العادات الرديئة والسيئة، وذلك بالترغيب والترهيب من الجزاء الأخروي ثواباً أو عقاباً. فهاهنا، كما في المسلك الأول، تجارة وعوض ومعوض مؤجلا، ويعطى للإنسان في الآخرة. والظاهر أن أغلب الناس لا يعتني بالعوض المؤجل؛ لأنهم طبعوا على حب الثمن المعجل والاهتمام به، وإن كان أقل قيمة بل لا قيمة له بالنسبة إلى المؤجل، كما في العوض الدنيوي بالنسبة للأخروي،[٥٧] قال الله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾[٥٨]. وعلى كل حال فإن للجزاء الأخروي خصوصيتين مهمتين أيضا هما:

الأولى: أنه يصلح ظاهر العمل وباطنه؛ لأن المجازي هو الله ﷻ الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

---

[٥٥] الحيدري، السيد كمال، مقدمة في علم الاخلاق، ص٩٥.
[٥٦] سورة الحجر:٩٩
[٥٧] ينظر: مصدر نفسه، ص٩٧-١٠٥.
[٥٨] سورة القيامة:٢٠

الثانية: أنّه جزاء دائم لأنّه جزاء أخروي، والآخرة لا تزول لأنّها باقية بإرادة الله ﷻ، وهذا المسلك في إصلاح الأخلاق هو طريقة الأنبياء، ومنه شيء كثير في القرآن وفيما ينقل إلينا من الكتب السماوية.[٥٩]

المسلك الثالث: الحب الإلهي

هو مسلك مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماوية، وتعاليم الأنبياء الماضين عليهم السلام، ولا في المعارف المأثورة من الحكماء الإلهيين، وهو تربية الإنسان وصفاً وعلماً باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوع الرذائل، وبعبارة أخرى إزالة الأوصاف الرذيلة بالرفع لا بالدفع.[٦٠]

هذا ما يمكن استعراضه من أهمية الجانب الاخلاقي في العملية التربويّة الاسلاميّة، وقد تبيّن بشكل واضح مرتكزات هذه المهمة الخطيرة في حياة الناس، وبقي معرفة نتائج وآثار الفكر الإسلامي في الحياة اجتماعية ونظريتها الخاصة.

---

[٥٩] ينظر: الطبطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١، ص٣٥٨.
[٦٠] ينظر: مصدر نفسه، ج١، ص٣٥٩.

المطلب الثالث– نتائج المعرفة الاجتماعية الاسلامية وأثرها

من القضايا التي لها دور أساس في بحث علم اجتماع المعرفي هو موضوع المعارف العقليَّة القبليَّة، وبناء عليه لا يمكن تبني سوى الشيء اليسير من علم اجتماع المعرفة في الفكر والمعرفة؛ وذلك لأنَّنا مع القبول بأصل وجود معارف قبلية فإنَّ مجالاً مستقلاً للعقل البشري سوف يكون ثابتاً، ولن تجد النسبيَّة لها طريقاً إلّا في بعض المعارف.

وثمَّة اختلاف أساسٍ في مصدر المعرفة بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي. وهذا الاختلاف هو من أهم الاختلافات الفلسفية. فالمذهب العقلي يتبنَّى القول بأنَّ المعرفة البشرية لها أساس عقلي، وهي ذات جنبة قبليَّة في الإنسان بنحوٍ يصل إليها الإنسان بشكل مستقل عن الحس والتجربة. وأمَّا المذهب التجريبي فيرى أن التجربة هي الأساس العام لكافة أنواع المعارف المخزونة في الفكر البشري، ولا وجود لأي معرفة إنسانيَّة سابقة، أو مستقلة عن التجربة. حتَّى تلك المعارف التي يبدو أنَّها في أعلى درجات الأصالة في النفس البشريَّة ومنها القضايا الرياضيَّة والمنطقيَّة ترجع بالتحليل إلى التجربة التي توصَّل إليها الإنسان في حياته.[٦١]

من وجهة نظر اسلامية إنَّ جميع المعارف في أصلها لا تبتنى على الحس والتجربة، بل للعقل الإنساني مساحةٌ من المعرفة المستقلة، وبهذا يظهر أنَّ بعض المعارف والإدراكات الأولية للعقل البشري قد تكون مستقلّة تماماً عن المجتمع. وخلافاً لما يتبنَّاه الغربيون من أنَّ المقولات العشر مستقاة من المجتمع ومن التجربة الاجتماعية، بل إنَّ المعارف البشريَّة لا ترتكز كلّها على الحس والتجربة؛ لأنَّ المذهب العقلي يقرر وجود معارف أوليَّة ضروريَّة للعقل البشري، وهذه المعارف الضروريَّة لم تنشأ من الحس، ولا يبدو فيها شيء من التناقضات مطلقاً، فلا يمكن اقتلاع هذه المعارف بالعاصفة التي تثار على الحس

[٦١] ينظر: الصدر، السيد محمد باقر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص ٥٤٧.

والإدراكات الحسيَّة، وما دمنا نملك معارف أولية، فنحن في منجاة عن العاصفة، ومن الميسور أن نقيم على أساسها معرفةً موضوعيَّة صحيحةً،[٦٢] ومن الواضح هنا وجود سلسلة من المعارف الضروريَّة لدى العقل البشري، وضرورته تعني مقارنتها للعقل بقطع النظر عن الارتباط بالمجتمع، أو عدم الارتباط به، وأنَّ هذه المعارف الضروريَّة ونظراً لكونها مصونةً (معصومة)عن الخطأ الناشئ من المعرفة الحسية والتجريبية، يمكن أن تشكّل أساساً ومستنداً للمعرفة الصحيحة والواقعيَّة. وبناء عليه فالكلام المذكور قَد يتلاءم مع علم اجتماع المعرفة بنظرةٍ أولى وفي طورِ التكون، ولكنّه لا ينسجم مع الصورة المفرِطة من علم اجتماع المعرفة حتماً، أي: حيث تكون النسبيَّة حاكمة على أكثر المعارف البشرية.[٦٣]

إنَّ المفاهيم الاجتماعيَّة تفرِض على المجتمع الفرضيَّات المسبقة والأُطر النظريَّة المتبنَّاة من قبل الباحث والمجتهد. نعم الباحث والمجتهد لا مفرَّ له من الخضوع إلى أن تكون عمليَّة الفهم ضمن هذا الإطار، وهذا هو السبب الموجب للخطأ في الفهم. وبناء عليه فإنَّ ههنا نوعاً آخر من التأثير للذهنيَّة المسبقة المبنية على أساس الفهم الاجتماعي على فهم الباحث والفقيه.

وعليه يمكن القول ان أهم نتائج النظرية الاسلامية في علم الاجتماع هي ما يلي:

أولا– الاتسام بصفة الشمولية لكلّ الناس ممن عايشوا أجواء الدولة الاسلامية وحكمها العادل، فأن المجتمع الإسلامي عبر التاريخ كان يتحلى بسمات إنسانية، بدليل أن العناصر الإسلامية وغير الإسلامية اشتركت في عملية البناء الاجتماعي، وكانت الفرص متكافئة أمامها جميعاً لإثبات وجودها وإظهار مهاراتها في مجالات الحياة كلها... وهنا يقول " آدم متز": **(لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان**

---

[٦٢] الصدر، السيد محمد باقر، فلسفتنا، ص ٧.
[٦٣] ينظر: كلوري، السيد رضا، علاقة المعرفة بالمجتمع وجهة نظر الشهيد الصدر، ص٢. مقال

قدمهم راسخاً في الصناعات التي تدر أرباحاً وافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً، وأصحاب ضياع وأطباء. إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة في بلاد الشام من اليهود، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة من النصارى)[٦٤].

ثانياً- الأثر في مجال الفكر المجتمعي، حيث استطاع الفكر الإسلامي منطلقاً من مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية أن يواجه أحداث الحياة المتغيرة، فيضع لها من الأنظمة التفصيلية، والأحكام الاجتهادية الكثيرة والحلول الناجعة المبدعة التي أقامت الحياة الحضارية الإسلامية في تفاصيلها الدقيقة، فأنتجت بذلك مجتمعاً حضارياً، ورقي علمياً شاملاً في المجتمع الإسلامي، كما توسع الإسلام ومفكريه في المعرفة الإنسانية، وحث أتباعه على البحث ومعرفة التاريخ والاستفادة من الأمم السابقة وأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، لأن الحكمة هي ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها.[٦٥]

ثالثاً- من جملة مقررات علم الاجتماع الاسلامي هو الايمان بالخالق ﷻ لهذا الكون بكل ما فيه. وهذا يعني أن الطبيعة لم تخلق نفسها ولم توجد نفسها، بل الله ﷻ هو خالقها وموجدها وهي تسير وفق سنن مطردة ووفق نظام مترابط الأجزاء ومن خلقها هو المقدر لهذه السنن وهذا النظام، والإيمان بالغيب حيث ينقسم العالم إلى قسمين يمكن التمييز بينهما ولكن لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر هما:

أ- عالم الغيب وعالم الشهادة، يتصل عالم الغيب بذات الله جل وعلا وصفاته والحياة الآخرة والملائكة والجن والروح.

ب- يتصل عالم الشهادة بكل ما في الكون من أشياء وأحداث وظواهر وعلاقات تشكل نظام الكون المادي، والعقل أداة للوصول إلى حقائق

---

[٦٤] آدم متز(١٩٩٥)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ت: محمد عبدالهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتاب العربي للنشر، ص: ٤٥٢.

[٦٥] ينظر: شماطة، د. عبد الناصر عبد العالي، مدخل إلى علم الاجتماع الإسلامي، ص١٩.

الطبيعة وهو معرض مع ذلك للخطأ والوحي أداة معرفة عالم الغيب (ما وراء الطبيعة)، والإيمان بأن الله ﷻ هو المشرع للإنسان فهو من وضع للطبيعة سننها، وهو أيضاً من وضع للإنسان عن طريق الوحي المقاييس العامة والدقيقة للخير والشر وحدد معالم الأخلاق والحقوق الثابتة.[٦٦]

إذاً تهدف الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع إلى الإقرار بأن الله ﷻ اصطفى من خلقه من البشر من يبلغ شرعه وقد تمَّ بعث الكثير من الأنبياء عليهم السلام؛ للبلاغ والهداية إلى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه وبه تتحقق سعادة البشرية، فالإيمان بأن الإسلام هو خاتمة الرسالات وهو رسالة عالمية موجهة إلى كافة البشر ضرورة، كما أنه رسالة تامة ومكتملة وصالحة لكل زمانٍ ومكان.

ثالثاً- شمولية النظرة للباحث وتكاملها، فيتميز المنهج الإسلامي عن المنهج الوضعي بدراسة الوقائع المجتمعية المدركة بالملاحظة، مع دراسة المواضيع الغيبية كذلك اعتماداً على وسائل منهجية متنوعة هي: الوحي، والعقل والتجربة.

كما يتميز هذا المنهج بالقوامة والاحتكام إلى المعايير الأخلاقية، واستحضار العقيدة والتوحيد، ونبذ الإلحاد والمغالاة في النزعات المادية، ولا يتوقف المنهج الإسلامي عند وصف الظاهرة المجتمعية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى التقويم والتوجيه والإصلاح في ضوء رؤية ربانية، وإعادة الاعتبار للمنهج الأصولي في المجال العقدي والتشريعي والاجتماعي، فالنظرية الاسلامية تقدم تصوراً كلياً وشمولياً عن الإنسان، والمعرفة، والمجتمع، والتاريخ، والقيم، ضمن نسقية مترابطة ومتعالية عن الزمان والمكان، ومن ثَمَّ فهدفه السمو بالإنسان ذهنياً ووجدانياً وقيمياً وسلوكيا.[٦٧]

---

[٦٦] : شماطة، د. عبد الناصر عبد العالي، مدخل إلى علم الاجتماع الإسلامي، ص٢١.

[٦٧] ينظر: حمداوي، د. جميل، علم الاجتماع بين النظرية الإسلامية والبعد الكوني، ص١٢-١٤.

رابعاً- إن أهم آثار علم الاجتماع الإسلامي هو أنه علم معياري يحاكم الظواهر الاجتماعية والأفعال الاختيارية انطلاقاً من الرؤية الإسلامية، والحكم عليها في ضوء البعد المعياري، بالاستناد إلى القيم والأخلاق الإسلامية. أي: تعتمد النظرية الإسلامية في مجال السوسيولوجيا على مبدأ الالتزام الديني والأخلاقي والعقائدي، ومن هنا يستند الباحث السوسيولوجي إلى عقيدته الإسلامية، والقيم الأخلاقية التي ينص عليها الوحي الاسلامي. وبالتالي، يقارن هذا الباحث بين الواقع الكائن والنظرية الإسلامية. وبتعبير آخر، يقارن بين فقه الواقع وفقه النص، ويبحث عن أوجه التشابه والاختلاف قصد إيجاد الحلول الممكنة والمناسبة لإصلاح المجتمع، أو تعديله أو تغييره جزئيا أو كليا، أو الدعوة إلى الحفاظ عليه، إذا كانت المقارنة لصالح فقه النص.[٦٨]

خامساً- يعتبر التفسير الاسلامي لسلوك الانسان والعالم الكوني تفسيراً معنوياً بالإضافة الى جنبته المادية، كما يعدُّ كلَّ تفسيرٍ يتجاهل المعنى تفسيراً ناقصاً يجافي الحقيقة، فيتمتع الانسان وظواهره العامة بقسط وافرٍ من الغيب العابر للطبيعة، فضلاً عن الجوانب المادية الحاكية عن ظاهره القويم.

إن النظرة الاسلامية للبعد المعنوي الشامل للإنسان والعالم تكون في طول هذا الوجود المادي لا في عرضه، فالوجودان متلازمان ويترتب وجود أحدهما على الآخر وجوداً وأثرا.[٦٩]

لقد تميزت النظرة الاسلامية بحقيقة إمكان تأثير الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه، وليس التأثير يكون أحادي القطب بتأثير المجتمع في أفراده فقط، وهو ما قالت به النظرية الغربية التي أحالت الحياة الاجتماعية الى سجنٍ مؤبد يقيد مصير الانسان بمجتمعه ويحدد سلوكه بالتأثير المادي فقط.

من هنا يتضح أن الرؤية الاسلامية للمجتمع الصالح ترفض التقليد واتباع الاسلاف من دون حجة وعلم، بل تدعو الى النظر والتفكير في حقائق

---

[٦٨] حمداوي، د. جميل، علم الاجتماع بين النظرية الإسلامية والبعد الكوني، ص٢٧.
[٦٩] ينظر: بارسانيا، د. حميد، العوالم الاجتماعية، ص٢٨٩.

الأمور، وأخذ الدروس والعبر من قصص الماضين وسننهمِ الاجتماعية، كسنّة ظهور الأمم وسقوطها بالنظر في الأسباب المعنوية، وسنة الامتحان الالهيَ والابتلاء العام للأمة، وسنن التنبيه بالرسل والانبياء، والعقاب والثواب، والمكر والاستدراج، وانتصار الحق وزهق الباطل وإن طال أمده.

الفصل الثاني- آثار الإمام الحسين عليه السلام الاجتماعية قبل شهادته

المبحث الأول- الأثر الأخلاقي من سلوكه عليه السلام

المطلب الأول- سلوكه عليه السلام مع ربه عز وجل

المطلب الثاني- سلوكه عليه السلام مع خاصته

المطلب الثالث- سلوكه عليه السلام مع عامة الناس

المبحث الثاني- آثار حواره عليه السلام القرآني في الاثبات العقدي

المطلب الأول- حواره عليه السلام القرآني في إثبات الصانع وصفاته

المطلب الثاني- حواره عليه السلام القرآني في إثبات الخلافة الشرعية

المطلب الثالث- حواره عليه السلام القرآني في إثبات شرعية ثورته

المبحث الثالث- آثار أسلوبه عليه السلام العقلي في التنمية العقدية (السؤال المجازي أنموذجا)

المطلب الأول- إثباته عليه السلام لوجود الله عز وجل

المطلب الثاني- إثباته عليه السلام لمبدأ الإمامة

المطلب الثالث- جداله عليه السلام مع أعدائه

المبحث الأول- الأثر الأخلاقي من سلوكه عليه السلام

استهلال- ومضةٌ من سيرته عليه السلام

الإمام الحسين بن علي أبي طالب عليهما السلام، المعروف بسيد الشهداء، والمكنى بأبي عبد الله (٤هـ - ٦١ هـ)، ثالث أئمة الشيعة المعصومين.

تولّى أمر الإمامة بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام لأحد عشر عاماً حتى استشهاده في واقعة الطف يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ. وهو السبط الثاني للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسيناً بعد ولادته، وأخبر أنه سوف يقتل على يد مجموعة من أمته. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الحسن والحسين عليهما السلام حباً شديداً، ويدعو صلى الله عليه وآله وسلم الآخرين لحبهما أيضاً.

ويعد الامام الحسين عليه السلام أحد أصحاب الكساء الذين نزلت في حقّهم آية التطهير وآية المباهلة. ووردت روايات كثيرة عن جده صلى الله عليه وآله وسلم في فضله عليه السلام، منها: **((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وإن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة))**.

وفي العقود الثلاثة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر إلّا القليل من سيرته عليه السلام، فكان سنداً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام حينما تولّى الخلافة، وشارك في جميع مشاهد تلك الحقبة.

ووقف عليه السلام مسانداً لأخيه الحسن عليه السلام في الصلح مع معاوية. وبعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام بقي ملتزماً بالصلح، ولذلك عندما

راسله شيعته وأظهروا استعدادهم في مساندته كإمام لهم للقيام بوجه حكومة بني أمية دعاهم بالصبر والتريث لحين موت معاوية.

لقد تزامن عهد إمامته عليه السلام مع حكومة معاوية، وكان له عليه السلام موقفاً معارضاً لحكم معاوية، فمنه توجيه رسالة تدين معاوية على قتل حُجر بن عدي رضي الله عنهما، كما أنه عليه السلام في مجريات مساعي معاوية لاستخلاف ولدَه يزيد استنكر ذلك على معاوية وأبى مبايعته، وبين عليه السلام بعض صفات يزيد التي تدل على فسقه وانغماسه في الملذّات، وأكّد للحاضرين على مكانته وحقه عليه السلام بالخلافة والإمامة. ومن أهم المواقف السياسية المعارضة للسلطة الحاكمة هي خطبته عليه السلام في منى، ورغم هذا ورد أن معاوية كان في الظاهر يكن كامل الاحترام للإمام الحسين عليه السلام يتبع في ذلك من قبله من الحكّام.

بقي الامام الحسين عليه السلام على موقفه الرافض لبيعة يزيد حتى بعد هلاك معاوية واعتبرها غير شرعية، فبعدما أصدر يزيد أمراً بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وقتله في حالة امتناعه عنها، خرج عليه السلام مع أهل بيته من المدينة في اليوم الـ ٢٨ من رجب سنة ٦٠ هـ متجهاً إلى مكة.

وفي فترة إقامته بمكة استلم رسائل كثيرة من أهل الكوفة تدعوه فيها بالقدوم إليهم حتى يبايعوه وأن يسمعوا له ويطيعوه، فأرسل لهم ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما سفيراً عنه ليعرف مدى مصداقية دعواتهم له، فلما أرسل مسلم رسالة يخبر الإمام الحسين عليه السلام بصدق دعوات الكوفيين والبيعة له غادر الحسين عليه السلام مكّة متّجهاً إلى الكوفة

في الـ ٨ من ذي الحجة وذلك قبل أن يطّلع على نبأ نكث الكوفيين عهودهم واستشهاد مسلم بن عقيل على يد عبيد الله بن زياد.

كان ابن زياد والياً على الكوفة عندما كان الحسين عليه السلام قادماً إليها، فلما وصل هذا الخبر إلى ابن زياد أمر بجيش يمنع الحسين عليه السلام عن مسيرة تقدمه نحو الكوفة، فأجبر الحر بن يزيد _وهو على رأس ألف فارس_ الحسين عليه السلام أن يعدل عن الطريق، ثم النزول بأرض كربلاء، فلما تجمعت الجيوش بقيادة عمر بن سعد محاصرة ركب الحسين عليه السلام دارت حرب غير متكافئة في يوم عاشوراء بين معسكر الحسين عليه السلام في (٧٢ رجلاً)، وجيش ابن سعد، مما أدت إلى مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه جميعاً رضي الله عنهم. ثم أُخذت النساء والأطفال ومعهم الإمام السجاد عليه السلام الذي كان وقتها مريضاً سبايا، وأرسلوا إلى الكوفة ومنها إلى الشام. وبقيت أجساد الشهداء على صعيد الأرض حتى دفنهم بنو أسد في ١١ أو على رواية في ١٣ من محرم.[٧٠]

[٧٠] ينظر: https://ar.wikishia.net/view/ويكي الشيعة. مقال

المطلب الأول– سلوكه عليه السلام مع ربه عز وجل

من يستعرض حياة الامام الحسين عليه السلام يستوقفه علاقته بالله عز وجل، وهي عند واحدة من القيم الّتي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، والتي طبعت شخصيَّته عليه السلام في كل مراحلها، ولم تغادره عليه السلام حتى اللحظات الأخيرة من حياته، ن التشيع للحسين يعني مشايعته في أخلاقه وأهدافه، ولا يكفي مجرد الحب في القلب مالم يتبعه عمل يحبه المحبوب. فهذا هو الواجب الديني الذي نبهنا إليه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: " وهل الدين إلّا الحب؟! إن الله عز وجل يقول: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾،[٧١] فقد عاش عليه السلام أسمى معاني الحب لله عز وجل، وقد عبرت عن ذلك فقرات دعاء يوم عرفة، وهو الدعاء الذي يفيض حباً وتقديراً وشكراً لله عز وجل على نعمه وعطاياه؛ تعبيراً عن عمق هذه العلاقة. فقد جاء فيه:

"**اللّهُمَّ اجعَلني أخشَاكَ كأنّي أراك، وأسعدْني بتَقواك، ولَا تُشْقني بمعصيتك، ... اللّهمَّ اجعل غناي فيَ نفسي، واليقينَ في قَلبي، والإخلاص فَي عملي، والنّور في بصري، والبصيرة في ديني**"[٧٢].

وفي فقرة أخرى من هذا الدعاء، يستعرض عليه السلام مراحل خلق الإنسان، والرعاية التي خصَّه الله عز وجل بها في مرحلة من هذه المراحل، والتي تستوجب شكراً وإقراراً بالربوبية له عز وجل :

"**اللّهمَّ إنّي أرغب إليك، وأشهد بالربوبية لك، مقراً بأنّك ربي، وأنَّ إليك مردّي، ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، فأوجبت عليَّ حجتك بأن ألهمتني معرفتك... فسبحانك سبحانك من مبدئ معيد، حميد مجيد...**"، ثم يدخل الإمام عليه السلام في تفاصيل نعمِ الله ومننه عز وجل، فيقول: "**يا من حفظني في صغري، يا من رزقني في كبري، يا من أياديه عندي لا تحصى، ونعمه لا تجازى، ... فلك الحمد والشّكر، يا من أقال عثرتي، ونفّس كربتي، وأجاب**

---

[٧١] ينظر: البحراني، عبد العظيم المهندي، أخلاق الامام الحسين، ص٣٩.
[٧٢] القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص٢٦٩-٢٧٠.

دعوتي، وستر عورتي، وغفر ذنوبي، وبلغني طلبتي، ونصرني على عدوي، وان أعد نعمك ومننك وكرائم منحك لا أحصيها".[٧٣]

للإمام عليه السلام عدة صيغ في دعائه عليه السلام المظهر لتلك العلاقة، وما حصل ليلة العاشر من المحرَّم عندما جاء إليه العباس رضي الله عنه قائلاً له: إن القوم استعدوا للقتال ويريدون الهجوم، فقال عليه السلام له: "**ارجع إليهم واستمهلهم هذه العشية إلى غدٍ، لعلّنا نصلّي لربّنا اللّيلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار**"،[٧٤] وهنا يتأمل القارئ كيف سمت علاقته بربه إلى هذا المستوى، فهو لا يحب شيئاً كحبه للصَّلاة وتلاوة القرآن والدعاء والاستغفار، ولا يريد لأي شيء أن يبعده عنها.

وتذكر السيرة أنَّ الحسين عليه السلام وأصحابه باتوا ليلة العاشر ولهم دوي كدوي النَّحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، وعند الصباح من ذلك اليوم الرهيب رمق الامام الحسين عليه السلام السماء بطرفه، وجموعهم كأنها السيل المنحدر دعا بمصحف فنشره على رأسه وأقبل على الله يدعوه ويتضرع إليه قائلاً عليه السلام: "**اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة**"[٧٥].

وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه في اللّيلة التي قُتل أبي في غدها، قام اللّيل كله يصلّي، ويستغفر الله ويدعو ويتضرع."

وفي يوم العاشر، وفي أصعب الأوقات وأحلك الظّروف، حرص على ألا يفوته عليه السلام اللّقاء بربه عز وجل، فعندما جاء إليه من يقول له: حان وقت الصلاة، أدى عليه السلام الصلاة جماعةً بأصحابه، رغم السّهام التي كانت توجَّه إليه. حينها، وقف أحد أصحابه أمامه يحميه بجسده، حتى نخرت السهام جسده، وسقط شهيداً بعد انتهاء الحسين عليه السلام من صلاته.[٧٦]

---

[٧٣] القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص٢٧٠.
[٧٤] المقرم، السيد عبد الرزاق، مقتل الامام الحسين عليه السلام، ص١٦٢.
[٧٥] القرشي، الشيخ باقر شريف، حياة الإمام الحسين، ج٣، ص ١٨٠.
[٧٦] ينظر: بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤١.

هذا هو سلوك الامام الحسين عليه السلام مع ربّه عزّ وجلّ، فإذا أردنا أن نضيء على أبرز معالم شخصيَّته، فإننا لا نراها إلا في هذا الحب الدَّافق له، هذا الحبّ هو الّذي جعله يبذل كلَّ شيء ويضحي بكل شيء في كربلاء لأجله عزّ وجلّ، كان يرى الموت سعادة، ولأجله كان لا يرى الألم، حتى لو كان بحجم ذبح ولده الرضيع بين يديه، والذي عبَّر عنه بقوله" :هوَّن ما نزل بي أنه بعين الله"، ولسان حاله في ذلك:

تركت الخلق طُراً في هواك وأيتمت العيال لكي أراك

فلو قطّعتني بالحب إرباً لَما مال الفؤاد إلى سواك[٧٧]

ويروى أنه عليه السلام سائر مع أنس بن مالك فأتى قبر خديجة عليها السلام، فبكى ثم قال: اذهب عني قال أنس: فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه في الصلاة سمعته قائلا عليه السلام:

"يا رب يا رب أنت مولاه * فارحم عبيداً إليك ملجاه

يا ذا المعالي عليك معتمدي * طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادما أرقاً * يشكو إلى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم * أكثر من حبه لمولاه

إذا اشتكى بثه وغصته * أجابه الله ثم لباه

إذا ابتلى بالظلام مبتهلا * أكرمه الله ثم أدناه

فنودي:

لبيك عبدي وأنت في كنفي * وكلّما قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتي * فحسبك الصوت قد سمعناه

دعاك عندي يجول في حجبٍ * فحسبك الستر قد سفرناه

لو هبت الريح من جوانبه * خر صريعاً لما تغشاه

---

[٧٧] لقد ذكر الأبيات أبو فرج عبد الرحمان بن رجب الحنبلي في كتابه (كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، ص٢٧) إلا أنه نسبها إلى إبراهيم بن أدهم، وهو أحد الزهاد المشهورين. ينظر: الصدر، السيد محمد، أضواء على ثورة الامام الحسين عليه السلام، ج١، ص٩٤. هامش

سلني بلا رغبة ولا رهبٍ * ولا حساب إنّي أنا الله [٧٨]

فله عليه السلام من العبادة نصيب كبير منها وخصوصية، هي: أنه اشتغل بها في بطن أمه عليها السلام، فكانت تسمع منه الذكر والتسبيح إلى إن رفع رأسه على الرمح، وسمع منه عليه السلام الذكر وقراءة القران، وهذه الخصوصية زائدة على ما وصفه الامام السجاد عليه السلام حين قيل له ما اقل ولد أبيك؟ قال عليه السلام: العجب كيف ولدت له!، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.[٧٩] هذا غيضٌ من فيضِ علاقته عليه السلام بالله عز وجل ذكرتها باختصار لضيق المقام.

---

[٧٨] المجلسي، الملا محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٣.
[٧٩] ينظر: التستري، الشيخ جعفر، الخصائص الحسينية، ص٣٧-٣٨.

المطلب الثاني- سلوكه عليه السلام مع خاصته

إن سيرة أهل البيت عليهم السلام قدوةٌ عمليةٌ للسلوك الأخلاقي الأصيل، والذي يدعو إلى التحلّي بالخلق الكريم الذي يبرز هوية الإنسان في انفتاحه على ربه وعلى إنسانيته. ومن أئمة أهل بيت الله عز وجل هو الإمام الحسين عليه السلام، السبط الشّهيد الّذي جسد في أقواله وأفعاله أخلاق جده رسول الله وأبيه علي وأمه الزهراء عليهم السلام. لقد خطّ الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته وشيعته مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وأمرهم بالتحلّي بها ليكونوا قدوة لغيرهم، وتوجيه الناس إلى الحق والخير، وإبعادهم عن نزعات الشر من الاعتداء والغرور وغير ذلك.

سئل عليه السلام يوماً عن خير الدنيا والآخرة، فأجاب عليه السلام: "**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنّه من طلب رضى الله بسخط النّاس، كفاه الله اُمور الناس، ومن طلب رضى النّاس بسخط الله، وكله الله إلى النّاس. والسلام**"[٨٠].

عرفه التأريخ بنفسٍ كبيرةٍ حيث كان عليه السلام يعين الفقراء والمحتاجين من خاصته، ويحنو على الأرامل والأيتام منهم، ويثلج قلوب الوافدين عليه، ويقضي حوائج السائلين من دون أن يجعلهم يشعرون بذل المسألة، ويصل رحمه دون انقطاع، ولم يصله مال إلاّ فرقه وأنفقه بينهم، وهذه سجية الجواد وشنشنة الكريم وسمة ذي السماحة والكرم، فكان يحمل في دجى الليل البهيم جراباً مملوءاً طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى حتّى شهد له بهذا الكرم معاوية بن أبي سفيان، وذلك حين بعث لعدة شخصيات بهدايا، فقال متنبئاً : أما الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن.[٨١]

وفي موقف مفعمٍ باللّطف والإنسانية والحنان جعل العتق رداً للتحية، فقد روى عن أنس قوله: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة

---

[٨٠] الصدوق، محمد بن بابويه، الأمالي، ص٢٦٨.
[٨١] ينظر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، ج١، ص٤٠-٤١.

ريحان فحيته بها، فقال عليه السلام لها: "أنت حرة لوجه الله تعالى"، فانبهر أنس وقال: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟! فقال عليه السلام: "كذا أدبنا الله عز وجل، قال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾، وكان أحسن منها عتقها".[٨٢]

إن الأخلاق الإسلامية التي تجسدت في سلوك الإمام الحسين عليه السلام تبينت معانيها ومفرداتها العملية وكيفية تطبيقها أيضا، حيث كان عليه السلام في عصر قد ذهبت الأخلاق والقيم عن الناس؛ لإدبارهم عنها عودة إلى الجاهلية الأولى، وفي الظلام يرى الضياء متلألئاً جذاباً، وهكذا إنما تبقى علينا مسؤولية التحلّي بهذه الأخلاق وفق الاجتهاد المفتوح على حدود الله بمفتاح العقل المتخلق بأخلاق الله، ومهما تكون النفسية البشرية معقّدة والتي جاءت المستحدثات العصرية لتزيدها عقدة وتعقيدا، فأن الأخلاق العملية عند الحسين عليه السلام ليست عقيمة الحلول وعاجزة عن الأخذ بأيدينا إلى العروج نحو القيم المثلى؛ وذلك لوجود الفطرة النقية في باطن الإنسان وهي من الثوابت التي رسخها خالقها فيه؛ كي تكون المرجع الأول والقاعدة الأساس والصلبة لتلقي الخير واستلهام الحكمة العملية وانطلاقة الإنسان الأخلاقية في كل عصر مع الاستقامة على مدلولاتها.

إن تلك الفطرة والتي تسمى عند الناس اليوم بالضمير وعند الفلاسفة بالعقل العملي لن تتغير ولن ترضخ لتوجيه صاحبها المخطئ وأنى لها ذلك وقد أراد الله عز وجل لها أن تكون رسوله في باطن الإنسان إلى ساعة موته، كما أرسل الله عز وجل الرسل العاملون من حوله، إنهما رسالتان متعانقتان متلاحمتان من رسولين متعاونين في داخل الإنسان خارجه. فكما الرسول الظاهري لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، كذلك الرسول الباطني يتناغم مع تعاليم الوحي ولا يتنافر معها أبدا.[٨٣]

---

[٨٢] المجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية، ج١، ص٤٠.
[٨٣] ينظر: البحراني، عبد العظيم المهندي، أخلاق الامام الحسين عليه السلام، ص١٨-١٩.

عرف عليه السلام بغيرته الشديدة على حريمه وعياله من التعرض لنظر الأجانب فضلاً عن أذى الأعداء، فحين آيس الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من القوم، وعلم أنهم قاتلوه أقبل على أصحابه فقال عليه السلام:

"**قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه الخندق وأججوا فيه ناراً، حتى يكون قتال القوم من وجه واحد، لا يقاتلون فنشتغل بحربهم ونضيع الحرم**"، فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقا، ثم جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار.[٨٤]

ثم أنه عليه السلام خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفّت بهم إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.[٨٥]

لقد أظهر الإمام الحسين عليه السلام أجلى معالم الرضا والتسليم لقضاء الله عز وجل وقدره عز وجل، فقد شدَّ على قلوب أهل بيته بالصبر والرضى بقضاء الله عز وجل، فلما رأى عليه السلام النساء يبكين عليه ليلة عاشوراء، وسمع أخته أم كلثوم تنادي: "**واضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله!**" عزّاها عليه السلام وقال لها: "**يا أختاه! تعزي بعزاء الله عز وجل، فإن سكّان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون. ثم قال: يا أختاه! يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة (ابنته)، وأنت يا رباب (زوجته) ينظرن إذا أنا قُتلت.. فلا تشققن علي جيبا، ولا تخمشن علي وجها، ولا تقلن هجرا**"[٨٦]. وكان درسا في الصبر، وفي العزة والإباء أمام أعداء الله. وفي الوداع الثاني لعياله أمرهم بالصبر، وقال: استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة. فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من

---

[٨٤] الخوارزمي، أبو المؤيد أحمد المكّي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٢٤٨.
[٨٥] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٣، ص٣١٧.
[٨٦] ابن طاووس، السيد علي ابن موسى الحلي، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٣٤.

قدركم. وقد أخذت هذه الموعظة طريقها إلى قلوب العيال، فكان منهم الثبات والصبر والإباء، والعزة والشموخ.. فهذه سكينة ابنته (لم يتضعضع صبرها، ولا وهى تسليمها للقضاء الجاري، ولم يتحدث المؤرخون عما ينافي ثباتها على الخطوب في الكوفة والشام مع ما لاقته من شماتة ابن مرجانة.[٨٧]....

ومن شدة حرصه على حريمه كان لا يطيق رؤية بكاء احداهن، وقبيل شهادته عليه السلام دعا ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتحف بها، وأفرغ عليه درعه الفاضل، وتقلّد سيفه، واستوى على متن جواده، وهو غائص في الحديد، فأقبل على أم كلثوم عليها السلام، وقال لها: أوصيك يا أخية بنفسك خيراً، وإني بارزٌ إلى هؤلاء القوم. فأقبلت سكينة وهي صارخة، وكان يحبها حباً شديدا، فضمها إلى صدره ومسح دموعها بكمه، وقال عليه السلام:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي * منكِ البكاءُ إذا الحمامُ دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً * ما دام منّي الروحُ في جثماني
فإذا قتلت فأنتِ أولى بالذي * تأتينه يا (خيرة النسوان)[٨٨]

لقد كان الامام الحسين عليه السلام حريصاً على ألا يرى أية أمارة حزن أو انكسار من نسوته وأهل بيته، ولا يود أن يرى شامتاً يرنو اليهن بلمح بصرٍ، وهذا من دروسه عليه السلام لشيعته ومحبيه؛ ليكونوا غيورين على عرضهم وناموسهم.

---

[٨٧] ابن طاووس، السيد علي ابن موسى الحلي، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٦١.
[٨٨] الطريحي، الشيخ فخر الدين، المنتخب، ص٤٥٠.

المطلب الثالث– سلوكه عليه السلام مع عامة الناس

يلزم تغيير المجتمع الى قلب نظام الأخلاق، ويحتاج الإمام عليه السلام من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود إلى إحداث زلزال في ضمير الأمة الباطن، وعقلها الكامن يؤدي إلى تحريك ضميرها بنبضِ الحياة، فيفجرها بالندم والحزن، ويخرجها من واقعها الأخلاقي المتداعي إلى واقع خلقي رفيع، دعامته الجهاد والتضحية، وركائزه المواقف المزينة باللوامع الخلقية الشريفة، من قبيل التضحية والفداء ونكران الذات وغيرها من الفضائل، وحينئذ تكون هذه الهزة التي حدثت على حين انسياق وغفلة من الأمة بمثابة قوة الدفع لها، ولن تقتصر على الجيل المعاصر أو التالي له بل تكون صالحة لكلّ الأجيال التي تأتي بعده، تمدها بالحركة النازعة صوب الكمال المطلوب علىَ أن يكون هذا الزلزال من القوة والتنوع بحيث يرادف الحياة، فيجري في الأجيال خلفاً عن سلف، وصاغراً عن كابر، وهكذا دواليك، وحينئذ يكون بيد الأجيال جذوة متقدة تضئ حوالك خبايا الزمن، وأداة استنهاض وإثارة إذا طرأت على الأمة ظروف ماثلت تلك الظروف التي عاصرت الزلزال الأول.

لقد تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع الناس بالصدق والصراحة والرفق، وأدلى للناس بنصحه وموعظته ودعوته على وجه البساطة والوضوح. فحينما أراد عليه السلام أن يخرج إلى كربلاء وقف في مكّة المكرمة، وخطب الناس قائلاً: "**خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه. كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفاً، وأجربة سغَبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم... ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله**".[٨٩]

جاء في الأثر أن الحسن والحسين عليهما السلام مرا على شيخٍ يتوضأ ولا يحسن، فأرادا عليهما السلام أن يعلماه بطريقة لا تحرجه، فأخذا عليهما السلام في التنازع يقول كلٌّ واحد

---

[٨٩] ابن طاووس، السيد علي ابن موسى الحلي، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٤٣.

منهما: أنت لا تحسن الوضوء، فقالا: أيها الشيخ! كن حكماً بيننا، يتوضأ كلُّ واحد منا. فتوضئا عليهما السلام ثم قالا: أينا يحسن؟ قال: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما، وتاب على يديكما، ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما.[٩٠] أيُّ أخلاقٍ هي! إنها أخلاق من عصمه الله عز وجل، وهما صغيران لم يحرجا شيخاً يتوضأ ولا يعرف كيف ينبغي أن يتوضأ، فعلّماه دون أن يقللا من قدره.

إنَّ أعرابيا جاء إلى الحسين عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله، إني قد ضمنتُ ديةً كاملةً وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم النّاس، وما رأيتُ أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقالَ الحسين عليه السلام: يا أخا العرب! أسألُك عن ثلاث مسائل: فإن أجبت عن واحدة أعطيتُك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتُك ثلثي المال، وإن أجبت عنَّ كلِّ أعطيتك المال كلَّه.

فقالَ الأعرابيُّ: يا بن رسول الله ! أمثلُك يسأل من مثلي وأنت من أهل العلم والشّرف؟!

فقالَ الحسين عليه السلام: بلى، سمعتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقالَ الأعرابيُّ: سل عما بدا لك، فإن أجبتُ وإلّا تعلّمتُ الجواب منك، ولا قوّة إلّا بالله.

فقالَ الحسين عليه السلام: أيُّ الأعمال أفضل؟

فقال: الإيمان بالله.

قال عليه السلام: فما النّجاة من الهلكة؟

قال: الثّقة بالله.

قال عليه السلام: فما يزين الرَّجل؟

قال: علم معه حلم.

---

[٩٠] التستري، الشيخ جعفر، الخصائص الحسينية، ص٢٢.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: فمال معه مروءة.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: فقر معه صبر.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: فصاعقةٌ تنزل من السَّماء فتُحرقُه!

فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصرَّة إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصٌّ قيمته مئتا درهم، وقال له: يا أعرابيُّ، أعط الذهب لغرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك.

فأخذ الأعرابيُّ ذلك منه ومضى وهو يقول: "الله أعلم حيث يجعل رسالته"[٩١].

وفي الخبر أنه وفد أعرابي المدينة، فسأل عن أكرم الناس بها، فدلَّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن * حرك من دون بابك الحلقه

أنت جواد وأنت معتمد * أبوك قد كان قاتل الفسقه

لولا الذي كان من أوائلكم * كانت علينا الجحيم منطبقه

قال: فسلّم الحسين عليه السلام، وقال: "يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟ " قال: نعم أربعة آلاف دينار، فقال عليه السلام: "هاتها، قد جاءها من هو أحق بها منا"، ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها، وأخرج يده من شق الباب حياء من الاعرابي، وأنشأ عليه السلام: "خذها فإني إليك معتذر * واعلم بأني عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا * أمست سمانا عليك مندفقه

لكن ريب الزمان ذو غير * والكف مني قليلة النفقة

---

[٩١] الخوارزمي، أبو المؤيد أحمد المكّي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٥٧؛ نقلاً عن موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٩، المؤلف: سيد محمود طباطبايي نژاد، محمد الرى شهرى.

قال: فأخذها الاعرابي وبكى، فقال عليه السلام له: " لعلك استقللت؟ قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك؟".[٩٢]

وفي ذي الحسمى ظهر الكرم والشجاعة معاً لما اعترض جيش الحر بن يزيد التميمي حركة جيش الامام الحسين عليه السلام نحو الكوفة، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حر الظهيرة، والحسين عليه السلام وأصحابه معتمون قد تقلّدوا أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: "اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفا" ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر، حتى سقوها كلّها، .... وسار الحسين عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره وهو يقول له:

يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، فقال له الحسين عليه السلام: "فبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخوفه ابن عمه وقال: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مثبورا وباعد مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم * كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما.[٩٣]

لقد دلّت مواعظ الإمام الحسين عليه السلام ومواقفه على اهتمامه الغيور بالناس جميعاً وحرصه عليه السلام على الفوز بالسعادتين: الدنيوية، والأخروية، إذاً كانت مواعظه أخلاقاً، حيث عبرت عن حالات أخلاقية ملؤها الطيبة والإنسانية في أرقى آفاقها، فقد نوى خيرا، وعمل خيرا، إذ نفع الناس أجيالاً متتابعة متعاقبة، فكان خير الناس، لا سيما وقد خلصت نيته لله عز وجل، وبرئت من كلِ شائبة وخاطرة،

---

[٩٢] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٧، ص٢٣٧.
[٩٣] ينظر: المفيد، محمد بن النعمان العكبري، الارشاد، ج٢، ص٧٨-٨١.

شاردة أو واردة تبتعد عن طلب مرضاة الله ﷻ، أو تقصد غير وجه الله ﷻ. ولكي نتعرف على أخلاق الإمام الحسين عليه السلام من خلال مواعظه، وحكمه وبياناته علينا التدبر بعقل متبصر، وقلب نير، وروحٍ متفتحة.. هذه الروايات الشريفة، وتلك الجمل المنيفة، التي تخبرنا عن مواقف متعالية سامقة في دنيا الأخلاق، معبرة عن كرمِ الإمام الحسين عليه السلام، إضافةً إلى تعبيرها عن علمه الجم وشجاعته الباسلة، ومعرفته النورانية، فيحسن بنا أن نعرف أن الإمام الحسين عليه السلام كان سلوكه كلّه أخلاقاً قويمةً طيبة، شهد بذلك العدو والصديق، حتى أن مبغضيه لم يستطيعوا أن يظفروا بشيء يعاب فيه، بل لم يملكوا إلّا أن يمدحوه ويثنوا عليه –والفضل ما شهدت به الأعداء–، وما كان منهم إلّا التعبير عن حسدهم له، وحسدهم دال على فضله عليهم. وهذا التاريخ لم يدون عليه عليه السلام إلّا الفضائل والمناقب والمكارم، فالأخلاق الإلهية تجسدت فيه، فعبر عنها بشخصه الشريف عليه السلام، قبل منطقه الحكيم، لذا جاءت مواعظه نافعةً أبلغ النفع، مؤثرة أبلغ التأثير، ليس في زمانه فحسب، بل تعدت حدود القرون والعصور.

لقد جاءت أخلاقه عليه السلام مفصحةً عن مطاليب الشريعة الإسلامية وغاياتها، واتسمت أخلاق الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والمراعاة، فكانت موزونة أدق وزن، تراعي الظروف الموضوعية، وتراعي حالة السامع والناظر، من حيث مستواه وطبيعته ومدى استعداده وتقبله. لذا نجدها أساليب مفيدة في التربية والتوجيه، والإرشاد والتعليم كمدرسة عابرةٍ لجميع الأجيال.

المبحث الثاني آثار حواره عليه السلام القرآني في الاثبات العقدي

تهيئة

كيف لا يكون منطق الامام الحسين وسلوكه مستمداً من وحي القرآن الكريم وقد تربى في حجرِ النبوة ورضع من صدرِ الإسلام. إن ديدن سيرة أئمة أهل البيت عامة والإمام الحسين خاصة هو التزام الحوار القرآني مع المخالفين ما استطاعوا اليه سبيلاً، ولا ملجأ للحرب والقتال في قاموس فكرهم الّا إذا اضطرهم العدو إليها وبعد الإعذار بالنذر؛ لأن الغاية من وجودهم وتحملّهم عبأ الرسالة هو هداية الضالين ونجاة المسترشدين حتى دخولهم في واسع رحمة الله تعالى، فالحرب تقتل تلك الغاية المرتجاة وتحجب المقابل عن تلك الرحمة الواسعة، ولا ربح لمنتصرٍ في القتال والحرب ضمن رسالة ومفهوم الائمة عليهم السلام، وربما حزن الإمام علي وتوجع لقتلى العدو كما هو حاله عليه السلام في حرب الجمل حيث قال عليه السلام: شفيت نفسي، وقتلت معشري، إلى الله أشكو عجري وبجري،[٩٤] وتأوه الإمام الحسين لجناية عدوه بحقّه وبحق أهل بيته وصحبه؛ لأن عدوه سيدخل النار بسبب تلك الجناية.

لقد تخلّد الخطاب الحسيني عبر الأجيال المتعاقبة، فلم يكن خطاباً مؤقتاً يتوجه لفئة من الناس أو مرحلة زمنية معينة، بل كان خطاباً يحمل منهج ثورة شاملة مؤسساً لمدرسة فكريّة ينهل منها الأحرار في كلّ زمانٍ ومكان، فخلود الخطاب الحسين مقترنٌ بخلودِ الخطاب القرآني المعجز ومتفرع عنه كغصنِ شجرةٍ مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء. إن أهم ما يميز الخطاب الحسيني هو التنوع في التراكيب والأسلوب وبلاغة الدلالات المتكاثرة عند تعدد القراءات وتعمق التحليلات غوراً في استجداء معانيه المتنامية، حيث يجد المتأمل لذلك

---

[٩٤] ينظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤٩؛ وطه حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ج٢، ص٦١.

الخطاب من الجمل الانشائية والخبرية المتناسبة مع شأن صدور المقال، ومتسق مع سبب توجيه الكلام من تهديد أو ترغيب.

إن المستند الأول في حوار الإمام الحسين هو محكم القرآن الكريم ذو الحُجّة البالغة على جميع من أعتنق الإسلام واتخذه منهجاً لسلوكه وسائر أحواله، ومنَ خلال استقراء المصادر وجدت أن استعمال الإمام الحسين لآي الذكر الحكيم قد تقسم أغراضه بين ما يثبت حقيقة وجود الخالق ووحدانية أمره ونفاذ مشيئته (جل وعلا)، وبين ما يثبت من الآيات شروط الخلافة الشرعية لعباد الله تعالى في أرضه دون من سواهم من ملوك وجبابرة، وغرض ثالث استعمله عليه السلام في إثبات شرعية ثورته وسلامة موقفه من حكم الطاغية يزيد، وقد حاولت أن أتخذ منهج التحليل قدر جهدي بحثاً في كتب التفسير والكلام من مصادر الفريقين المعتبرة، والخروج بنتائج علمية تكون حجةً لسائر أهل الإسلام ومن رغب في معرفة الحقيقة وألتمس طريقها، وأرجو أن أكون قد بلغت مرادي بتوفيقٍ من الله تعالى وحسن رعايته.

تمهيد– معنى الحوار وأهميته

المعنى اللغوي والاصطلاحي

الحوار في اللغة: من الحور أي: " **التردد إما بالذات وإما بالفكر، ... والقوم في حوار أي: في تردد إلى نقصان، ... والمحاورة والحوار المرادة في الكلام، ومنه التحاور قال الله تعالى: (والله يسمع تحاوركما)**[٩٥] ...."[٩٦].

أما معنى الحوار اصطلاحاً هو: تبادل في الكلام بين اثنين وتناقل المعلومات فيما بينهما والتأثر في الافكار، وهو ما يجري في المحادثات بين المختلفين

---

[٩٥] سورة المجادلة:٢

[٩٦] الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١٣٤–١٣٥.

محاولة للوصول الى توافق نسبي أو مطلق. إن الحوار والجدال لهما معنى النقاش بين طرفين أو أكثر بقصد إظهار حجة معينة، وإثبات حق، ورد للفساد.[٩٧]

أهمية الحوار

الاختلاف بين عاقلة الناس سمةٌ رافقت البشرية منذ وجودها، وخير سبيل لتفادي آثار الاختلاف السلبية هو الحوار بين الثقافات المتفاوتة والحضارات المتباينة.

إن السؤال والاستفسار حالة طبيعية لا بدَّ أن يمرَّ بها الإنسان الباحث حتى يصل إلى الحقيقة، وخير وسيلة كاشفة عن المبهمات ورافعة للشبهات هي الإعلام الصادح بروح الحوار البناء والمتجسد في ملتقى الخطاب، أو النقاش العلمي المتوشح برداء الموضوعية والمتجرد عن التعصب الأعمى ونكران الذات (إفراغ الكأس)، فالإعلام الايجابي له دور كبير في نقل الحوار الهادف؛ لترسيخ المبادئ في النفوس وإحداث قفزة معنوية عند الإنسان، كما يستنهض الهمم نحو الصلاح، فالحوار يترك أثراً بليغاً في نفس الإنسان ويبلور سلوكه واتجاهاته، ولا يخفى أثره في إثارة انتباهه إلى الحقيقة التي يدعو إليها، فيرسخ الحق في ذهن الضال بكيفية جذّابة، وهذا الترسيخ يدعو الإنسان ويحفزه لتجسيد ذلك الحق، فمن هنا يتبلور اهتمام الإنسان بضرورة الحوار في نقل الحقائق وهداية الطالب لها.[٩٨]

ولأهمية الحوار فقد حاور الله (سبحانه) الملائكةَ مع ثبوت حق طاعته؛ لكي يعلّمنا أساس الحوار، كما تعدّى الأمر تنزلاً بحواره مع الملائكة ليشمل ذلك إبليس أيضاً، فقد حاور المولى تعالى إبليس عندما أمره بالسجود لآدم فأبى

---

[٩٧] ينظر: الامام خالد التلمودي، الحوار في القرآن، مجلة منارة الدعوة، ص١، بتاريخ ٢٠١٧-٦-١، مقال.

[٩٨] ينظر: إبراهيم تمبو، موسوعة حياة المستبصرين، ج١، ص٥٣-٥٤.

واستكبر، وكانت الحكمة من ذلك أنْ يُعلّمنا كيف نُحاور أعداءنا، كما يتجلّى الحوار في حياة الأنبياء والرسل في محاورتهم لأقوامهم خلال الدعوة بأسلوب سلس ولينٍ متحلّين بالصبر على ذلك.[٩٩]

لقد أستهل الامام الحسين ثورته بالحوار طيلة مدة إمامته (عشر سنوات)، حيث تناول المواضيع العقدية المتعلّقة بالتوحيد الإلهي وصفاته مستعملاً الآيات القرآنية ومستشهداً بمضمونها البليغ تمهيداً لإثبات الخلافة الإلهية ومنها امامته عليه السلام، وبطلان حكم من سواه من بني أُمية، ولم يعدم الحوار مع عدوه حتى في ساحة الحرب رجاء هداية من كانت له أُذن واعية، أو دفعه عن إثمِ التورط بدمه الطاهر.

بناء على ما تقدم سينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث أتناول في أولها حوار الامام الحسين القرآني في اثبات التوحيد وصفات الذات الالهية، والثاني حواره عليه السلام في إثبات الخلافة الشرعية، وفي الثالث حواره عليه السلام في إثبات أحقية موقفه من حكم بني أُمية وشرعية نهضته المباركة.

---

[٩٩] ينظر: الإمام خالد التلمودي، مصدر سابق، منارة الدعوة، ص٢، بتاريخ ٢٠١٧-٦-١، مقال.

المطلب الأول- أثر حواره عليه السلام القرآني في إثبات الصانع وصفاته

وجدت الحركات المنحرفة عن الدين الإسلامي -عهد بني أُمية- أرضاً خصبة لنمو الشبهات والترويج للضلال، فقد سمح بنو أُمية للمرجئة والمجبرة بممارسة نشاطهم الفكري بكل حريّة بل قدموا لهم الدعم المادي أيضاً.[١٠٠] وكانت فرقة المجبرة -القائلة بمبدأ خلَق الله لأعمال العباد- من بدع بني أمية خاصةً استغلوها في شرعنة حكمهم وتبرير ما يصدر عن ملوكهم من مخالفات شرعية صارخة.

لقد انطلق الامام الحسين عليه السلام بدافع الشعور بالمسؤولية الشرعية متصدياً لتلك العصفة الصفراء، ومدافعاً عن أصول العقيدة الغراء، وذوداً عن الأمانة الكبيرة التي أستودعها إياه جده المصطفى.

كان من أهم المسائل التي حاور فيها أهل الضلال هي مسألة التوحيد الخالص من كل شبهة تجسيم أو مثال، فقد استشهد الامام الحسين عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه ٱلأَبصَر وهو يدرك ٱلأَبصر وهو ٱللطيف ٱلخَبير**﴾[١٠١]، وقوله تعالى:﴿**لَيس كَمثْله شَيء وَهُوَ السَّميعُ الْبَصير**﴾[١٠٢]، حيث ترجم حواره عليه السلام منطلقاً من هذه الآية المحكمة لنسف كل شبهة دخلت القلوب الزائغة عن الحق. فوقف عليه السلام بوجه المبطلين مفنداً مزاعم أهل الضلال بحوارٍ بليغٍ يستحوذ على مجامع القلوب الهائمة لمعرفة ربها والحائرة في زحمة توهم الشبهات، فقال عليه السلام: "**أيُّها النَّاس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبِهون الله بأنفسهم، يضاهون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، (لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف**

---

[١٠٠] ينظر: أبي الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٦، ص١٣٢؛ وبن النديم، الفهرست، ص٤٩٣؛ ود. بركات محمد مراد، مذاهب الزنادقة وعقائد الباطنية في الفكر الإسلامي، ص٢٨-٣٢.

[١٠١] سورة الانعام: ١٠٣

[١٠٢] سورة الشورى: ١١

الخبير)...".[١٠٣] لقد أستهل حواره عليه السلام بجملة تهديد ووعيد من خطورة الاعتقاد بهذه الشبهات؛ ليثير انتباه الأذهان الى ما يخلصهم من دواعي العذاب ومسبباته، فكانت هذه التقدمة من صميم القرآن الكريم وجوهره وصفاً للبارئ بما وصف به نفسه تعالى في مقابل ما يصفه به أهل الضلال ومريدي الفتن. ثم يسترسل عليه السلام بإثبات التوحيد الإلهي بجميع مراتبه وجميل صفاته وبديع أفعاله جل وعلا بقوله عليه السلام: "**استخلص الوحدانية والجبروت، وأمضى المشيئة، والإرادة، والقدرة، والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيءٍ من أمره، ولا كفو له يعادلُه، ولا ضدَّ له ينازعه، ولا سميَّ له يشابهه، ولا مثل له يشاركه**".[١٠٤]

إن من لوازم إثبات صفة التوحيد ونفي الشبيه وفقاً لحوار الامام الحسين عليه السلام هو إظهار عظمة الخالق، وبيان قدرته وسعة علمه سبحانه لكل عاقل له قدرة التمييز بين تلك العظمة وجبروتها، وبين صفات من يكون للمولى سبحانه شبيه أو مثال –بحسب زعم أهل الضلال– من ذوي الأجسامِ المحسوسة؛ لتفرده تعالى العظمة فجلَّ عن أن يحيط به شيء من أبصار المخلوقين القاصرة، وذلك يتضمن انتفاء الشبيه فضلاً عن الشريك من أجسام محدودة بذاتها ومتحيزة، فكونها مدركة بالأبصار من سمات المحدثات أي: محدودة القدرة، وهي مما لا تليق بمقام الألوهية وتنزّه عنه الواجب بذاته، ولو كانت آلهة لكانت محتجبة عن الأبصار.[١٠٥]

إن سرَّ عظمته عز وجل يتجلّى في سعة علمه ونفاذ مشيئته في خلقه مع احتجابه عنهم فهو سبحانه يراهم ويدرك أحوالهم ولا يعزب عنه علم مثقال ذرة، فدفع توهم السذج من أهل الضلال يكون ببيان أنه تعالى لا تدركه الابصار لتعاليه المباين عن الجسمية ولوازمها، وقوله: (وهو يدرك الابصار) دفع آخر لما يسبق إلى أذهان هؤلاء الذين اعتادوا بالتفكر المادي، وأخلدوا إلى الحس

---

[١٠٣] ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٤٤.
[١٠٤] نفس المصدر
[١٠٥] ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج٧، ص٤١٤.

وتجانسوا مع المحسوس حتى توهموا أنه تعالى إذا أرتفع عن تعلّق الأبصار به خرج حسه أيضاً عن رؤية المحسوس، وإنقطع عن مخلوقاته فلا يعلم بشيء كما أنه لا يعلم به شيء، ولا يبصر شيئاً كما لا يبصره شيء، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بقوله: (وهو يدرك الأبصار)، وعلّة الدعوى تكمن في قوله: (وهو اللطيف الخبير) واللطيف هو ما يقابل الكثيف أي: الرقيق النافذ في الشيء، والخبير من له الخبرة المطلقة، فإذا كان تعالى محيطاً بكلّ شيء حقّاً كان شاهداً على كل شيء لا يفقده ظاهر شيء من الأشياء ولا باطنه، فهو تعالى يدرك لمح البصر فضلاً عن المبصر، والباصرة لا تدرك إلا المبصر، فما أعظمه وأجلَّ قدرته سبحانه وتعالى ربُّ العزة عما يصف المشركون.[١٠٦]

لقد ألقى أهل الجاهلية الأولى واليهود بضلالهم على من انتحل سمة الإسلام – حقناً لدمه وطمعاً بالملك– حتى صار يحنُّ لأيام عبادة الأوثان، فصار يبتدع خدع التشبيه والتجسيم انطلاقاً من واقعه المادي،[١٠٧] ورفضاً لعبادة ما لا يرى بالعين الباصرة، وغايته العود بالأمة الى حنثها العظيم وشركها القديم، فتصدى الامام الحسين لتلك الأفكار الضالة والعقائد المنحرفة صوناً لدين جده المصطفى ووحدة أمة الإسلام. لقد خطّ الامام الحسين بمداده قبل دمه خارطة التوحيد وسبيل الوصول الى معرفة الله تعالى، وانتقل بالعقل الإسلامي من جموده على الادراك المادي الى التحرر من سجن القصور الذهني والارتقاء بالنفس لرؤية معبودها المجرد عن الحوادث والصفات المادية بالبصيرة القلبية، ومنه تتحقق الغاية الإلهية من إيجاد الخلق بما ذكره سبحانه: ﴿**وما خَلَقْتُ الْجِنَّ والْإِنسَ إلّا ليعبدون**﴾[١٠٨]

لقد سلك الإمام الحسين عليه السلام طريق أهل الصدق طلباً للجذب بدل الكسب، فاستبدل التحقق بالآثار المادية بكسوة ومضة الأنوار الالهية كما ظهر في دعائه يوم عرفة، وهو دعاء من سقاه ربه شراباً طهوراً فصار طاهر السر عن

---

[١٠٦] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٧، ص٢٩٢.
[١٠٧] ينظر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ص٢٣٢.
[١٠٨] سورة الذاريات:٥٦

النظر الى غير الساقي ومصون الضمير عن حبِ الشراب وإن كان طهوراً؛ لأن لا مجال فيها لظهور غير المعبود ولا مطلوب فيها الّا المعبود ولا مقصود فيها إلّا معرفة المعبود بالمعبود لا بغيره من آيات الآفاق أو الأنفس.[١٠٩] حيث ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة قوله: "**الهى ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فأجمعني عليك بخدمةٍ توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟ حتى يكونِ هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا... ألهى هذا ذُلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول اليك، وبك استدل عليك**".[١١٠]

لقد تقدم الاستدلال بتعليل مسلكه عليه السلام وبيان سببه بقوله: "**الهى ترددي في الآثار يوجب بعد المزار**"، وختم استدلاله بالغاية من اعتماد هذه الوسيلة في مسلكه بقوله: "**منك أطلب الوصول اليك، وبك استدل عليك**"، وهو طريق الخواص (اللمي) الذي يورث القطع بانتقاله من يقينه بالعلّة (الأظهر وجوداً) الى المعلول، ويقابله طريق العوام (الدليل الأني) وهو طريق يورث الظن بانتقاله من المعلول الى العلّة، فهنا يتحد الدال والمدلول لأنه تعالى دل على ذاته بذاته دون خلقه وهو ما انتهجه عليه السلام؛ لأن ما عدا ذلك إما استدلال عليه تعالى بآيات الآفاق وفي ذلك ينحاز كل واحد من المستدل والدليل والمدلول حياله، وإما استدلال عليه تعالى بآيات الأنفس وفي ذلك وإن يتحد المستدل والدليل ولكن ينحاز كل منهما عن المدلول ومعلوم أن الدال إذا لم يكن نفس المطلوب اثباته لا يمكن أن يدل عليه حق الدلالة بخلاف ما إذا كان عينه كما في هذا الدعاء

---

[١٠٩] ينظر: الآملي، عبد الله الجواد، تقرير بحث المحقق الداماد (كتاب الحج)، ج٢، ص٦٢

[١١٠] ينظر: المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج١، ص٣٠١؛ والقمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٤٢٥، نقلاً عن ابن طاووس السيد، إقبال الأعمال.

البالغ حيث أنه عليه السلام استدل بالله على وجود الله وعرفه من ذاته الظاهر وحكم بأنه لا ظهور لغيره تعالى حتى يكون هو المظهر له.[١١١]

وكما دأب العقلاء في حوارهم مع الآخرين في اعتمادهم على مبدأ إنكار الأفكار المغلوطة أولاً تمهيداً لنفيها (طريق الهدم)، ثم يتبعه مبدأ طلب الإقرار بالأفكار الصائبة والإذعان لها تأسيساً بديلاً لسابقتها المغلوطة (طريق البناء)، فقد سار الإمام الحسين عليه السلام بهذا النحو حيث بدأ بالإنكار تعميداً لطريق إثبات أرقى من سابقه ومؤيداً له بمبدأ الأولوية أي: من كان ثبوته يبدأ من ظهورَ معلولاته وآثارها وهو المظهر لها فهو أولى بثبوت ذاته بذاته واثبات معلولاته يكون متأخراً رتبةً وأقل ظهوراً،

ومن روائع حواره عليه السلام ما كتبه للحسن البصري جواباً عن سؤاله حول مبدأ القضاء والقدر ونقضاً لرأي المجبرة القائل بنسبة كل أفعال العباد لله عز وجل عن ذلك؛ لغرض تبرير أفعال ملوك بني أمية من فسق وقتل للنفس المحترمة، فقد انطلق عليه السلام من قوله تعالى:﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[١١٢]، مفسراً للآية بحوارٍ حكيم ابتدأه عليه السلام جوابه هو: "...ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد افترى على الله افتراء عظيماً، وأن الله لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد في الهلكة، لكنه المالك لما ملكّهم، والقادر لما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا به فعل فليس هو حملهم عليها قسرا، ولا كلّفهم جبراً، بل بتمكينه إياهم بعد اعذاره وانذاره لهم".[١١٣] ولقد ذكر بعض أهل التفسير أن معنى الآية (والله أمرنا بها) هو: أنهم أدعوا أن لو كان الله لا يريد فعلنا لمنعنا عنه بقدرته، ولا دليل للمفسرين على أن الله أمرهم بمعنى التشريع. وقد مضى ذم التقليد وأفعال الجاهلية.[١١٤]

---

[١١١] ينظر: الآملي، عبد الله الجواد، مصدر سابق، ص٦٣

[١١٢] سورة الأعراف:٢٨

[١١٣] المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج٥، ص١٢٣.

[١١٤] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص١٣٥

فدعوى المجبرة باطلة ومخالفة لصريح محكمات الكتاب المجيد لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[١١٥]، وهو ما قرره عليه السلام بقوله (إن الله لا يطاع باكراه)، فمعنى الاختيار واضح من مضمون الآية المباركة وغيرها من الآيات الناطقة بحق الاختيار للإنسان في الدنيا في جميع شؤون عقائده وسلوكه، و لا تعني معصيته تفوق قدرته على قدرة الله تعالى (ولا يعصى بغلبة)، فلا عجز في مقام الذات المقدسة ولها القدرة المطلقة، وهنا قد جمع الامام الحسين عليه السلام نفي التفويض والجبر معاً؛ حفظاً لحق الله عز وجل في صفات الكمال والجلال، فالله عز وجل هو من وهب الوجود بالحياة والقدرة وعلّم الناس ما ينفعهم، فإن شكروا نعمته أطاعوه باختيارهم عرفاناً لإحسانه، وإن كفروا نعمته خالفوا شريعته بمشيئته دون أمره سبحانه، فهم وإن كانت طاقتهم وقوتهم من جملة أفضاله وانعامه، لكنهم عصوا أمر خالقهم ولم يخرجوا عن حدّ مشيئته فلو شاء الله عز وجل لمنعهم عن معصيته ولهداهم سبيله ولكن حق عليهم العذاب بعد الإنذار بما قدمت أيديهم وبسبب عنادهم بعد معرفتهم للحجج الدامغة.

خلاصة المطلب– انبرى الامام الحسين عليه السلام من خلال حواره القرآني الى إثبات كمال الصفات للبارئ عزوجل بما ورثه عن أهل بيت الرحمة، ونفي ما لا يليق عنها كالجسمية المادية والأحوال البشرية؛ ليدحض مخططات آل أمية الرامية لعودة الناس الى شرك الجاهلية وعبودية الاصنام المادية والبشرية.

إن مسلسل مؤامرات بني أمية لم يتوقف عند هذا الحدّ بل سجل محاولةً أُخرى من كثيرٍ قد تصدى لها الامام الحسين في النقض علَى بدعة الجبرية (عقيدة خلق الأعمال)؛ لأن خطرها يكمن في إضفاء شرعية لحكومة آل أُمية رغم انتهاكهم للحرمات، فما كان من الامام الحسين عليه السلام الّا أن يثبت فساد هذه الدعوى انطلاقاً من تذكير الناس بآيات الله الصادحة بحقيقة أن الله عز وجل لا يكره الناس على طاعته و لا يجبرهم على معصيته ولا يختار الملوك بإرادته وإن

---

[١١٥] سورة الانسان:٣

اذن بمشيئته بعد تحقق مقتضى الأسباب الطبيعية (الفصل بين الأمر والمشيئة)، انما هو أمر بينهما يتلخص في بيان أن الله أمر الناس بلزوم أوامره واجتناب نواهيه مع حفظ حق اختيارهم؛ لكي يثيب المطيعين بجنته ويعذّب العاصين بناره، فليس ما أرتكبه العاصي بأمر الله تعالى ولا بخارجٍ عن قدرته سبحانه بل شاء الله أن تجري الأمور وفقاً لطبيعة نظام العلية، فإن الأسباب وإن كانت تجري بقدرته اختباراً لعباده، ولكن الحوادث لا تقع الّا بمشيئته جل وعلا –حفظاً لسلطنته وقدرته– فإن شاء وقعت وإن لم يشأ لم تقع. لقد هدم الامام الحسين عليه السلام المخطط الأموي معنوياً تمهيداً لإذكاء أوار الثورة بعد سحب بساط الشرعية من تحت هذه الفئة الضالة.

المطلب الثاني- حواره عليه السلام القرآني في إثبات الخلافة الشرعية

كان تأكيد الامام الحسين عليه السلام على العمل بمضمون محكم القرآن الكريم في إتباع الخليفة الشرعي، وهو المستخلف بأمر الله تعالى وحكمته؛ لأجل إنفاذ مشيئته سبحانه في عالم التكوين الدنيوي وتحقيق إرادته في خلقه، وأن اختيار بيعة الناس لخلفاء الله جل وعلا والامتثال لأحكامهم هو سرُّ سعادتهم وصلاح حالهم في الدنيا والآخرة.

لقد أنطلق الامام الحسين عليه السلام في حواره مع الأمة الاسلامية بمنطق القرآن الكريم مستشهداً بآياته المباركة كقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذين آمنُوا أَطيعُوا اللَّه وأَطيعُوا الرَّسول وأُولي الْأَمر منكُمْ...**﴾[١١٦]، وقوله تعالى:﴿**وإِذَا جاءهم أَمر منَ الْأَمنِ أَو الْخَوْف أَذَاعوا به ۖ ولَو ردُّوه إِلَى الرَّسول وإِلَىٰ أُولي الْأَمر منْهُمْ لَعلمه الَّذين يستَنبطُونَه منْهُمْ ۗ ولَولَا فَضْل اللَّه علَيكُم ورحمته لَاتَّبعتم الشَّيطَان إِلَّا قَليلًا**﴾[١١٧]، والمراد من تلكما الآيتين هو التأكيد على أهمية مقام النبوة والولاية في حياة المسلم، فهو سبب النجاة من مهبط الضلال ومصيدة الشيطان وله رافدان احدهما مبلّغ والآخر مجر،[١١٨] فمن ترك طاعة أولي الأمر سقط بحبائل الشيطان، وأولو الأمر في رأي مفسري العامة هم فئة خاصة من أهل العلم والفضل والمنزلة الاجتماعية العليا،[١١٩] فمن هم أعلى منزلة وأغزر علماً وأعظم شأناً من أهل بيت النبوة المتمثل في الامام علي وبنيه المعصومين من ذرية الامام الحسين عليهم السلام؟!.

لقد جعل الامام علي عليه السلام خط طاعة الله تعالى ممتد اليهم عليهم السلام بواسطة الملازمة الحكمية مع طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عليه السلام: "**فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة،**

---

[١١٦] سورة النساء:٥٩

[١١٧] سورة النساء:٨٣

[١١٨] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان، ج٥، ص٢٧.

[١١٩] ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص١٤٠؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٠، ص٢٠٠.

إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة"[١٢٠]، أي: إن البرزخ الفاصل بين إتباع الحق وطاعة الرحمن عن إتباع الباطل وطاعة الشيطان هو الاعتقاد العملي بولاية أهل بيت النبوة، وبناء عليه صدر تحذيره عليه السلام للناس: "**وأحذركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ..)**[١٢١] **فتلقون للسيوف ضرباً، وللرماح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا**".[١٢٢]

إن هذا الحوار القرآني البديع يخاطب العقل ويذكره بحقيقة قصور الإنسان المعرفي من دون التمسك بمرجعية المعصوم المتجلية في كلاً من القرآن الكريم (الثقل الصامت) وأئمة أهل البيت (الثقل الناطق)، فإن جعلا مرجعاً لمعرفته ومصدراً لسلوكه استقامت حياته وانتظمت شؤونه وسعد في الدنيا وفاز في الآخرة، وإن أتبع شهواته ووساوس الشيطان اضطربت حياته وزاد بلاؤه وكثرت محنه وشقي في آخرته، وهو ما قررته الآية المباركة: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[١٢٣]، فالنتائج تتبع أخس مقدماتها كما تتأثر الأحداث التأريخية بطبيعة العقل البشري ومستوى إدراكه للحقائق الإيمانية، وعليه كانت دعوة الامام الحسين الصريحة للأمة الى ضرورة إدراك الناس للحدّ الفاصل بين الايمان والكفر وما يترتب على إثره من نتائج في الدارين، فقد أبرز في حواره فضل أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، ومقامهم عند الله بكلامٍ مستوحى من آي الذكر الحكيم بقوله: "**نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله**

---

[١٢٠] محمد بن محمد النعمان المفيد، الأمالي، ص٣٤٩، ح٤؛ وأبو منصور أحمد الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٩٥، ح١٦٥.
[١٢١] سورة الانفال:٤٨
[١٢٢] المصدر نفسه.
[١٢٣] سورة الأعراف:٩٦

الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيءٍ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله بل نتبع حقائقه"[١٢٤].

انطلاقاً مما ذُكر يسترسل الإمام عليه السلام في القاء الحجة البالغة من حواره البليغ، ويبعث رسالة أخرى فيها مصداق للإمامة يذكّرهم فيها بضرورة الإقرار بولاية الإمام علي امتثالاً لتنصيب النبي الأكرم له في غدير خم وبيعتهم له في سؤال تقريري مفاده: **(أتعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خم؟، فنادى له بالولاية)**،[١٢٥] وهي خطوة متقدمة في الاستدلال على قضية -قياسها معها- حكمها منتج لدليل أفضلية الامام علي عليه السلام أولاً، ولزوم امتثال أمر رسول الله في الاقتداء بولايته ثانياً، وقد أقروا وبايعوا الإمام علي عليه السلام وقتها فلا ينبغي -عقلاً وشرعاً- أن ينكثوا بيعته ويستبدلوها ببيعة من لا حظّ له في علمٍ، ولا رصيد عنده من تقوى -مقابل أهل بيت النبوة- وإن تقادمت السنون والأزمان.

وفي سياق متصل يستفهم الإمام عليه السلام الناس بسؤال تقريري آخر يتضمن معنى التنبيه إلى سريان مبدأ الولاية لأئمة أهل البيت وامتدادها الشرعي فيهم من بعد الإمام علي عليه السلام، وطلب الإذعان لولايتهم بقوله: **(أتعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخر خُطْبة خَطَبها: إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلّوا؟ فقالوا: أللّهم نعم)**،[١٢٦] فديمومة الإسلام الأصيل مرتبطة بدوام التولي لأئمة أهل بيت الرحمة والامتثال لأوامرهم والتزام طاعتهم، ولكن القوم كانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظُلْما وعلُوًّا فَينظر كيف كان عاقبةُ الْمُفْسدين**﴾[١٢٧]، لقد ألقى الامام الحسين عليهم الحجة البالغة وألزمهم الامتثال للأمر الالهي، فبعد اليقين والقطع بصدور هذه

---

[١٢٤] الموفق الخوارزمي، المناقب، ج٣، ص ٢٢٣؛ والطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٢؛ والمجلسي، البحار، ج ٤٤، ص ٢٠٥، ح ١.

[١٢٥] الاميني، عبد الحسين، الغدير، ج١، ص١٩٨، بدلالة كتاب سليم بن قيس، ص٢٠٦

[١٢٦] مصدر نفسه.

[١٢٧] سورة النمل:١٤

الوصايا من النبي الأكرم في حق الأئمة المعصومين ومع إقرارهم بولايتهم كان أكثرهم جاحدين بها ومنكرين لفضلهم ظلماً وتكبراً.

مما تقدّم من أنوار الامام الحسين عليه السلام الفكرية التي صاغها في حوارية عقدية مستوحاة من كتاب الله العزيز –الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه– في إثبات مقام الخلافة الشرعية لأهل بيت النبوة يمكن أن نستخلص منها استنتاجاً نافعاً في بناء كيان المؤمن العقدي يتضمن ما يلي:

إنّ الانسان مهما بلغ من علمٍ ومنزلة اجتماعية لا يخرج عن حقيقة العبودية لله تعالى، ويبقى العبد محتاجاً لعون خَالقه وتأييده في خوض عباب هذه الحياة المشحونة بالمشكلات الاجتماعية والسياسية وغيرها من الأمور المادية والمعنوية، ولا يمكن لأي إنسانٍ أن يتصدّى لحلّ جميع تلكم المشكلات ما دام غير متكاملٍ من جميع جهات الكمال المادي والمعنوي؛ لأنّ مهام القيادة خطيرة، وتحمّل مسؤولية أمانة الخلافة الالهية في الأرض لا يتحملها الّا من توافر فيه شرط الكمال والخلو من كلّ نقصٍ يوجب الخطأ في تنفيذ أحكام الخالق الحكيم بين عباده، فلا يمكن بحال أن يصلح المرء غيره ويكمله وهو غير كاملٍ فضلاً عن كونه فاسداً؛ لأن فاقد الشيء بذاته لا يعطيه لغيره بل هو أحق بالتلقّي والاستمداد، فمن تسنم منصباً بغير استحقاق فقد أطاع –ومن رضيٍ بإمارته– نفسه الأمارة بالسوء واستجاب لوساوس الشيطان وصار أداة طيعة لمكائده المسببة للفساد والهلاك.

إن الحوار الحسيني انطلق من وحي الفطرة السليمة والعقل؛ مستدلاً على ضرورة إتباع من أراد الله تعالى أن يكون خليفةً وحاكماً بين عباده باستحقاقٍ بعد توافر شروط الكمال والتنزه عن كلّ رجسٍ يمنعه من تحقيق العدل الالهي، ولا يستحق هذا المنصب الّا من شهد له القرآن الكريم بعصمته وكمال أخلاقه، وقد أمر الله تعالى عباده بلزوم طاعة نبيه الأكرم وأهل بيته من الأئمة

المعصومين؛ لتحقيق الغاية من إيجاد الخلق وتأمين سعادتهم في دار الدنيا وضمان فوزهم في دار الآخرة بالنعيم المقيم.

المطلب الثالث- أثر حواره عليه السلام القرآني في إثبات شرعية ثورته

واجه إعلان الثورة الحسينية- من المدينة المنورة إلى مكّة المكّرمة- موجةُ اعتراضٍ بعض المحبين إشفاقاً، كما واجهت نهيق انتقاد المغرضين من الأمويين حقداً، وما كان من الإمام الحسين عليه السلام الّا أن يكون جوابه متناسباً مع معطيات كلّ معترضٍ بالمداراة للمتعاطفين، ومفحماً لكلّ مناوئٍ بالحجة الدامغة.[١٢٨]

لقد توجهت بعض الاعتراضات لحركة الإمام الحسين عليه السلام بتهمة التمرد وشق عصا وحدة المسلمين، وأنها مقدمةٌ لإحداث فتنة عظمى، فكان جوابه عليه السلام في ردّ هذه الشبهة مستمداً من دستور الأمة وثقلُها الأول بحوارٍ مستدلاً بقوله تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دعا إِلَى اللَّه وعمل صالحا وقَال إِنَّني من الْمسلمين)**[١٢٩]، فبيانه عليه السلام الثوري هو أحسنَ القولَ الداعيَ الى طاعة الله تعالَى ونبذ طَاعة الحاكم الأموي، وجهاده في رفض بيعة الطاغية يزيد المشهور بفسقه هو من أفضل الأعمال الصالحة التي ندب إليها الشارع المقدس في التقرب إلى الله تعالى.

إن المتأمل لجواب الإمام الحسين عليه السلام على رسالة الأشدق -الذي وصمه فيها بتهمة الشقاق ودعاه الى اللجوء إليه تحت وصايته- يجد فيها مدى صلابته عليه السلام وتنمره في ذات الله عز وجل، وهي سر شجاعته في تحدي الإرهاب الأموي، حيث كان رده عليه السلام بليغاً في نصه القائل: "**أما بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وقال إنّني من المسلمين، وقد دعوت -يا**

---

[١٢٨] ينظر: باقر شريف القرشي، حياة الامام الحسين، ج٣، ص٢٥-٣٣.
[١٢٩] سورة فصلت:٣٣

أشدق- إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا فنسأل الله مخافته في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة،...".[١٣٠]

فآية الدعوة تنطوي على مضامين كثيرة أستعملها الإمام الحسين عليه السلام في الردّ على قول المرجف والمتخاذل، فهذه المقولة القرآنية إنما صدرت من الله جلَ وعلا فيها تكملة للثناء على المؤمنين الذين قالوا: (ربُّنا الله ثم استقاموا)، وتوجيه لاستحقاقهم تلك المعاملة الشريفة، وصداها يقمع الظالمين في قصورهم، أي: كيف لا يكونون بتلك المثابة وقد قالوا أحسن القول وعملوا أحسن العمل. وذكر هذا الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمة المشركين ووعيدهم على سوءِ قولهم: لا تسمعوا لقول الحق، مشعر لا محالة أن بين الفريقين بوناً بعيداً، طرفاه الحسن المصرح به، وما يقابله مفهوم السيئ، أي: فلا يستوي الذين دعوا للمعروف وعملوا صالح العمل مع الذين أنكروا الحق وعملوا أسوأ العمل، كما لا تستوي الحسنة ولا السيئة، والمعنى: أن كفة الداعين للإصلاح راجحة ويلزم قبولها إذ لا أحسن منهم قولاً وعملاً، و(من) هنا استفهام نفي، أي: لا أحد أحسن قولاً من دعوة الطاعة لله تعالى كقوله: (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله). ومن دعا إلى الله كلُّ أحد نادى الى عبادته بإخلاص، والدعاء إلى شيء هو أمر الناسِ بالتقوى، وتسمية الواعظ -عند بني عبيد- بالداعي؛ لأنه يدعو إلى التشيع لآل علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا حال المؤمنين حين أعلنوا التوحيد وهو ما وصفوا به آنفا في قوله إن الذين قالوا ربُّنا الله كما علمت، وقد كان المؤمنون يدعون المشركين إلى توحيد الله، وسيد الداعين إلى الله هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.[١٣١] ثمَّ بين الإمام عليه السلام الغاية من ثورته وهي نفس الغاية من خلق الإنسان؛ ليختبره المولى تعالى في هذه الدنيا، فقال عليه السلام: " **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى**

---

[١٣٠] ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٥-١٦٦؛ ومحمد بن جرير الطبري، تأريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٥٩١-٥٩١.

[١٣١] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥، ص٢٨٨-٢٨٩.

مضاجعهم﴾[١٣٢]**، فإذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحى الأرض، و....".**[١٣٣] لقد أبتلى الله تعالى الأمةَ الإسلاميةَ بموقف الإمام الحسين عليه السلام الثوري تجاه الطغيان الأموي، وأُبتلي الإمام عليه السلام بتخاذل تلك الأمة وفشلها في الاختبار حتى أذاقها الله تعالى لباس الخوف والجوع بعد تلك الفاجعة العظمى.

بعد أن دافع الإمام الحسين عليه السلام بحواره القرآني عن سلامة موقفه الثوري من كل شائبة، ونزّه دعوته عن كل معصية أو فتنة مرديه تقدم عليه السلام لإثبات شرعيّة ثورته ببيانٍ صادحٍ بذكر الله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..﴾**[١٣٤]**، وقوله تعالى:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾**[١٣٥]، حيث أعلن عليه السلام أن الواعز الرئيس لثورته ودافعه الأساس هو حكم الله عز وجل بإقامة دولة العدل والأمر بالمعروف الذي حكم به جده المصطفى، والنهي عن المنكر الذي حاربه جده خاتم الرسل، ومنه نسمع بيانه عليه السلام الأول لثورته المباركة في وصيته لأخيه بن الحنفية بعد حوارٍ طويلٍ كتب عليه السلام: "... **وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي.".**[١٣٦]

لقد تردد مضمون حواره عليه السلام في أذهان الأُمة الاسلامية مدوياً بين سلب لكل شبهة ونفيٍ لكل تهمة، وبين إيجاب لكل ذريعة شرعيّة وإثبات بحجة قويّة؛ لأن

---

[١٣٢] سورة آل عمران: ١٥٤.
[١٣٣] السيد علي بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤٢-٤٣.
[١٣٤] سورة آل عمران:١١٠
[١٣٥] سورة المجادلة:٢٢
[١٣٦] المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩-٣٣٠.

مصدرها قرآنيٌّ لا يقوى على ردّها المرجفون، ولا يتمكّن أن يفندها المبطلون. لقد أيقن المسلمون وقتها بضلالة الطاغية يزيد وفسقه وجوره، ونزاهة الإمام الحسين عليه السلام وعصمته بحبل الله المتين وشرعية ثورته، واتضحت صورة مشهد طرفي الصراع لديهم بوضوحٍ تام، وهنا يكمن ثبوت حجية الثورة البالغة لكلِّ من سمع واعية الإمام الحسين وندائه، وكان ينقصهم قوة الإرادة وعلو الهمة وشدها، ورصانة العزيمة ورزانتها لبلوغ مدرك الفتح الأعظم وتحقيق النصر الأكبر. إن حبَّ الدنيا هو الحاجز الأكبر لفلاح المسلم ورأس كل خطاياه، فلما أستشعر الإمام الحسين من الأمة تثاقلها إلى الأرض وحبها لزينة لدنيا وإيثارها على نعيم الآخرة ذكرهم عليه السلام وقتها بفناء الدنيا وخلود الآخرة، وحتمية لقاء الله تعالى للحساب من قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[١٣٧]، وقوله تعالى:﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[١٣٨]، وتأكيداً لبيانه عليه السلام في وصيته حاورهم وهو في طريقه الى العراق ،فقام في الناس خطيباً وداعياً إلى سبيل الحقِ وصراطه القويم حيث قال عليه السلام: "**إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلّا صبابةٌ كصبابة الأناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقَّ لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما**".[١٣٩]

لقد بين الإمام الحسين عليه السلام إن سعادة المرء في الدنيا رهن كرامة العيش وعزّة النفس وسيادة المثل العليا، ومن دونها فلا خير في الدنيا أذ تكون كالسجن عيشها نكداً ونهارها مظلما، وأن الإنسان بطبعه يكون محباً للدنيا، فإن فاق حبُّه للدنيا حبَّه للدين فقد أبتعد عن الله عزّ وجلّ وأسخط رسوله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما أنه عليه السلام يرى أن المرء المحب للدنيا إذا تمحص بالبلاء ينسى دينه ويبقى حريصاً على دنياه الفانية مائلاً عن ثواب آخرته الباقية كارهاً للموت وهو حتمي

---

[١٣٧] سورة الكهف: ١١٠
[١٣٨] سورة الحديد: ٢٠
[١٣٩] بن شعبه الحراني، تحف العقول، ص٢٤٥.

عليه. ومن أحب دينه وتعلّق قلبه بالله تعالى مشايعاً لرسوله وأوصيائه لن تضره القلاقل ولا تغريه الزبارج، وحين يرى أن الدين في المعمورة مهجوراً عندها يكره الدنيا ويتمنى الموت لملاقاة من أحبه ويتنعم بجواره.

إن اليقين بحتمية رحلة الموت يقود إلى الاستعداد والتزود، وأن تفسير الموت بالنقلة من دارٍ فانية إلى دارٍ باقية خير دافعٍ للتزود بمتاعها، والاعتقاد بمطهرية الموت من دنس آثام الدنيا، والتحرر من قيود شهواتها أو سجن طغاتها مشعر بالتوق إليه بشوقٍ واستهلاله بقلبٍ سليمٍ ونفسٍ مطمئنة، وأن يقيننا ما بعد الموت فيه لقاء الله تعالى ورسله وأنبيائه والأئمة الطاهرين يجعل المؤمن يهيم به ويرنو إليه بلهفة.[١٤٠]

رغم كل ذلك البيان البديع والحجج البالغة من حواره عليه السلام لم يستجب له الّا النزر القليل من المسلمين، ومع قلّة العدد وخذلان الناصر صمد عليه السلام مع تلك الثُلّة المؤمنة بوجه جيش أعتى طاغية وأكثرهم فسقاً، وأن أكبر حدث شهده تأريخ الإسلام خاصة والتأريخ الإنساني بصفة عامة هو حدث واقعة الطف التي شهدت أكبر مأساة بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وسبي نساء أهل بيت النبي من كربلاء الى الشام، وهذا الحدث يمثّل انعطافه خطيرة في تأريخ المسلمين ونقطة تحول في وعي المجتمع الإسلامي وثقافته؛ لما أحدثه من صرخة مدوية بوجه الظالمين على مرِ الأزمان مهما كانت هويتهم أو منزلتهم الاجتماعية ومكانتهم السياسية.

لقد صدر من الإمام الحسين عليه السلام في حواره مع الأعداء مناشدات فيها أسئلة تقريرية وأخرى إنكارية على غرار الأسلوب القرآني في جداله مع الظالمين، كما نقل أصحاب السير وأرباب التأريخ أراد الإمام عليه السلام أن يلقي عليهم الحجة البالغة وينبه عدوه بالعواقب الوخيمة من مبارزته وقتاله مع أصحابه

---

[١٤٠] ينظر: علي الفتلاوي، وصف أهل الدنيا في كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٥٤٥.

وأهل بيته، فقام فيهم خطيباً في أكثر من مرة مذكراً وجادلهمعليه السلام منكراً عسى أن يثيبوا الى رشدهم ولا يتورطوا في سفك دمه الطاهر، ولكنهم أصروا على قتاله عناداً للحق وطمعاً في عطاء زائل وكانوا في ثواب الآخرة من الزاهدين. ومن أهم حواراياته الجدلية مع أعدائه في يوم العاشر من المحرم للتعريف بنسبه وحسبه وقبيل أن تشتد الحرب بوطيسها وبعد أن وثب الإمام الحسينعليه السلام متكئاً على سيفه، فنادى بأعلى صوته:

"**أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت بن رسول الله وسبطه. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدي رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ ... قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا**".[١٤١]

لقد أقرَّ الطرف المعادي بنسب الإمام الحسينعليه السلام وفضله وحرمة قتاله على غرار إقرار الناس في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[١٤٢]، الذيَ جاء في تفسيره أن أتباع الأنبياء والمصلحين قَد أقروا بِالَتزام تعاليمهم وهو بمنزلة الاستحلاف بعد أن أخذ الله ميثاق النبيين لتبليغ الناس أحكام الكتاب وتعليمهم الحكمة، وأن يتعهدوهم الإيمان بخاتم الرسل وينصروه إن أدركوه، ودلَّ على هذا الحذف وأخذتم على ذلكم إصري والإصر هو العهد، والإصر في اللغة الثقل.[١٤٣] إنها مناشدة تجعل القوم في مسائلة كبيرة أمام اللهعز وجل، وتتبعها أسئلة تقريرية متتالية تفيد طلب الإذعان وترك الغي والشقاق والعناد من خلال تذكيرهم بنسب الإمام الحسينعليه السلام وحسبه الرفيع، والذي يلقي الحجة البالغة عليهم وتدين إصرارهم مع اعترافهم. حيث كان مثله كمثل مؤمن آل فرعون الذي أنكر على قومه متعجباً من

---

[١٤١] أبو جعفر بن بابويه القمي الصدوق، الأمالي، ص٢٢٣؛ محمد بن الفتال والنيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٣٩١.

[١٤٢] سورة آل عمران:٨١

[١٤٣] ينظر: محمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٢٥-١٢٦.

إصرارهم على الحنث الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾[١٤٤]، فهل يحقُّ للقوم قتال سبط نبيهم من غير ذنب ولا جناية أو تقصير.؟

ثم ينتقل عليه السلام لحوار القوم بحجة أُخرى عامة بعد حجة النسب الخاصة بشأنه، فيذكرهم بالشريعة التي يدينون بها إن كانوا مسلمين حقّاً، فيسألهم مرة أُخرى عن المبرر الشرعي لقتاله والاقتصاص منه، حيث قال عليه السلام: "**يا ويلكم! علام تُقاتلُوني؟، على حقٍّ تركتُه، أم على سنَّةٍ غيَّرتُها، أم على شريعةٍ بدَّلْتَها**".[١٤٥]؟!!

وفي احتجاجٍ آخر للإمام عليه السلام مستعملاً السؤال الإنكاري يكمن في تضمنه التعجب من موقفهم العدائي، واستغراباً من إصرارهم على قتاله، فناجزهم بحواره وألقى عليهم الحجة متوعداً إياهم عذاب الآخرة بنداء: (يا ويلكم)، ثم أردف الإمام سؤاله الإنكاري بتعجب (علام تقاتلوني؟!) أي: عن أي سببٍ كان قتالهم إياه وما هو الوجه الشرعي أو العقلي، فلا يوجد أي مبررٍ يوجب قتال الإمام حيث لم يغير سنة باختلاق بدعة، ولم يترك حقّاً في ذمته ولم يؤده سلام الله عليه.

لقد أوضح الإمام عليه السلام من خلال جداله أن الأُمة وقتها أُصيبت بداء انعدام المعايير الصائبة، وانحيازهم لجهة الباطل بلا دليل شرعي أو عقلي غير إتباعهم الهوى، فأقام عليه السلام عليهم الحجة البالغة والأدلة المقنعة ولكنهم لم يرعوا، بل مضوا في غيهم وسعوا في منهج الخلاف لصريح آيات القرآن المجيد وما أمرهم به من ضرورة إعمال العقل في التمييز بين أهل الحق والباطل كما قال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ* أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**﴾[١٤٦]، لقد أعماهم الجهل وأضلهم حبُّ الدنيا فقست قلوبهم

---

[١٤٤] سورة غافر: ٤١

[١٤٥] القندوزي، سليمان بن ابراهيم الحسيني البلخي، ينابيع المودة، ص٤١٦.

[١٤٦] سورة القلم: ٣٥-٣٧

وصارت كالحجارة التي لم يفسرها قوة زلزلة الحوار الحسيني وروعته وبلاغة منطقه وصدق حديثه.

وخلاصة القول يتمحور حول أسلوب الإمام الحسين عليه السلام البديع في حواره مع الآخرين، وما تمخض عنه من طرق استدلالية باستعماله لآي الذكر الحكيم؛ لما يحمله من أساليب احتجاجية مقنعة، حيث طرق الإمام جميع السبل العقلية والشرعية لردع أعدائه من التورط في سفك دمه الطاهر، فذكّرهم عليه السلام بحسبه ونسبه ومقامه في الإسلام، ثم عرج الى توبيخهم وإصرارهم على قتاله كرجل مسلم –وتنزلاً عن مقامه–؛ لعلّة فقدانهم المبرر الشرعي لمناجزته وعدائه، حيث لم يغير سنةً ولم يأت ببدعة، وقد ألقى عليهم الحجة البالغة ولم يترك لهم عذراً يقدموه غداً في يوم حسابهم. فسلام على أبى الأحرار يوم ولِد ويوم أستشهد دفاعاً عن بيضة الدين الإسلامي من كيد وزندقة بني أُميّة.

خلاصة المطلب– بعد الاستعراض المقتضب لأسلوب الإمام الحسين الحواري لابد من الخروج بعدة نتائج وهي ما يلي:

١– إن المنطلق الأمثل لمعرفة العقائد الاسلامية وأصول الدين هو القرآن الكريم؛ لقطعية صدوره بإجماع علماء الإسلام، الّا أنهم اختلفوا في فهم معناه وتحمل وجوهه؛ بسبب الإعراض عن تأويل المتشابه منه وتفسير محكمات آياته، حيث قام بعض المسلمين بالكشف عن مضمونه بالرأي من دون الرجوع الى أصوله ومنابع تفسيره.

٢– لقد أستعمل الإمام الحسين عليه السلام آي القرآن الكريم في أغلب محاجاته مع المبطلين والمضلّين كما هو الحال مع المعترضين على خروجه من المغرضين بعد إعلان ثورته المباركة.

٣- لقد مهد الإمام الحسين عليه السلام لثورته الكبرى بإثبات أصول الدين الإسلامي؛ لتقوية عقيدة المسلم وزيادة بصيرته، وكشف زيف بني أُمية وضلالهم وبطلان إمامتهم للأمة الإسلامية.

٤- عمل الإمام الحسين عليه السلام في توضيح الحقائق ونشرها كمقدمة لبث روح الوعي العقدي في عقول المسلمين قبل استنهاضهم للثورة على أصول الشجرة الخبيثة.

٥- أتسم حواره عليه السلام القرآني بقوة البيان وتمام الحجة البالغة على من سمع واعيته المباركة؛ لتكون دافعاً لنهضة الأمة بوجه الطغاة، ولكن أغلب المسلمين وقتها أعرضوا عن صوت الحقِ ميلاً لهوى النفس الذي ارداهم في الهاوية.

المبحث الثالث- أثر أسلوب الإمام الحسين عليه السلام العقلي في التنمية العقدية (السؤال المجازي أنموذجا)

تهيئة

باسم الله وحمداً له على آلائه، والصلاة على خاتم رسله وعلى آله الأطهار.

لمنطق الإثبات العقدي حضور خاصٍ في فكر أهل البيت بدرجة بالغة الوضوح من خلال كلماتهم وحوارهم مع المخالفين حتى صار مناراً للمتكلمين؛ نظراً لأهمية العقيدة البالغة ومكانتها العليا في سلّم التدرج الديني.

كان قدر هذا الدين الحنيف أن ينبثق نوره من وحي الوجود النبوي الأشرف ويدوم بقاءه ببركة النهج الحسيني القويم الذي أتخذ نماذج عدة في حركته ومقالاته، ومن أهم تلك الأساليب في كلمات الإمام الحسين هو استعماله لأسلوب السؤال المجازي سواء أكان في دعائه أم في حواره مع الآخرين، وهو أسلوب طالما استعمله القرآن الكريم كثيراً في الحوار العقدي وجدله.

إن للسؤال المجازي من الأهمية بمكان حتى أضحى أداة للاستعمال القرآني[١٤٧] الصامت والناطق على حدّ سواء، ويجد المتتبع له حضوراً واسعاً في آي الكتاب الحكيم ومن نزّل على قلبه وانتهج هديه، وهو ما أتخذه الإمام الحسين عليه السلام منهجاً بليغاً في الدعوة الى

---

[١٤٧] هذا البحث تناوله الكاتب في جزء من متطلبات نيل رسالة ماجستير بعنوان ((دور السؤال القرآني في التنمية العقدية)) الصادرة من جامعة المصطفى العالمية.

سبيل ربه بالحكمة (العقلية) والموعظة (العاطفية) المؤثرة لسامعيه عبر الأجيال المتلاحقة.

لقد صدر من ناحية الإمام الحسين عليه السلام أشعة نور استدلالية في إثبات الحق وتحقيق حقيقته وتعميد أصول الدين وركائزه الرئيسة عبر أدعيته وحواره الجدلي بأسلوب السؤال المجازي، وصارت تلك المعالم النيرة مشكاة نورٍ وهدى يستنير بها العلماء والمحققين؛ لينهلوا من نميره الفضفاض فيطفئوا سعرة هيامهم الى مبتغاهم العلمي ومقصدهم العملي.

وفي هذا البحث سأتناول أهم ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في مجال الإثبات العقدي وما يتمخض عنه من دلالات عقلية وبراهين بديهية مقنعة لكل ذي لبٍ يريد الوصول الى الحقيقة ويهتدي بهديها، وأستعين بفهم وتحليل كلام الإمام –وهو إمام الكلام– بآيات الله تعالى تأصيلاً لكلامه، وبآراء العلماء والمفكرين وتفسيرهم لهذا المعين الذي تطفح ضفتاه بألوان من المعارف العقلية والأسفار العلمية.

أولاً- السؤال المجازي لُغةً واصطلاحاً

تتطرق المعاجم اللغوية إلى السؤال فتعرفه تعريفاً تقليدياً، فالسؤال لُغةً يعني: الطلب، فسألت العافية يعني: طلبتها، وسألَه الشيء، من قوله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾[١٤٨] أي: عن عذاب واقع، ورجل سؤَلَةٌ، كثير السؤالَ وتساءلُوا سَأل بعضهم بعضا عن أمرٍ ما.[١٤٩]

وأما المجاز في اللغة فهو ما يقابل الحقيقة ويعني: "مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما توجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي".[١٥٠]

والسؤال اصطلاحاً هو: "**استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة.. فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو بالإشارة، والسؤال للمعرفة تارةً يكون بالاستعلام وتارةً للتبكيت وتارةً أُخرى لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليخبر ويعلم**".[١٥١]

والمجاز في الاصطلاح هو: "**كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة مناسبة بين ما تجوز إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز.**"[١٥٢]

---

[١٤٨] سورة المعارج:١

[١٤٩] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١١، ص٣١٨؛ وابن فارس، أحمد بن زكريا، مجمل اللغة، ج١، ص٤٨٢؛ والزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ص٢٨١.

[١٥٠] الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص٣٢٥.

[١٥١] الاصفهاني، الحسين الراغب، المفردات في غريب القرآن، ج١، ص٢٥٠؛ والبروسوي، اسماعيل حقي الخلوتي، روح البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٦٠٢.

[١٥٢] بن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج٢، ص٤٤٢.

إن علاقة الشدُّ اللغوي للمعنى الاصطلاحي، وتحرر الحد الاصطلاحي عنه –وهو الاجتياز والتخطي من موضع الى آخر–، هو ما يكشف عن سر العلاقة المدعاة بين استعمال المجاز لُغةً واستعماله اصطلاحاً، فكما يجتاز الإنسان ويتنقل في خطاه من موضع الى غيره، فكذلك تجتاز الكلمة وتتخطى حدودها بمرونتها الاستعمالية من موقع الى آخر، ويتجاوز اللفظ محله من معنى الى معنى أوسع، مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدلُّ على ذلك؛ فيكون أصل الوضع باقياً على معناه اللغوي الأساس، والنقل إضافة لغوية جديدة في معنى جديد يناسب مقامه، وبهذا يبدو أن المجاز يتضمن عملية تطوير لدلالة اللفظ منقول المعنى، وتحميله المعنى المستحدث بما لا يستوعبه اللفظ نفسه لو ترك وأصل وضعه الحقيقي.[١٥٣]

ومن خلال ما تقدم يظهر للمتتبع أن السؤال لُغةً يعطي معنى طلب الشيء والفهم والإيضاح والدعاء والاستفسار ويطرح على شكل استفهام، وفي الاصطلاح يعني طلب معرفة أو ما يؤدي إليها، وله معنى مجازي واسع المدى هو مدار بحثي في استعمال الأمام له في مقاله.

---

[١٥٣] ينظر الصغير، محمد حسين، أصول البيان العربي، ٣٥.

ثانيا– مفهوم السؤال عند الفلاسفة والمفكرين

مما تقدم يمكن أن يتصور إجمالاً عدّة معانٍ رئيسة للسؤال يمكن اعتمادها للانطلاق إلى رحاب المفهوم الأوسع والغور في مكنون أسراره العميقة؛ لكي نستكشف مفهوماً يليق ومكانة السؤال التاريخية والعلمية من آراء الفلاسفة والمفكّرين.

إن المفهوم الفلسفي للسؤال هو: "**ما يراد به الاستجواب أي المطالبة بالاطلاع على ما وراء معرفتنا لموضوع السؤال..، فكلمة السؤال توحي بالتوتر العقلي بما تحمل من مطالبة وانتظار. ومن ثم تفتح تفكيره بما يحمل من نزوع للمعرفة سوف يبتدأ بمثابة المقدمات الاستفهامية لبلورة السؤال**"[١٥٤]، ومعه يمكن القول أن الانسان كما يبدو متسائلاً، بل إن التساؤل له من التأصل والسبق بحيث يتيح لنا أن نرجح ظاهرة السؤال وقد رافقت الطفل –صامتاً– منذ أن تمكن من التفكير. ومهما يكن من أمرٍ فإن السؤال هو طريقة فذّة في التعبير تفيد الاختزال والإثارة بما يتواكب وهذا العصر الذي ينشد الدقة معه والذي قطع فيه الانسان شوطاً عظيماً من الإبداع ووضوح الرؤية وبات يدرك النتيجة بمجرد النطق بالمقدمة، ولعل هذا نفسه يفسر لنا لماذا كان السؤال سريع التأثير بالمسؤول؟ إنه لو لم يكن مجبولاً على الاستيعاب المتسارع للعمليات العقلية الاستدلالية المماثلة لعمليات السؤال لما أمكن أن يخضع لمثل هذا التأثّر السريع. إن الايجاز وكذلك فنُّ الخفاء لمقدمات السؤال الذي يلازم أكثر الأسئلة كان له دور بمثابة عامل التلميح الذي يتدفق تعميمه إلى

---

[١٥٤] الشابندر، غالب حسن، ستراتيجية السؤال، ص١٣.

الشعر والدراما وغيرهما من فنون أدبية. فالسؤال إذاً هو منهج عقلاني يتوصل إليه الانسان خلال تطوره اللغوي إمعاناً في الإيجاز والدقّة ويعول عليه في تصاعد خطواته بنفس مقدمات الاستدلال ويختلف عنه في صيغة الاستجواب المتمثلة بأدوات الاستفهام. وللسؤال من حيث نصه وهدفه (بغض النظر عن مقدماته) أشكال وقواعد ضمن ذاته.[١٥٥]

إذاً من وحي الدلالة اللغوية للسؤال يجد الباحث أن الفكر قد غاص في مكنون معناه؛ ليستكشف من مقدماته الخفية أسرار تأثيره في المسؤول أولاً ثم الكشف عن آلية تحصيل المعرفة المطلوبة في تنمية مدركات العقل البشري ثانياً، وهذا ما نجده في التحليل النفسي للسائل أو المحاسب باستفسار أو استجواب بشكل متسلسل ومترابط، فإثارة السؤال تُعبر عن توترٍ سابقٍ نشأ من ورود مشكلة في ذهن السائل لتثير اضطراباً في نفس المسؤول تضطّره الى الإجابة؛ وبذلك يتحقق مراد موضوعة السؤال في قصدها الأسمى بإدراك ما وراء المعرفة وتحصيل ما كان غائباً عن الاذهان أو غير ملتفت اليه من قبل. وعندما يكون السؤال بحقيقته طاقة موجية ستكون الإجابة عبارة عن مقدمة لسؤال أرقى وهكذا دواليك بلا منتهى لمعارف جمة في طريق الاستفهام[١٥٦]؛ ولذلك لا يتحقق الاستقرار في مثل هذا السبيل بل يبقى الطالب للحقيقة في سلسلة مترابطة وقلق دائم في طلب الكمال والنماء المعرفي والأبداع العلمي، ومن هذا المنطلق "يبدو أن

---

[١٥٥] ينظر: الأعسم، عدي، علم السؤال، ص٣٧-٤١.
[١٥٦] ينظر: الشابندر، غالب، ستراتيجية السؤال، ص١٦-١٨.

السؤال ضد الخفاء، وله علاقة بأطروحة السؤال مفتاح الوجود....، ولعلّه لهذا السبب العميق لم يضع القرآن الكريم السؤال في قفص ولم يحجبه عن التطلّع المستمر حيث لم يضع سقفاً نهائياً للسؤال ﴿**أَولَم ينظُروا في ملَكُوت السَّماوات والْأَرْض**﴾..."[١٥٧]. إن الفهم العميق لمكنون السؤال ومَعرفة أسرارهَ يتطلب الغور في غياهب مضامينه؛ لكي يتسنى للباحث الحصول على نتائج مبدعة تواكب التطور المعرفي، ويصل الى غايته ويحقق أهدافه المرجوة.

ثالثاً- تداعي معاني مفهوم السؤال

أما المفهوم الآخر الذي يتضمنه السؤال وخاصة السؤال العقلاني والعرفاني والفلسفي هو مفهوم (التداعي)، لما تتضمنه كينونة السؤال من قوة مركزية قلَّ نظيرها في غيره من أساليب الكلام، ومعه يمكن استنطاق السؤال واستخباره عن المعاني الباطنية والمخفية، **"حيث تتوالد وتتكاثر الأسئلة كنبات الفطر ...، فالسؤال هنا ليس مرادفاً للاستفهام أو الاستفسار أو الاستخبار....؛ لأن الاستفهام لا يكون الاّ لما يجهله المستفهم فيه، أما السؤال فيجوز فيه أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعما لا يعلم".**[١٥٨]

هكذا ظل السؤال يرمز إلى الطريق المؤدي للمعرفة؛ لأن الانسان لو عرف كل شيء لما أحتاج إلى طرح أسئلة ولذلك يتراءى لنا السؤال فعلاً يعبر عن الشعور برغبة في المعرفة ورأب الصدع

---

[١٥٧] سورة الأعراف:١٨٥.
[١٥٨] الشابندر، غالب، ستراتيجية السؤال، ص١٥.

وملء الفراغ الذي يخشاه الإنسان. إن السؤال يفضي إلى ممارسة الجدال والجدل بالتي هي أحسن؛ لأنه تعبير عن موقف حازم من دعوي الآخر، واستدراج صاحب الدعوي للدفاع عن اطروحته بتقديم الحجج والأدلة وفحص مدى قدرتها على الصمود أمام ضربات النقد العلمي بالسؤال؛ لأجل دحضها أو إثباتها أو تعديلها. كما يمكّن السؤال الإنسان من الحضور في العالم والمشاركة في بناء المعنى وتأسيس المعرفة مع تربيته على الإبداع والنقد والحوار، وبعبارة أدق إن السؤال هو ما لا يدري عن نفسه بعد ما هو حتى يتمكن من استدراج أجوبة لا يتوقعها أبداً.[١٥٩] فالسؤال طاقة عقلية كامنة في النفوس التواقة إلى اكتشاف أسرار الوجود؛ لبناء معارف جديدة تواكب التطور والإبداع العلمي. إذاً خروج السؤال عن معناه ليكون من قسم الإخبار والإعلام فينقل بذلك المعارف المكنونة في تداعي معانيه إلى المقابل من خلال الجدل، ويغير من حال المخاطب بافتعال اضطرابٍ وقلقٍ عقلي لديه تمهيداً لتولد معرفة جديدة.

[١٥٩] ينظر: حاجي، د. جعفر عباس، فقه فلسفة كينونة السؤال، ج١، ص٢٦٣-٢٦٧.

أقسام السؤال وأساليبه

إن السؤال من أنواع الإنشاء الطلبي ويعني: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام، وهو نوعان هما:

أحدهما: السؤال الحقيقي: وهو الذي ورد على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول، كما في قوله تعالى: ﴿**يسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مرساها**﴾.[١٦٠]

والآخَر: السؤال البلاغي أو المجازي: هو أحد الأساليب المستخدمة في اللغة العربية من أجل الوصول إلى هدف معينٍ، أي: أن هذا النوع من الاستفهام لا يقصد به الاستفهام بعينه؛ وإنما يراد منه قصدٌ آخر غير الاستفهام؛ كأن يكون لغرض التوبيخ أو التقرير أو ما شابه ذلك. فالغرض منه هو غرض بلاغي وليس استفهاماً حقيقياً، ولهذا الاستفهام حضور واسع في القرآن الكريم.[١٦١]

إن خروج الاستفهام عن أصل وضعه من الظواهر الأسلوبية التي لفتت أنظار الدارسين والباحثين منذ عهد مبكر، ولم يخل عملٌ من أعمال الرواد من الوقوف عنده والإشارة إلى أسراره الفنية بعمق.[١٦٢] ومن وجوه ثراء معاني الاستفهام المجازي هو تنوع أساليبه وتعدد معانيها، حتى أختلف في دلالته علماء اللغة والبيان؛ مما أدى إلى اختلاف توجيهاتهم التفسيرية، ولم يجد الباحث تقسيماً موحداً لأساليب السؤال في كتب اللغة والبيان، وبسبب تعدد الوجوه القرآنية

---

[١٦٠] سورة الاعراف:١٨٧

[١٦١] ينظر: د. عبد الرحيم حمدان، بنية الاستفهام في سورة «ص»، ص١، مقال.

[١٦٢] ينظر : رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص ٢٩٤، بدلالة: وردة كحيل، السؤال في ضوء القرآن الكريم، ص١٤.

للآيات ذات الأساليب المجازية وعمق دلالتها، ارتأيت أن أُصنف أساليب الاستفهام المجازي وأجمع بين تلك المعاني في ثلاثة أقسام رئيسة تجمع مضامين السؤال المجازي، فكل أصلٍ يتضمن عدّة معانٍ –بحسب ما أشار اليه علماء اللغة والتفسير منٍ التداخل الدلالي– محاولةً مني لربطها بموضوع التنمية العقدية والاستفادة منها لتوجيه البحث وتنويعه؛ لأجل حمل مباحثه على الدلالات العميقة المتوخاة من الدعوة القرآنية الحكيمة في الجدال الأحسن وما تقتضيه الدعوة من حكمة وموعظة حسنة. ويمكن تقسيم معاني الاستفهام المجازي إلى ثلاثة معانٍ رئيسة يضمُّ كل معنى عدداً من الأساليب المناسبة للمعنى الأساس والمرتبطة به، وهي ما يلي: –

الأول هو السؤال الانكاري وما يتضمنه من معاني النفي والتعجب والتوبيخ نهياً.

الثاني هو السؤال التقريري وما يتضمنه من معاني طلب الإذعان والتعجيز والتذكير تنبيهاً.

الثالث هو السؤال الترهيبي والترغيبي ومضامين التعظيم والتهويل حثّاً وتحذيراً. وهو تقسيم أشار اليه علماء اللغة والتفسير في مضان أبحاثهم،[١٦٣] وقد سار الإمام الحسين على النهج القرآني وهو ربيب أهل ذلك البيت الذين ألهمهم الله تعالى من علمه واجتباهم لرسالته.

---

[١٦٣] ينظر: الدماميني، محمد بن أبي بكر، شرح الدماميني على مغني اللبيب، ج١، ص٦٤–٧٦؛ ومنيرة، فاعور، الاستفهام المجازي في كتاب (الصاحبي) لابن فارس، ص٢–١٩، مقال؛ وآخرون.

المطلب الأول- أثر إثباته ﷻ لوجود الله ﷻ بالسؤال المجازي

لقد تميز الجدل القرآني بالأدلة الإقناعية المستندة على ثوابت العقل وبديهياته، وتوجيه الدعوة إلى اعتماد العقل والقول العلمي في الحوار العقائدي. وهي سمةٌ بارزةٌ في الخطاب القرآني بصورةٍ عامة وفي الاستعمال القرآني للسؤال المجازي على وجه الخصوص. ومن خلال استقراء الباحث لآيات الذكر الحكيم أحصيت جملةً منها تشير لهذه الدعوة ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[١٦٤]، حيث توحي دلالة الآية إلى أن الكافرين عليهم أن يثبتوا ادعاءهم الشريك بدليلٍ علميٍ من كتبٍ نزلت قبل القرآن الكريم أو ما بلغهم من علم الأنبياء وأوصيائهم مما يدلُّ على استحقاقه للعبادة أو الأمر بها.[١٦٥] وفي الآية إشارة إنكار على قول الذين يجادلون بغير علم كما ذكرهم تعالى في قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾.[١٦٦] والمطالبة بالدليل تظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**﴾، وتتجلّى حقيقة أصول الدين الإسلامي بما تحويه من عقائد في مبدأ التوحيد، حيث يعتبر أصل التوحيد هو قطب رحى الأصول، ومنزلته منها منزلة الرأس من الجسد، ومنه تتفرع بقية الأصول وإليه ترجع في الإثبات، ويبحث في أصل التوحيد

---

[١٦٤] سورة الأحقاف: ٤

[١٦٥] ينظر: المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول، ج٥، ص٨٩

[١٦٦] سورة لقمان: ٢٠

الصفات الالهية التي تنقسم بدورها إلى: الصفات الذاتية والصفات الفعلية.[١٦٧]

لقد تنوعت أدلة اثبات وجود الله تعالى ووحدانيته بأنواع الأنفس ودرجات كمالها، فمنها ما اتخذت سبيل الآثار الدالة على وجود المؤثر وهو ما يسمى بدليل العلية، ومنها ما استنتجته الأفكار وسبحها في ملكوت السموات والأرض فتثبت حسن نظمها وحكمة مدبرها وهو المعروف بدليل النظم، ثم ترتقي النفس لتصل إلى مرحلة الرقي لتثبت وجوده تعالى تصديقاً بالفطرة مجردة عن أي أثرٍ خارجي، فيكون ظهوره تعالى هو الغالب والمؤثر في أدراك الآثار لا العكس وهو ما يسمى بالدليل الذاتي (اللمي) أو دليل الصديقين، وهو مقام سامي لا يصل اليه الّا من أخلص لله تعالى في عبادته فأخلصه سبحانه لولايته واجتباه لرسالته.

لقد سلك الإمام الحسين عليه السلام طريق أهل الصدق طلباً للجذب بدل الكسب، فاستبدل التحقق بالآثار بكسوة ومضة الأنوار كما ظهر في دعائه يوم عرفة، وهو دعاء من سقاه ربه شراباً طهوراً فصارِ طاهر السر عن النظر الى غير الساقي ومصون الضمير عن حبِ الشراب وإن كان طهوراً؛ لأن لا مجال فيها لظهور غير المعبود ولا مطلوب فيها الّا المعبود ولا مقصود فيها إلّا معرفة المعبود بالمعبود لا بغيره من آيات الآفاق أو الأنفس.[١٦٨] حيث ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة قوله: "**الهى ترددي في الآثار يوجب**

---

[١٦٧] ينظر: محمد تقي مصباح، اليزدي، دروس في العقيدة الاسلامية، ص٩٠

[١٦٨] ينظر: الآملي، عبد الله الجواد، تقرير بحث المحقق الداماد (كتاب الحج)، ج٢، ص٦٢

بعد المزار فأجمعني عليك بخدمةٍ توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟ حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا... الهي هذا ذُلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول اليك، وبك استدل عليك".[١٦٩]

لقد تقدم الاستدلال بتعليل مسلكه وبيان سببه بقولهعليه السلام: ((**الهى ترددي في الآثار يوجب بعد المزار**))، وختم استدلاله بالغاية من اعتماد هذه الوسيلة في مسلكه بقولهعليه السلام: ((**منك أطلب الوصول اليك، وبك استدل عليك**))، وهو طريق الخواص (اللمي) الذي يورث القطع بانتقاله من العلّة (الأظهر وجوداً) الى المعلول، ويقابله طريق العوام (الدليل الأني) وهو طريق العوام الذي يورث الظن بانتقاله من المعلول الى العلّة، "فهناك يتحد الدليل والمدلول لأنه تعالى دل على ذاته بذاته دون غيره فيما نهجهعليه السلام؛ لأن ما عدا ذلك إما استدلال عليه تعالى بآيات الآفاق وفي ذلك ينحاز كل واحد من المستدل والدليل والمدلول بحياله، وإما استدلال عليه تعالى بآيات الأنفس وفي ذلك وإن يتحد المستدل والدليل ولكن ينحاز كل منهما عن المدلول ومعلوم أن الدليل إذا لم يكن عين المدلول لا يمكن أن يدل عليه حق الدلالة بخلاف ما إذا كان عينه كما في هذا الدعاء البالغ حيث

---

[١٦٩] ينظر: المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج١، ص٣٠١؛ والقمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٤٢٥، نقلاً عن ابن طاووس السيد، إقبال الأعمال.

أنه عليه السلام استدلَّ بالله على الله عز وجل وعرفه من ذاته الظاهر وحكم بأنه لا ظهور لغيره تعالى حتى يكون هو المظهر له"[١٧٠]. فقد أستعمل الأمام عليه السلام أسئلة متعددة لبيان استدلاله في اثبات وجود الله عز وجل ووحدانية ذاته، وهي كما يلي: -

(كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟)، وهو سؤال تعجبي يفيد الإنكار باستبدال الطريق الأقرب بالطريق الأبعد مما يورث الجهد والعنت، فالإمام هنا ينكر أن يدلَّ المحتاج على الغني. وهو دليل داعم لمبدأ العلية ومؤكده كأساس ينبغي ألا يقتصر عليه في إثبات وجود الواجب بل ينبغي أن يتعداه الى مستوى أرقى في الإثبات ليورث القطع بدل الظن.

(أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟ حتى يكون هو المظهر لك!)، وهو سؤال إنكاري أيضاً يفيد توبيخاً لمن يرى المخلوق بعينه الباصرة أكثر مما يدرك بقلبه الخالق ووجوده الأظهر بفطرته.

(متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟)، وهو سؤال تقريري يتضمن معنى التذكير بوجوده تعالى الدائم -الأزلي والباقي السرمدي- الذي لا يحتاج معه الى الزائل الفاني ليدلَّ عليه.

(ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟) وهو سؤال تقريري يفيد معنى طلب الإذعان بقرب المولى وهو -أقرب الينا من حبل الوريد- والتنبيه الى خطل رأي من يقدم المعلول على علّته وخالقه.

---

[١٧٠] الآملي، عبد الله الجواد، مصدر سابق، ص٦٣

وكما دأب العقلاء في حوارهم مع الآخرين في اعتمادهم على مبدأ إنكار الأفكار المغلوطة أولاً تمهيداً لنفيها (طريق الهدم)، ثم يتبعه مبدأ طلب الإقرار بالأفكار الصائبة والإذعان لها تأسيساً بديلاً لسابقتها المغلوطة (طريق البناء)[١٧١]، فقد سار الإمام الحسين عليه السلام بهذا النحو حيث بدأ بالإنكار تعميداً لطريق إثبات أرقى من سابقه ومؤيداً له بمبدأ الأولوية أي: من كان ثبوته يبدأ من ظهور معلولاته وآثارها وهو المظهر لها هو أولى بثبوت ذاته بذاته واثبات معلولاته يكون متأخراً رتبةً وأقل ظهوراً. وهذا المسلك الاستدلالي أعتمده الجل القرآني في آياته العقدية مع إضافة طريق ثالث –الترهيبي والترغيبي– كما تقدم، وما ورد في القرآن الكريم هو أصل كلام الإمام الحسين ومستنده كما قال تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...**﴾[١٧٢] حيث بدأت الآية جدالهم بنفيَ الشك عَن وجوده عز وجل –القطع بوجوده– من قوله (أفي الله شك)، ثم أعقبه بإثبات خالقيته عز وجل، حيث قال أهل التفسير ما نصه: "**استفهام إنكاري، ومورد الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله، فقدم متعلق الشك للاهتمام به، ... وأتبع اسم الجلالة بالوصف الدال على وجوده وهو وجود السموات والأرض الدال على أن لهما خالقاً حكيماً؛ لاستحالة صدور تلك المخلوقات العجيبة المنتظمة من غير فاعل مختار.**"[١٧٣] ولا يدرك هذا الطريق الّا الأولياء ومن اجتباهم الله تعالى لمعرفته حق المعرفة، ومن هنا دعا الإمام الحسين عليه السلام الى عدم الاكتفاء بطريق

---

[١٧١] ينظر: روبير بلانشي، المنطق وتاريخه، ص ١٣١.
[١٧٢] سورة إبراهيم:١٠
[١٧٣] ابن عاشور، محمد بن الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج١٣، ص١٩٨–١٩٩.

الظن بالرجوع الى الآثار لإثبات المؤثر بل أراد التكامل الروحي وتنمية القدرة المعرفية وذلك باستشعار أنوار البارئ عزوجل في كل شيء يراه الباصر كما قال الإمام علي : **(هو هانا وهنا وهاهنا، وهو فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وما رأيت شيئاً الّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه)**[١٧٤]، فهو تعالى اذاً قد دل على وجود ذاته المقدسة بأنوار ذاته القدسية وهي المظهرة لغيره من الممكنات التي فطرها بقدرته. إن طريق الخواص في السير الى الله تعالى هو منحة الهية لمن أخلص في ولايته وعبادته "**وولايته تعالى أعني كونه قائماً على كل شيءٍ في ذاته وصفاته وافعاله منشأها ايجاده تعالى إياها جميعاً واظهاره لها من كتم العدم فهو فاطر السماوات والأرض ولذا يتوجه إليه تعالى قلوب أوليائه والمخلصين من عباده من طريق هذا الاسم الذي يفيد وجوده تعالى لذاته وايجاده لغيره**".[١٧٥]

والحاصل أن وجودهﷻ أظهر الأشياء ولا يحتاج في ظهوره إلى بيان أحد، وقد أظهر الدلائل على وجوده وعلمه وقدرتهﷻ في الآفاق وفي أنفسهم، وهو مظهر الأنبياء والرسل وفضلهم وكمالهم وهو مفيض العلم والجود عليهم، وعلى جميع الخلق، فهو سبحانه المظهر لنفسه ولغيره وجوداً وكمالاً ومعرفة.

وخلاصة المبحث المخصص لاستدلال الإمام الحسينعليه السلام على وجود اللهﷻ من خلال استعماله المبارك للسؤال المجازي بإنكار انحصار إثبات وجوده تعالى تحقيقاً من خلال مخلوقاته مع الإقرار

---

[١٧٤] الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب، ص٣٠٩.
[١٧٥] الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١١، ص٢٤٩.

بوجوده في الفطرة السليمة، فقد دعا الإمام عليه السلام إلى سلوك سبيل أقصر للوصول بدل الطرق المتعددة والملتوية والتي يطول معها السفر والتي غاية ما تورثه للسالك هو الظن، وأقصر الطرق للوصول إلى معرفة الله تعالى هو طريق قطعي الدلالة وسريع الكفاية، فلا بدَّ من القطع بوجود عالمٍ قديرٍ أوجد هذا العالم العظيم في خلقه والبديع في نظمه.

المطلب الثاني- أثر إثباته عليه السلام لمبدأ لإمامة- بالسؤال المجازي

تتجلّى حقيقة الدين الإسلامي بأصول العقيدة وثوابتها وهي: التوحيد ولازمها العدل الآلهي، والنبوة ولازمها الإمامة، والمعاد ولازمه الجزاء يوم الحساب.

وبعد أن أستدل الإمام الحسين عليه السلام على وجود الله عز وجل ووحدانيته باستعمال السؤال المجازي ينتقل إلى خطوة أُخرى طالما أختلف عليها المسلمون بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الا وهي مسألة الإمامة والخلافة من بعده، فلم يختلف أحد من المسلمين على حقيقة نبوته ولزوم طاعته حياً وميتاً، ولكنهم اختلفوا في تفسير وصيته فيمن يخلفه من بعده. ولأجله انبرى الأمام لتحقيق ما أوصى به النبي الأكرم على مسمع ومرأى من أصحابه وأهل بيته، فيجد المتتبع أن استعمال الأمام لهذا الأسلوب كان بليغاً في معناه وذا عمقٍ في دلالته، وفيه التأثير الأكبر في المقابل من خلال حواره وجدله عليه السلام المتسم بالمناشدة وإلقاء الحجة البالغة.

فمن نماذج حواره عليه السلام مع مخالفيه هو ما نقله أرباب الحديث والتأريخ من مناشدته عليه السلام بقوله: **"أُنْشدكُم الله! أَتعلَمون أَنَّ عليَّ بن أَبي طالب كانَ آخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين آخى بين أَصحابه فَآخى بينَه وبين نَفْسه، وقال: أَنت أخي وأنا أخوك في الدنيا وَالآخرة؟ قالوا: أَللّهم نعَم !، ..... قال عليه السلام: أُنْشدكُم الله! أَتعلَمون أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نَصبه يوم غَدير خُم؟، فَنادَى لَه بالْوِلايَة، وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب؟، قالوا: أَللّهم نعم..... قال عليه السلام: أَتعلَمون أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخرِ خُطْبة خَطَبها: إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلّوا؟ فقالوا: أَللّهم نعم، قد سمعنا وتفرقوا على ذلك".**[١٧٦]

لقد ناشدهم الإمام الحسين عليه السلام في سلسلة من الأسئلة المجازية بأسلوب السؤال التقريري المفضي إلى طلب الإذعان والتصديق بما علموه سلفاً من وصايا النبي الأكرم بحق أمير المؤمنين الإمام علي والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، وأنهم هم الخلفاء عليهم من بعده صلى الله عليه وآله وسلم والائمة من بعده على سائر المسلمين، فلهم ما لرسول الله وعليهم الالتزام بالعدل والزهد والمسؤولية المطلقة في حكمهم أمام الله عز وجل.

ومن أمارة السؤال التقريري أن يكون –غالباً– جوابه حاضراً في عقب الكلام، وأن تلي أداة الاستفهام (الهمزة) أداة النفي (ليس، لم)، فالاستفهام في أصله هو إنكار والإنكار بمعنى النفي وعندما يدخل على النفي يكون إثباتاً وتقريراً؛ لأن نفي النفي هو إثبات.[١٧٧]

---

[١٧٦] الاميني، عبد الحسين، الغدير، ج١، ص١٩٨، بدلالة كتاب سليم بن قيس، ص٢٠٦.
[١٧٧] ينظر: عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ص٢٨٤؛ والسيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، الدر المنثور، ج٣، ص٢٢٠.

فلا بدَّ من تأويل كلمة مقدرة في سؤال الإمام عليه السلام حتى يكون كلامه بنحو (أليس تعلمون أو ألم تعلموا)، وحذف المقدر لمعلوميته ولعلم الإمام سلفاً بإقرارهم وسماعهم لما ذكرهم به، ويكون جوابه في حال النفي بكلمة (بلى) وفي حال وروده بالإيجاب يكون جوابه بكلمة (نعم). ومن الشواهد القرآنية التي أُستعمل فيها السؤال التقريري هو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا**﴾[١٧٨]، أي: أنا ربكم حقّاً، والاستفهام (ألست) هو لتقرير الحجة البالغة على الخلق باتفاق أهل التفسير، وفيها وجهان لأخذ الميثاق هما القلبي والمثالي.[١٧٩] وثمة استدلال آخر يثبت تقريراً عقلياً بضرورة إتباع الكامل في هدايته ورشده وترجيحه على غيره، كما يقول تعالى: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[١٨٠]، والمعنى في الاستفهام (أفمن يهدي) هو: "**تفريع استفهام تقريري...، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أهل العقول بأن الذي يهدي إلى الحق يوصل إلى الكمال الروحاني...، فاتباعه واجب عقلاً واتباع غيره لا مصحح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه. وأفعال العقلاء تصان عن العبث**"،[١٨١] فالعقل يقرُّ أن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن الاهتداء بمن هو في

---

[١٧٨] سورة الاعراف: ١٧٢.

[١٧٩] ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٤، ص٣٩١؛ و الآلوسي، محمود بن عبدالله، روح المعاني، ج٩، ص١٠٢؛ والزمخشري، جار الله، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٩؛ والطباطبائي، محمد حسين، مصدر سابق، ج٨، ص٣٠٨.

[١٨٠] سورة يونس:٣٥

[١٨١] ابن عاشور، محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، ج١١، ص١٦١-١٦٢.

نفسه يحتاج إلى من يهديه. فمن بين أسئلة كثيرةٍ في أسلوب الإمام تعقب المناشدة يتدرجعليه السلام في بيان أحقية الإمام علي والأئمةعليهم السلام من بعده في خلافة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ويستدرج مستمعيه على مرِ الدهور للإقرار بإمامتهم على المسلمين.

ومن هذا المنطلق يبدأعليه السلام ببيان أفضلية الإمام علي بصفة الأخوة للنبي الأكرم بقولهعليه السلام: **(أَتَعْلَمونَ أَنَّ عَليَّ بْنَ أَبي طالب كانَ آخا رَسُول اللهصلى الله عليه وآله وسلم...؟)**، فقد أختاره رسول الله أخاً من دونَ رجال المسلمين فَي أكثر من مناسبة، وهذه الأخوة جاءت لبيان فضله على سائر المسلمين وعلو شأنه، وتقديم الفاضل على المفضول راجح عقلاً ووجداناً.

ثُم يسترسل الإمامعليه السلام في أسئلته البليغة ويبعث رسالة أخرى يذكرهم فيها بضرورة الإقرار بولاية الإمام علي امتثالاً لتنصيب النبي الأكرم له في غديرِ خم وبيعتهم له في قولهعليه السلام: **(أَتَعلَمونَ أَنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم نَصبه يوم غَديرِ خُم؟، فَنادى لَهُ بالْولايَة)**، وهي خطوة متقدمة في الاستدلال تقع في نتيجة أفضليته أولاً وامتثالا لأمر رسول الله في الاقتداء بولايته ثانياً، وقد أقروا وبايعوا الإمام عليعليه السلام في وقتها فلا ينبغي –عقلاً وشرعاً– أن ينكثوا بيعته وإن تقادمت السنون والأزمان.

ثم يختم الإمامعليه السلام أسئلته بسؤال تقريري يتضمن معنى التنبيه إلى سريان الولاية لأئمة أهل البيت وامتدادها الشرعي من بعد الإمام عليعليه السلام وطلب الإذعان لولايتهم بقولهعليه السلام: **(أَتَعلَمونَ أَنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قال في آخرِ خُطْبة خَطَبها: إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب**

الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلّوا؟ فقالوا: أللّهم نعم)، فديمومة الإسلام الأصيل مرتبطة بدوام التولي لأئمة أهل بيت الرحمة والامتثال لأوامرهم والتزام طاعتهم، ولكن القوم كانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾[١٨٢] فبعد اليقين والقطع بصدور هذه الوصايا من النبيَ الأكرم فَيَ حق الأئمة المعصومين ومع إقرارهم بولايتهم كان أكثرهم جاحدين بها ومنكرين لفضلهم ظلماً وتكبراً.

وخلاصة المطلب تتضمن عرض أهم نماذج الاستعمال الحسني للسؤال المجازي في إثبات مبدأ الإمامة، حيث أتخذ الإمام عليه السلام منهج التوضيح للأمة تذكيراً بوصايا النبي الأكرم من خلال تقريرهم بعهدة الأمر إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام والاعتراف النظري بإمامتهم وتنبيهاً لهم من خطر نكثهم للبيعة وتركهم للأئمة، وبقي عامل الإرادة بيد الأمة في تنفيذ ما أبرموا وتحقيق ما ألتزموا من أمر الوصية.

---

[١٨٢] سورة النمل:١٤

المطلب الثالث- أثر جدالهعليه السلام مع أعدائه في الطف

لا غرو في القول أنّ أكبر حدث شهده تأريخ الإسلام خاصة والتأريخ الإنساني بصفة عامة هو حدث واقعة الطف التي شهدت أكبر مأساة بقتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء وسبي نساء أهل بيت النبي الى الشام، وهذا الحدث يمثّل انعطافه خطيرة في تأريخ المسلمين ونقطة تحول في وعي المجتمع الإسلامي وثقافته؛ لما أحدثته من صرخة مدوية بوجه الظالمين مهما كانت هويتهم أو منزلتهم الاجتماعية ومكانتهم السياسية.

لقد صدر من الإمام الحسينعليه السلام أسئلةً ناشدهم فيها وأسئلة تقريرية وأخرى إنكارية في جداله مع أعدائه في معسكر بن سعد كما نقل أصحاب السير وأرباب التأريخ، فأراد الإمام أن يلقي عليهم الحجة البالغة وينبه عدوه بالعواقب الوخيمة في مبارزته وقتاله مع أصحابه وأهل بيته، فقام فيهم خطيباً في أكثر من مرة مذكراً وجادلهم منكراً عسى أن يثيبوا الى رشدهم ولا يتورطوا في سفك دمه الطاهر، ولكنهم أصروا على قتاله عناداً للحق وطمعاً في عطاء زائل وكانوا في ثواب الآخرة من الزاهدين. ومن أهم خطبه الجدلية مَع أعدائه في يوم العاشر من المحرم وقبيل أن تحمى الحرب بوطيسها وبعد أن وثب الإمام الحسينعليه السلام متكئاً على سيفه، فنادى بأعلى صوته -مع حذف تكرار أجوبة القوم بالإيجاب-، فقالعليه السلام:

"**أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت بن رسول الله وسبطه. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم؟**

... قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أمي فاطمة بنت محمدﷺ؟ ... قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي علي بن أبي طالبعليه السلام؟ .... قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدتي خديجة بنت خويلد، أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟ ... قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ سيد الشهداء حمزة عم أبي؟ ...قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أنّ جعفراً الطيار في الجنّة عمي؟ قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول اللهﷺ، وأنا متقلده؟ ... قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول اللهﷺ أنا لابسها؟ ... قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ علياً كان أولهم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ ... قال: فبم تستحلون دمي؟!، وأبي الذائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادي (العطش) عن الماء، ولواء الحمد في يد جدي يوم القيامة، قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا".[١٨٣]

إنها مناشدة تجعل القوم في مسائلة كبيرة أمام اللهعزوجل، وتتبعها أسئلة تقريرية متتالية وهي: (هل تعرفوني؟، هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله؟، هل تعلمون أن هذه عمامة رسول اللهﷺ) تفيد طلب الإذعان وترك الغي والشقاق والعناد من خلال تذكيرهم بنسب الإمام الحسينعليه السلام وحسبه الرفيع، والذي يلقي الحجة البالغة عليهم وتدينهم بإصرارهم مع اعترافهم، ثم أردف الإمام جداله بتذكيرهم وصية النبي

---

[١٨٣] الصدوق، أبو جعفر بن بابويه القمي، الأمالي، ص٢٢٣؛ والنيسابوري، الفتال، روضة الواعظين، ص١٨٥.

الأكرم لأبيه الإمام عليعليه السلام وأفضليته على سائر المسلمين بأمرِ رسول الله، وأنه بيده كأس السقاية على حوض الكوثر في يوم القيامة يسقي منه من يشاء –ترغيباً– ويمنع عنه من يشاء –ترهيباً– والناس عطشى في محشرهم الرهيب؛ ولذا ختم الإمام الحسينعليه السلام أسئلته بسؤال إنكاري (فبم تستحلون دمي؟) يفيد تقريعاً يوبخهم على تركهم الحق وما فيه نجاتهم غداً بعد اعترافهم وإقرارهم –والإقرار أبلغ الحجج–.

إن إصرار الإمام الحسينعليه السلام على مجادلتهم يكمن في حرصه على نجاتهم وعدم التورط بسفك دمهعليه السلام وهلاكهم بسببه؛ لأنه إمام رحمة يهدي الى الحق ويدعو للنجاة من العذاب الأخروي والفوز بالنعيم المقيم، فهو السالك سبيل الأنبياء والترجمان لآي القرآن، حيث كان مثله كمثل مؤمن آل فرعون الوارد في قوله تعالى: ﴿**ويا قَومِ ما لي أَدْعوكُم إِلَى النَّجاة وتَدْعُونَني إِلَى النَّارِ**﴾[184]وفي الآية المباركة سؤال إنكاريٌّ يفيد توبيخاً (ما ليَ أدعوكم؟) كما قرره أهل التفسير بما نصه: " **ثُم وازى بين الدعوتين: دعوته إلى دين اللّه الّذي ثمرته النجاة، ودعوتهم إلى اتّخاذ الأنداد الّذي عاقبته النار، فقال: (ويا قَومِ ما لي أَدْعوكُم إِلَى النَّجاة) من النار بالإيمان باللّه (وتَدْعُونَني إِلَى النَّارِ) إلى الشرك الّذي يوجب النار. وبخهم بذلك على ما يقابلون به نصحه**".[185]

---

[184] سورة غافر: ٤١

[185] الكاشاني، ملا عبد الله، زبدة التفاسير، ج٦، ص١٤١.

وهذا المعنى يجده المتتبع حاضراً في ثنايا الكتاب المجيد فمن شواهد آياته قوله تعالى: ﴿**أَأَقْرَرتُم وأَخَذْتُم عَلَىٰ ذَلكُمْ إِصرِي قَالُوا أَقْرَرنَا قَال فَاشْهدوا وأَنَا معكُم منَ الشَّاهدينَ* فَمنَ تولَّىٰ بعد ذَلكَ فَأُولَئكَ هم الْفَاسقُونَ**﴾[١٨٦]، وثمة شاهد آخر يدلُّ على توبيخ من أقر بأمرٍ شرعيٍ مثله ثم خالفه فاستحق صفة الذم كما في الآية أعلاه (هم الفاسقون)، حيث يقول الله تعالى: ﴿**كَيفَ يهدِي اللَّه قَوما كَفَروا بعد إِيمانهم وشَهدوا أَنَّ الرَّسول حقٌّ وجاءهم الْبينَات واللَّه لَا يهدي الْقَوم الظَّالمينَ**﴾[١٨٧]، فالخطاب القرآني هنا وإن لم يك جدالاً الا أنه يعطي نتيجَةَ ما يفضي إليه الجدال مع المعاندين وبيان مصيرهم، فقد ورد السؤال المجازي في هذه الآية المباركة ليعطي معاني بليغة لا يؤدها السؤال الحقيقي بطبيعة اللغة وأصولها؛ لأن "**كيف هنا أصلها للاستفهام، والمراد بها إنكار أن تقع هذه الهداية من الله ﷻ، وإنّما اخذت معنى الإنكار مع أن أصلها الاستفهام؛ لأن المسؤول يسأل عن أغراض مختلفة، فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال**".[١٨٨] فمن أصر على الباطل بعد معرفته للحق يكون منكراً بحكم العقل بكشفه للوقائع قبل أن ينكره الشارع المقدس ويتوعه بعذابه.

---

[١٨٦] سورة آل عمران:٨١-٨٢

[١٨٧] سورة آل عمران: ٨٦

[١٨٨] الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٥٢٢.

ومن جدال الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه في يوم الطف استعماله المشابه لما تقدم في مقام إلقاء الحجة التامة، حيث أورد بعض المؤرخين ما قاله عليه السلام في مقام الاحتجاج عليهم ما نصه:

"**أما بعد فانسبوني فينظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه وأول القوم إسلاماً وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟**".[١٨٩]

في هذا الجدل بالسؤال المجازي توجه الإمام عليه السلام إلى القوم سائلاً إياهم عن سبب قتاله الشرعي أو العقلي إياه وعلّة حشودهم ضده وهم يدعون الإسلام ديناً والنبي الأكرم نبياً في قوله: (هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟!)، مذكراً إياهم مجدداً بنسبه الشريف وحسبه الأرفع وفضله في ذيل كلامه الجدلي معهم.

ومن جداله عليه السلام مع أعدائه مثيراً لأسئلة من صنف آخر كما نقل أرباب السير والتأريخ في معركة الطف حيث قال عليه السلام: "**يا ويلكم! علام تقاتلوني؟، على حقٍ تركته، أم على سنّة غيّرتها، أم على شريعة بدّلتها ؟!**.[١٩٠]

---

[١٨٩] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تأريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٩؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٢؛ وآخرون.

[١٩٠] القندوزي، سليمان بن ابراهيم الحسيني البلخي، ينابيع المودة، ص٤١٦.

والمعنى في استدلال آخر للإمام بالسؤال الإنكاري يكمن في تضمنه للتعجب من موقفهم العدائي واستغراباً من إصرارهم على قتاله، فناجزهم بجداله وألقى عليهم الحجة متوعداً إياهم عذاب الآخرة بنداء: (يا ويلكم)، ثم أردف الإمام سؤاله الإنكاري بتعجب (علام تقاتلوني؟!) أي: عن سبب قتالهم إياه ووجه الشرعي أو العقلي، فلا يوجد أي مبررٍ يوجب قتال الإمام حيث لم يغير سنة بإيتاء بدعةً، ولم يترك حقّاً في ذمته ولم يؤده سلام الله عليه.

لقد أوضح الإمام عليه السلام من خلال جداله أن الأُمة وقتها أُصيبت بداء انعدام المعايير الصائبة وانحيازهم لجهة الباطل بلا دليل شرعي أو عقلي، فأقام عليه السلام عليهم الحجة البالغة والأدلة المقنعة ولكنهم لم يرعوا ومضوا في غيهم وسعوا في منهج الخلاف لصريح آيات القرآن المجيد وما أمرهم به من ضرورة إعمال العقل في التمييز بين أهل الحق والباطل كما قال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ**﴾[١٩١].

وخلاصة القول يتمحور حوَل أسلوب الإمام الحسين عليه السلام البديع في جداله مع الآخرين وما تمخض عنه من طرق استدلالية باستعماله للسؤال المجازي بأقسامه من التقريري بمضامينه والإنكاري بما يحمله من معانٍ كثيرة كالتعجب والتوبيخ، حيث طرق الإمام عليه السلام جميع السبل العقلية والشرعية لردع أعدائه من التورط في سفك دمه

[١٩١] سورة القلم: ٣٥-٤٠

الطاهر، فذكّرهمعليه السلام بحسبه ونسبه ومقامه في الإسلام، ثم عرج الى توبيخهم وإصرارهم على قتاله –وتنزلاً عن مقامه– مع فقدان المبرر الشرعي الكافي لمناجزته وعدائه، فلم يغيّر سنةً ولم يأت ببدعةً؛ وقد ألقى عليهم الحجة البالغة ولم يترك لهم عذراً يقدموه غداً في يوم حسابهم.

وفي ختام المطلب لا بدّ من التذكير بضرورة استعمال السؤال المجازي في الحوار مع الآخرين وجدالهم بالتي هي أحسن؛ لما يتضمنه من معانٍ بليغة لا يؤدّها غيره من الأساليب اللغوية في سبيل التنمية العقدية للدين الإسلامي الحنيف، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وعلى آله الطيبين المعصومين والرضوان لأصحابه المنتجبين ولمن سار على هديهم الى يوم الدين.

الفصل الثالث- آثار الامام الحسين عليه السلام الاجتماعية بعد شهادته

المبحث الأول- أثر السنن الالهية من نطق الرأس الشريف بالقرآن
المطلب الأول- أثر سنّة الهداية التشريعية والتكامل
المطلب الثاني- أثر سنّة التأييد والنصرة للمؤمنين
المطلب الثالث- أثر سنّة الله في الانتقام من الظالمين

المبحث الثاني- آثاره عليه السلام في سمات قادة الثورات ضد بني أمية
المطلب الأول- أثره عليه السلام في سمات القائد المختار الثقفي
المطلب الثاني- أثره عليه السلام في سمات القائد سليمان بن صرد الخزاعي
المطلب الثالث- أثره عليه السلام في سمات الشهيد زيد بن علي عليه السلام

المبحث الثالث- آثار تجليات العقيدة من الزيارة الحسينية
المطلب الأول- أثر تجلّي دلالة التوحيد
المطلب الثاني- أثر تجلّي دلالة النبوة والخلافة
المطلب الثالث- أثر تجلّي عقيدة المعاد الأخروي

الخاتمة

المبحث الأول- أثر السنن الإلهية من نطق الرأس الشريف بآي القرآن

استهلال

لقد تميزت حركات الإصلاح الإلهي عن غيرها من الدعوات وامتازت عليها بسمات الثبات، والشمول، والديمومة. لا غلو في القول أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية كانت من بينها كالكوكب الدري الذي يكاد نوره يلوح بوهجه أنظار المستضعفين في أفق التحرر من نير الاستعباد وظلم المستكبرين، إن إمعان النظر غوراً في أسرار هذه الشخصية الفذة يكشف عن أن كراماته في حياته وبعد شهادته كأنهما سيان في الدهشة والانبهار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلُّ على حقيقة حياة الشهداء وخلودهم، ولا سيما سيدهم الوتر الذي لايزال عطاءه ثرٌّ يجود به للراغبين كأنه حاضر في جميع الميادين يرفد المواقف البطولية ويتابع الأحداث حياً غير منظور **(ولا تحسبنَّ الذين قُتلُواْ في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربِهم يرزقُون)**.[١٩٢] والتصديق بمضمون الآية المباركة قد يكون متعذراً لضعاف الإيمان مع الإبقاء على فهم هذه الأسرار حكراً لأُولي الألباب الذين أختارهم الله لتحمل وحيه.

إن الوقائع المثبتة لصدق مضمون هذه الآية قد تجسدت في كرامات نطق رأس الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته كما كان الحال مع معجزة النبي يحيى عليه السلام من قبل، ومعطيات هذه الكرامات كثيرة سواء أكانت على مستوى الدلالة الموضوعية أم الإشارات العقلية!، فالإشارات العقلية تنبأ عن انتصار مبدأ الحق على هوى الباطل بغض النظر عن النتائج المنظورة على أرض الواقع، فللظالم جولة وللحق دولة وإن طال الزمن فسينتصر دم الأتقياء على سيف الأرجاس، ولا بدَّ لهذه الثورة أن يدوم صداها وتحيا شعائرها جيلاً بعد جيل تستمد نورها من نبراس أبي الأحرار الذي لم يسكته القتل وقطع الرأس، بل قطع

---

[١٩٢] سورة آل عمران: 169

رأسه الشريف بذلك أكذوبة الفناء بعد الموت حتى خلّده الله حياً ينطق بين أعدائه وأثبت أنهم هم الأموات.

أما الدلالة الموضوعية لآي الذكر الحكيم التي نطق بها الإمام الحسين فهي تستبطن المضامين العالية التي وردت فيها من قوانين إلهية عامة منها وأهمها قانون السنن الإنسانية والاجتماعية التي سأتناولها في هذا البحث المقتضب، والتي ستتوزع الى ثلاثة مباحث لكل مبحث آية مباركة أستنطقها بعناية لتدبر معناها برعاية توفيق الله وحسن عنايته، والحمد لله ربِنا والصلاة على خير خلقه وآله الطاهرين.

توطئة- المعنى اللغوي والاصطلاحي

يحوي عنوان البحث مفردتين لابدّ من بيان معناهما اللغوي والاصطلاحي؛ لكي يتسنى للمتتبع سهولة الولوج في موضوع البحث مع تسليط الضوء على أنواع السنن الإلهية وخصائصها.

الأول: (آية)

لغةً: تعني السمة والعلامة، وقد تعني الجمع من الاشياء أو الناس.[١٩٣]

اصطلاحاً: الآية من التنزيل في القرآن الكريم، وسميت آية لأنها علامة على انتهاء كلام من آخر، ولأنها مجموعة من حروف القرآن.[١٩٤]

الثاني: (السنن)

لُغةً: هي الطرق أو القواعد أو السير.[١٩٥]

---

[١٩٣] ينظر: بن منظور، جمال الدين بن محمد المصري، لسان العرب، ج14، ص76، تحقيق: عامر احمد، دار الكتب العلمية، ط (بيروت-2009م).

[١٩٤] نفس المصدر.

[١٩٥] ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، مصدر سابق، ج13، ص220.

اصطلاحاً: هي "**التصور المستنبط من فهم القرآن وفلسفته في فهم الحياة وتفسير الظواهر الاجتماعية والتاريخية والكونية، وهو الدعامة الرئيسة لتحقيق الوقاية الحضارية والتجديد والتدافع الحضاري**".[١٩٦] وبكلمة أُخرى هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر.. والنظام الثابت الذي أقام عليه الكون والحياة، والقوانين التي بثّها في هذا الوجود وأخضع لها جميع مخلوقاته.

وترتبط السنن بالاعتبار العقلي فلا جدوى من تعقّل السنن بلا اعتبار عملي، فالمعتبر يقرن دائماً بين الشيء وأمثاله، ولا يمكن الاعتبار من غير نظرٍ في الأحداث السابقة، ثم يقايس على ما حصل حتى يتولد الاعتبار من تنبأ حدث مشابه يقع لا محالة مستقبلاً. وهذا القياس يجري وفقاً للسنن والقوانين الإلهية التي تخبرنا بالنتائج قبل وقوعها،[١٩٧] كما قال تعالى: **(لقد كان في قصصهم عبرة لأُولي الألباب)**.[١٩٨]

ويمكن القول أن السنن الربانية هي عبارة عن (قوانين المجتمعات والحياة البشرية) التي لا تتخلف ولا تتبدل بل هي ماضية بأمر الله تعالى وقدره والتي أخفق العلم الاجتماعي الوضعي والتجريبي الحديث في التوصل إليها، رغم مرور ما لا يقل عن مئة عام من تأسيس معظمها، بل إن بعض هذه العلوم الاجتماعية الحديثة أسس منذ أكثر من (200) سنة كعلم الاقتصاد الغربي الذي عجز عن حلِ الأزمات الماليّة والاقتصادية العالمية. كما أن علم الاجتماع الحديث ينظر بعين العجز الى المشكلات الاجتماعية المعاصرة كالجرائم وتفكك الأسرة وغياب النظام والمخدرات والعنف وغيرها الكثير.[١٩٩]

---

[١٩٦] أبو اليسر رشيد كـهـوس، علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي، ص7، تقديم: قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مركز جمعية الماجد القافية، ط1 (الرباط-1436هـ).

[١٩٧] ينظر: محمد صالح المنجد، مقدمات في السنن الالهية، ص2، مقال، موقع https://almunajjid.com/courses/lessons/179.

[١٩٨] سورة يوسف:111.

[١٩٩] ينظر: د. جمال الحمصي، مراجعة السنن الالهية، ص2، مقال، مجلة المقر، بتاريخ 15/نوفمبر/2018م.

تتسم السنن الالهية ببعض الخصائص أهمها: أنها ذات قوانين محددة، وتتصف بأنها دائمة خالدة، وثابتة غير متغيرة، ومستمرة غير متحولة، تشمل الأولين والآخرين، كما تتسم بالصدق، والعدل، والعلو والرفعة، والقول الفصل. وهذا منهاج الله تعالى في قرآنه كما صدح في آيات كثيرة،[٢٠٠] منها قوله سبحانه: **(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)**.[٢٠١]

وتتخذ السنن الالهية عدة أشكال وتجري في جملة من الأقسام أهمها هي: –

أولاً– السنن الكونية (آيات الآفاق).

ثانياً– السنن الإنسانية ويتفرع عنها السنن الاجتماعية والسنن التاريخية، وسنن الهداية (التشريعية)، وسنن التأييد الالهي، وسنن التكامل.[٢٠٢]

وما يستحق التركيز منها في هذا البحث هو السنن الإنسانية لتناسبها مع موضوع آيات معجزة نطق الرأس الشريف.

تمهيد– الإثبات التاريخي لكرامة نطق الرأس الشريف

تضافرت الأخبار التأريخية والمرويات من مصادرٍ معتبرة –العامة والخاصة– على نقل حقيقة نطق الرأس الشريف للإمام الحسين بعد مقتله وحمله على رأس الرمح من كربلاء الى الشام.

لقد اكتسبت هذه الأخبار الاعتبار التاريخي لا الاعتبار الذي عليه المدار في الأخبار التي يستنبط منها الأحكام الشرعية من حجية الخبر الصحيح أو الموثق، فتأريخ الطبري معتبر عند المؤرخين وكذا تاريخ ابن

---

[٢٠٠] ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج2، ص950، دار الفكر، ط2 (دمشق–1427هـ)؛ وأبو اليسر رشيد، مصدر سابق، ص33.

[٢٠١] سورة الأحزاب: 62.

[٢٠٢] ينظر: الشيخ جعفر السبحاني، الالهيات –تقرير المكي، ص536–541، الدار الاسلامية، ط1 (بيروت–1409هـ)؛ وعلي جمعة، السنن الالهية، ص4، مقال، الموقع الالكتروني للدكتور علي جمعة– جامعة الأزهر.

الأثير ، ويكفي في هذا المعنى من الاعتبار للخبر أن ينقله وبطرق مختلفة مثل صاحب البحار، والطريحي في المنتخب، فضلاً رواه السيد بن طاووس في اللهوف أو الشيخ المفيد في الإرشاد ونظرائهم، وقد صرح بن كثير أن " **ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله -الإمام الحسين**عليه السلام- **فأكثرها صحيح**"[٢٠٣] كما سيأتي تفصيل تحقيقه العلمي.

بعض هذه الأخبار تؤكد أن الرأس الشريف تكلم بكلام فصيح وبليغ من غير القرآن أو تعقيباً لتلاوة آيات القرآن الكريم كما ورد في خبر المنهال بن عمرو الأسدي الذي شهده بقوله: "...**والله، أنا رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق، وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ قوله سبحانه وتعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فأنطق الله** عز وجل **الرأس -الشريف- بلسان ذربَ فقال: أعجب مَن أصحَاب الكهف قتلى وحملي**".[٢٠٤] وقد وثّق المنهال الكثير من علماء الحديث ونقل عنه الكثير من المؤرخين هذه الرواية، وعمل الباحث[٢٠٥] (جزاه الله خيرا) على جمع بقية الروايات وتحقيقها وتنقيح مطالبها في بحث تحقيقٍ قيم وموضوعي لكل الروايات التي ذكرت نطق الرأس الشريف من مصادر الفريقين، والظاهر إن هذه الرواية قد رويت في مصادر السنّة ومصادر الشيعة من طرقٍ مختلفة وموثقة، وهذا مما يعزز شهرتها، ويؤكّد حصول مضمونها.[٢٠٦]

والظاهر من التحقيق الشامل لروايات هذه الكرامة التي بلغت بمجموعها (خمس عشر) رواية، فمنها ست روايات نقلت نطق الرأس الشريف بغير القرآن الكريم إما تعقيباً لقراءته أو ذكراً لأسم الله تعالى وصفاته أو وعظاً

---

[٢٠٣] ابن كثير اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج8، ص220، مكتبة المعارف، ط (بيروت-1410هـ).

[٢٠٤] بن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج60، ص370، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، ط (بيروت-1415هـ).

[٢٠٥] سماحة الشيخ أسكندر الجعفري أستاذ وباحث علمي من حوزة النجف الاشرف.

[٢٠٦] ينظر : الشيخ أسكندر الجعفري، تكلم الرأس الشريف في مصادر الفريقين، مقال، مجلة الاصلاح الحسيني، العدد السابع، ص201-202.

وإرشاداً أو وعيداً وتنكيلاً،[٢٠٧] ومنها البقية (تسع) روايات أخبرت بنطق الرأس الشريف لآي من الذكر الحكيم قد تكرر بعض الآيات في موارد مختلفة ليكون مجموع الآيات التي تكلّم بها الرأس الشريف هو (ست) آيات أثنان منها في سورة الكهف وتقعان في سياق واحد، فيكون تفسيرهما في مبحث واحد يضاف إليه مبحثان يختص أحدهما بالآية الثانية، والآخر بثلاث آيات متناسبة في موضوعها.

إذاً المباحث الثلاث تتعلّق بتفسير خمس آيات مباركة كلٌّ حسب موضوعها– وردت في الأخبار سأتناول مضمونها باختصار وهي كما يلي:

الآية الأُولى– ورد تكلّم الرأس الشريف في خبر زيد بن أرقم (رضي الله عنه) أنّه قال: "... **مرَّ به [أي: رأس الحسين عليه السلام] [علي وهو على رمح، وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾**[٢٠٨] **فقفّ – والله ـ شَعري، وناديت: رأسك ـ والله ـ يا بن رسول اللهَ وأمرك أعجب وأعجب**".[٢٠٩]

وفي نفس السياق ورد نطق الرأس الشريف بآية من نفس السورة وتقع في سياقها كما جاء في خبر أبي مخنف متصلاً عن الشعبي: "**أنّه صلب رأس الحسين (عليه السلام) بالصيارف في الكوفة، فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فلم يزدهم ذلك إلّا ضلالاً**".[٢١٠] والغريب أنّ الرأس الشريف قد تكلّم في مكان عام مزدحم يسمعه

---

[٢٠٧] نفس المصدر، ص201–217.
[٢٠٨] سورة الكهف: 9.
[٢٠٩] الميرزا محمد خان رستم خان المعتمد البدخشي، مفتاح النجا في مناقب آل العبا، ص145، مخطوط، نقلاً من السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، شرح إحقاق الحق، ج11، ص452، تصحيح: إبراهيم الميانجي، مصادر عقائد الشيعة الإمامية؛ وبن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب، ص333، نحقيق: نبيل رضا، مؤسسة أنصاريان، ط2 (قم المقدسة–1412هـ)، وآخرون.
[٢١٠] ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج3، ص218، تصحيح: لجنة أساتذة حوزة النجف، المطبعة الحيدرية، ط (النجف–1375هـ).

كل من حضر من الناس، وبعد إن أثار الانتباه من خلال التنحنح ونطقه بالآية، مع ذلك لم يؤثر فيهم شيئاً، وهذا يفيد أن أغلب الناس وقتها كانوا ممن قست قلوبهم كما هو الحال في زمن النبي يحيىعليه السلام، لقول الراوي: (فلم يزدهم ذلك إلّا ضلالاً).

اذاً سيكون محور السنة الالهية في هذا السياق القرآني من قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا*.. نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾**.[٢١١]

الآية الثانية– في رواية ابن عساكر بسند متّصل عن سلمة بن كهيل قال: "...**رأيت رأس الحسين على القنا وهو يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[٢١٢]...".[٢١٣]

والمقطع ذيل آية كريمة لابد من تدبرها كاملة، فيكون محور السنة الالهية في الآية الثانية هو قوله تعالى: **﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**.

الآية الثالثة– رواية الشيخ البحراني وهي مرسلة: "**... إن عبيد الله بن زياد بعد ما عرض عليه رأس الحسينعليه السلام دعا بخولي بن يزيد الأصبحي، وقال له: خذ هذا الرأس حتى أسألك عنه. فقال: سمعاً وطاعة. فأخذ الرأس وانطلق به إلى منزله، إلى أن قال: فخرجت امرأته في الليل، فرأت نوراً ساطعاً من الرأس إلى عنان السماء، فجاءت إلى الإجانة فسمعت أنيناً، وهو يقرأ إلى طلوع الفجر، وكان آخر ما قرأ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾**[٢١٤]...."[٢١٥]

---

[٢١١] سورة الكهف: 9و13.
[٢١٢] سورة البقرة:137.
[٢١٣] ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج22، ص117.
[٢١٤] سورة الشعراء: 227.
[٢١٥] السيد هاشم البحراني، مدينة المعاجز (معاجز آل البيت)، ج4، ص 124، مؤسسة النعمان، ط (بيروت–1411هـ).

والمقطع ذيل آية كريمة ستكون محوراً للسنة الالهية من قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾.[٢١٦]

الآية الرابعة– من رواية سهل بن سعيد الشهرزوري (سهل الساعدي)، حيث قال عندما رأى السبايا تدخل من باب الساعة في الشام: " ...**وقلت: واحزناه! للأبدان السليبة النازحة عن الأوطان، المدفونة بلا أكفان، واحزناه! على الخدّ التريب والشيب الخضيب، يا رسول الله! ليت عينيك ترى رأس الحسين في دمشق يطاف به في الأسواق، وبناتك مشهورات على النياق مشققات الذيول والأزياق، ينظر إليهم شرار الفسَّاق، أين علي بن أبي طالب يراكم على هذا الحال؟! إلى أن قال: وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس وهو متقلّد سيفاً تحت ثيابه، فكشف الله عن بصره فسمع رأس الحسين، وهو يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾، فقد أدركته السعادة، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم انتضى سيفه وشدَّ به على القوم، وهو يبكي وجعل يضرب فيهم، فقتل منهم جماعة كثيرة، ثمَّ تكاثروا عليه فقتلوه**".[٢١٧]

ومع تكملة الآية المباركة سيكون محور السنّة الإلهية هو من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾.[٢١٨]

---

[٢١٦] سورة الشعراء: 227.

[٢١٧] فخر الدين الطريحي النجفي، المنتخب، ص282، مؤسسة التأريخ العربي، ط1 (بيروت– 1428هـ).

[٢١٨] سورة ابراهيم:42

الآية الخامسة- رواية بسند متّصل، عن الحارث ببن وكيدة، قال: "...**كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه السلام فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: يا بن وكيدة، أما علمت أنّا معشر الأئمة أحياء عند ربنا نُرزق؟! فقلت في نفسي: أسترق رأسه. فنادى: يا بن وكيدة، ليس لك إلى ذلك سبيل! سفكهم دمي أعظم عند الله تعالى من تسييرهم رأسي، فذرهم فسوف يعلمون ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾** ...".[٢١٩]

والآية متصلة سياقاً بما قبلها من آية كريمة ليكون محور السنّة الإلهية من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ* إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ*فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾.[٢٢٠]

المطلب الأول- أثر سنّة الهداية التشريعية والتكامل

يظهر هذا الأثر جلياً من قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا*.. نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾.[٢٢١]

إن القانون الالهي يقضي بهداية المؤمنين وزيادة تكاملهم الروحي؛ لأنه تعالى وعده الحق الذي لا يخلفه قد تكفل حفظ دين التوحيد بإنماء المؤمنين -كماً ونوعاً- ومباركة جهودهم، فكما حفظ أصحاب الكهف مئات السنين، وهداهم السبيل القويم بعد أن فروا بدينهم تاركين زينة الحياة الى كهفٍ ناءٍ، فقد

---

[٢١٩] محمد أبو جعفر بن جرير الطبري، دلائل الإمامة، ص78، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، ط1 (قم المقدسة-1423هـ).
[٢٢٠] سورة غافر: 70-٧٢.
[٢٢١] سورة الكهف: 9و13.

رجعوا الى الحياة وتحققت أُمنيتهم في رؤية حكم أهل التوحيد والإيمان.[٢٢٢] إن قدرة الله تعالى المطلقة كفيلة في تحقق وعده سبحانه ولو من خلال الرجعة الى الحياة الدنيا بعد الموت كما أشار الحديث الشريف عن الإمام الصادق قوله: "**وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث؛ ليقطع حجتهم وليريهم قدرته؛ وليعلموا أن البعث حق**".[٢٢٣] وهكذا كان أمر الإمام الحسين عليه السلام أعجب من أمر أصحاب الكهف، فبعد القتل الفعلي وقطع رأسه الشريف ظل يتكلم وينطق بذكر الله تعالى تمهيداً لإنجاز وعده بالنصر في قوله تعالى: ﴿ **ولَقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عبادي الصَّالحُونَ** ﴾[٢٢٤]، وهذا القانون الإلهي ما هو الّا سنة قائمة لا تبدل فيها ولا تغيير الى يوم القيامة، "**فما آية أصحاب الكهف ببدع عجيب من بين الآيات بل هي متكررة جارية ما جرت الأيام والليالي على الانسان**".[٢٢٥]

لقد ظهر من النصوص الشرعية أهمية الهداية وضرورتها في التمهيد لاستحقاق التأييد الالهي، وأن النصر يترتب ترتباً علياً على الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه بيقينٍ راسخٍ يربط القلب بشدة تمنع من التزلزل والشك، فإذا وضع الإنسان خطواته في طريق الله ونهض لأجله فإن الإمداد الإلهي سيشمله (وزدناهم هدى)، وما على المؤمن الّا أن ينتظر تحقق وعد ربه بلطفه ورحمته، فعندما يجاهد الإنسان من أجل اعلاء كلمة الله، فإن الله يهديه إلى طريق الحق لا محالة **(والَّذين جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدينَّهم سبلَنَا وإنَّ اللَّه لَمع الْمُحْسنينَ)**[٢٢٦]،

---

[٢٢٢] ينظر: محمد بن الفضل الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج6، ص315، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، ط1 (بيروت-1415هـ).

[٢٢٣] أبي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، ج2، ص88، مؤسسة الشريف الرضي، شريعت، ط1-1380.

[٢٢٤] سورة الأنبياء: 105

[٢٢٥] السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج13، ص245، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

[٢٢٦] سورة العنكبوت:٦٩.

فوعد الله تعالى حقٌّ في تأييد عباده ونصرتهم في مواجهة المصاعب وعبور العقبات،[٢٢٧] وهذا التأييد معلول للإيمان ومترتب عليه بنظام العلية " **أَنَّ ما أَكْرمهم اللَّه بِه من الْعنَايَة إِنَّما كَان تَأْيِيدا لَهُم لأَجْل إِيمانهم**".[٢٢٨]

من خَلاَل ماَ تقدم يظهر جلياً أن العنايَة الالَهيةَ لا تقتصر على تأييد المؤمن في حال حياته وحفظ بدنه حال وجوده في دار الدنيا، بل تتسع وتمتد في رفدها للأولياء الى ما بعد الدنيا وإن كانت أجسادهم بلا روح او كانت مغيبة عن الأنظار، فتصير أبدانهم محلاً للبركات ومركزاً للهبات وآية عظمى تبهر العقول وتجذب النفوس ميلاً للتقوى ويقيناً بوعد الله تعالى بعاقبة النصر والتمكين في الأرض، فالدروس والعبر من قصة أهل الكهف تذكّر المؤمن بحقيقة أن الأئمة عليهم السلام سواء الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى أم الغائب الإمام المهدي عليه السلام هم أحياء يرفدون حياتنا بالتأييد والرعاية بأمر من الله تعالى من خلال الاعتراف بوجودهم الروحي أو المادي المستور، فسمة الإيمان بالغيب من أساس عقيدة المؤمن الذي يروم الانطلاق بهذا الواقع والسمو به الى رحاب الله سبحانه، ولا يتم ذلك الّا بتأييده سبحانه وحسن توفيقه، وإكرامه بالكرامات الظاهرة، واحتباءه بالألطاف الخفية اللامحدودة.[٢٢٩]

هنا ينقضي العجب من صنيع الله تعالى بأصحاب الكهف بعد الجواب عن السؤال المجازي (أم حسبت أنّ أصحاب الكهف كانوا من آياتنا عجبا) حيث يتكفل وحي النبوة بتفسير حلّ هذا العجب بقوله (ص): "**قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك**".[٢٣٠] ولقد أنجز الله سبحانه وعده لأصحاب الكهف أن أراهم دولة التوحيد وزوال دولة

---

[٢٢٧] ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج9، ص212–213، المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة–مكتبة أهل البيت.

[٢٢٨] محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص265، الدار التونسية للنشر–1984م.

[٢٢٩] ينظر: جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي ع، ج1، ص24، مكتب التبليغ الاسلامي، ط1 (قم –1430هـ).

[٢٣٠] ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، ج1، ص198، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ط (القاهرة–1383هـ).

الشرك بعد رقدتهم الأولى، ولكن هذه الدولة لم تكن مكتملة المعالم وغير سالمة من شوائب الشرك والظلم (غير معصومة القيادة)؛ لذا صاروا الى رقدتهم الثانية حتى آخر الزمان حيث كتب الله تعالى لهم أن يستيقظوا في دولة الإمام المهدي، فيجدوا العدل المطلق والتوحيد الخالص، ويسلّموا على الإمام المعصوم ويعيشوا في حياة إسلاميّة ناصعة،[٢٣١] وقد ذكرهم رسول الله ص بقوله: "**أصحاب الكهف أعوان المَهدي**"[٢٣٢] فإن تشرف أصحاب الكهف بكرامة نصرة الإمام المهدي فمن باب أولى تشرف أصحاب الإمام الحسين بنصرته عليه السلام ومن شايعه وبايعه في حياته وبعد شهادته اعترافاً منهم بحقِ ولايته وإيماناً بصدق دعوته وفوزاً بوعد الله تعالى أن يملأ بهم الأرض قسطاً وعدلاً.

إن نطق الرأس الشريف بهذه الآيات المباركة يدلُّ على استمرار منهج الاصلاح الحسيني في هداية الناس الى سبيل الإسلام المحمدي الأصيل، وهذا ما أكدته العقيلة في جوابها لابن زياد حين سألها شامتاً عن صنع الله تعالى في قتل الامام الحسين، فقالت: (ما رأيت الّا جميلا...)،[٢٣٣] أي أن هذه الدماء الزكية ستهز عروش الظالمين وتحيي قلوب المؤمنين بالهداية، ثم أضافت صرخةً أخرى دوت قصر الطاغية يزيد بقولها ع: (فو الله ما فريت الا جلدك، ولا حززت الا لحمك،... ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون).[٢٣٤] لقد أثّر مصاب الامام الحسين في ضمير الأمة ووجدانها، فتوالت الثورات على دولة بني أُمية حتى سقوطها تحت شعار (الرضا لآل محمد).

---

[٢٣١] ينظر: زين الدين علي بن جبر، نهج الإيمان، ص215-216، تحقيق: سيد أحمد الحسني، مطبعة ستارة، ط1 (قم المقدسة-1418هـ).

[٢٣٢] محمد الصالحي الاندمشكي، القرآن وفضائل أهل البيت ع، ص293، مطبعة أفق، ط1 (قم المشرفة-1425هـ)، نقلاً عن الدر المنثور

[٢٣٣] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠.١١.

[٢٣٤] محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص١٣٥، الوفاء، ط٢ (بيروت-١٤٠٣هـ).

خلاصة المطلب-

إن نطق الرأس الشريف بآيٍ من سورة الكهف يذكّر الناس أن تضحية الامام الحسين ونهضته كمثل ثورة أصحاب الكهف بل هي أعجب، فحين أراد الكفار بهم سوء حتى يكونوا عبرة لمن يجرأُ على تحدي سلطتهم، تركوا الدنيا وملاذها واعتزلوهم الى عبادة ربهم، وفي نفوسهم أُمنية رؤية الناس على دين التوحيد والعدل وزوال دولة الشرك والظلم، فظن الكافرين انتصارهم وبلوغ مرادهم، ولكنّ أمر الله غالبٌ بسُنّته ومنجزٌ لوعد المؤمنين، فأهلك الله سبحانه الظالمين وأعاد الحياة لأوليائه؛ ليحَقّق أُمنيتهم ويزيد من يقينهم كمالاً لهدايتهم وتثبيتاً لحقيقة المعاد وأنه تعالى لا يخلف الميعاد.

إن سنة الله تعالى جرت أجلّ مصاديقها في هداية الأُمة الاسلاميّة وتكاملها بعد واقعة الطف، فكانت منعطفاً كبيراً كشف وجه الزيف الأموي وأبدلته بالوجه الإسلامي الأصيل، وهذا الوعي لدى الأُمة هو الأساس في هداية أبنائها وسرُّ تكاملهم، وحقّا ما قيل فيها: إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

المطلب الثاني- أثر سنّة التأييد والنصرة للمؤمنين

إنّ مضمون هذه السنة تكمن في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.[٢٣٥]

ومعنى الآية المباركة يدلُّ على أنّ طريق الحق واحد وسبيله مستقيم بالدين الإسلامي القويم، فمن آمن به وصدق بنبي الإسلام وأوصياءه -على سبيل الفرض- فقد سلك طريق الحق المفضي الى دار السلام، وفي الآية المباركة من التبكيت والتعجيز لمن يتخذ غير هذا السبيل الأوحد كما قال تعالى: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه)**[٢٣٦]، فكل دين لا يمثّل الإسلام الحقيقي هو دين ضلال وبَاطل إتباعه وإنْ أتخذ أسماً سماوياً أو حتى إسلاميا، ومن رفض سبيل الحق عناداً فقد سلك طريق الضلال، وصار في شقٍ آخر مناوئ للمؤمنين ومعاد للدين القويم، ويظن أن هذا العداء والحرب ستلحق بالمؤمنين المصاعب والأذى حتى يتركوا دينهم أو أن يقتلوا -أما السلّة أو الذلة- فيأتي هذا المدد الإلهي بالكفاية والحفظ من شرِ الأعداء عند الإخلاص والثبات.[٢٣٧]

مهما تكن هذه الحرب مؤلمة للمؤمنين وشديدة عليهم حتى القتل في سبيل الله تعالى، ومع كل ما يصيبهم من نوائب فأن الوعد الإلهي لا يخلف ولا يتخلف في ضمان حفظ هذا الدين وتأييد أنصاره،[٢٣٨] ومثل ما أصاب المؤمنين ينزل بالكافرين من المصاعب والنوائب نكالاً بهم وتحقيقاً لقوله تعالى: **(ولا**

---

[٢٣٥] سورة البقرة:١٣٧.

[٢٣٦] سورة آل عمران: ٨٥

[٢٣٧] ينظر: الملا فتح الله الكاشاني، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٨-٢٥٠؛ وفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٤٠٦-٤٠٨، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، ط١ (بيروت- ١٤١٥هـ)؛ وآخرون.

[٢٣٨] ينظر: مير سيد علي الحائري، تفسير مقتنيات الدرر، ج١، ص٣٢١، مطبعة الحيدري، ط (طهران-١٣٣٧هـ.ش).

تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)[٢٣٩]، فأمل المؤمنين بوعد الله تعالى كبير وهو ذخرهم وبلسم جراحهم وسر حفظهم وغلبتهم وإن طال الزمان بهم، فمن أستشهد منهم فهو في روح وريحان حيث جنّات النعيم، وفي المقابل من قُتل من الكافرين فهو في عذاب جهنم ومن بقي منهم فهو ينتظر العذاب الأخروي وله في الدنيا عذاب وخزي كبير وإن حكم أغلب أرجاء المعمورة كما قال تعالى: **(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)**[٢٤٠]، وكلما ازدادت المؤامرات على هذا الدين وأهله ازداد الدعم الإلهي بالحفظ لهم والتنكيل بعدوهم **(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)**[٢٤١] والمستفاد من كل ما تقدم أن الظفر الحقيقي هو دار الخلود لا دار الفناء وقد تكفل المولى سبحانه بسعادة أولياءه في الآخرة ونصرتهم بحفظ دينه في الدنيا حتى آخر يوم من الدنيا، "**فسيكفيكهم الله، وعد لرسول الله بالنصرة عليهم، وقد أنجز وعده وسيتم هذه النعمة للأمة الاسلامية إذا شاء**".[٢٤٢]

ومن هذا المنطلق رفع الإمام الحسين عليه السلام شعار رسائله بقوله: "**أما بعد، فإنّه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام**"[٢٤٣]، حيث قرن عليه السلام بين شهادته والفتح في سياق شعار ثورته المباركة، فلا يمكن معها أن نحمل معنى الفتح على النصر العسكري، بل لابد من حمله على النصر المعنوي والأخروي المؤثر مستقبلاً في ترتب النصر السياسي والاجتماعي والعقيدي، وما يؤيده قوله تعالى: **(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ**

---

[٢٣٩] سورة النساء: ١٠٤.
[٢٤٠] سورة آل عمران: ١٩٦-١٩٧.
[٢٤١] سورة المائدة: ٦٤.
[٢٤٢] محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٣١٢.
[٢٤٣] رضي الدين ابي القاسم علي بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٢٨/ مطبعة مهر، ط١ ،قم المشرفة-١٤١٧هـ).

كُنْتُم صَادِقِينَ* قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ* فَأَعْرِضْ عَنْهُم وَانْتَظِرْ إِنَّهُم مُنْتَظِرُونَ)[٢٤٤]، فاليوم الذي لا ينفع فيه الايمان ولا العمل هو يوم القيامة لا محالة دون أيام الدنيا، وأن هذا الفتح هو الذي سيزيل جميع العقبات التي وضعها أعداء الدين والإنسانية في طريق الحق؛ لأن جذوة نار شهادة الإمام الحسين وأنصاره قد توقدت في قلوب المؤمنين ولن تنطفأ حتى يتحقق أمل المستضعفين في إقامة دين الإسلام على وجه الأرض.[٢٤٥]

إن عصارة ما ينفع المتدبر في هذه الآية المباركة التي نزلت تنكيلاً بالتعصب الأعمى والإصرار على الباطل هي أن سر نزولها "**لتؤكد على انحراف هؤلاء وأنهم في شقاق. ثم تثبت الآية على قلوب المؤمنين وتبعث فيهم الثقة والطمأنينة بالقول: فسيكفيكهم الله وهو السميع لأقوالهم العليم بمؤامراتهم**".[٢٤٦] والذي يؤكد للمؤمن على حقيقة أن السنة الالهية لا تتخلف كما أنها لا تختلف عبر الأزمان وأن وعد الله حق في تثبيت المؤمنين وكفايتهم شر الأعداء مع كثرتهم وفي ظل ولايتهم،[٢٤٧] وتلك سنةٌ ثابتة في قوله سبحانه: **(إِنَّا لَنَنْصُر رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)**[٢٤٨]، وينصر الله تعالى من آمن بالرسل وأوصياءهم –في حضورهم أوَ غيبتهم– ما داموا متآزرين على نصرة الدين الحنيف، وهو وعد مشروط بقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**[٢٤٩]، والشرط عدم بعدم شرطه والأمر متعلق بتوافر الشروط اللازمة في القاعدة الجماهيرية المؤمنة.

إن سنة التأييد بالحفظ والكفاية من شر الأعداء يجدها المتتبع حاضرة في وصايا الإمام الحسين خصوصاً ما أكده ع في وداعه الأخير لعياله بقوله: "**استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر**

---

[٢٤٤] سورة السجدة: ٢٨–٣٠.
[٢٤٥] ينظر: الشيخ جميل الربيعي، الفتح الحسيني، ص١–٢، مقال، موقع الصراط.
[٢٤٦] الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج١، ص٣٩٤.
[٢٤٧] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٧٤١.
[٢٤٨] سورة غافر:٥١.
[٢٤٩] سورة محمد: ٧.

الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة"،[٢٥٠] فالإمام الحسين كما كان على يقينٍ من شهادته مع أهل بيته وأصحابه، فقد كان على يقينٍ من انتصار حركته المباركة في آجل الإيام ومستقبل الأعوام، حيث يستجيب الله تعالى له دعاءه: "**اللّهم إن حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا**"،[٢٥١] وأن الدماء الطاهرة لن تذهب سدى، بل تروي شجرة الإسلام الأصيل لتثمر جيلاً واعياً يحقّق الله تعالى بهم وعده بتأييد نصرتهم على عدوهم وكفاية أمرهم.

خلاصة المطلب-

إن نطق الرأس الشريف بآية الكفاية يدلُّ على اتكال الامام الحسين على السنة الالهية القاضية بنصرة حركته المباركة وحفظ سلالة النبوة والدين الإسلامي من بعد شهادته، وأن النصر الحقيقي إنما يأتي بالتضحية والفداء لأجل إحياء كلمة التوحيد. هذه الآية المباركة تعتبر مستند المؤمنين ومصدر ثباتهم في مواجهة الكافرين مع قلّة العدة والعدد.

---

[٢٥٠] محمد مهدي الحائري، معالي السبطين، ج٢، ص١٣-١٤، المجلس السادس، مؤسسة النعمان، ط (بيروت-١٩٨٦م).

[٢٥١] محمد تقي المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٧.

المطلب الثالث– أثر سنّة الله في الانتقام من الظالمين

الآية الأولى– يمكن الاستفادة لبيان هذه السنة من قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾.[٢٥٢]

إن الآية المباركة فيها تهويل عبر تحذير الظالمين من عاقبة غصب الحقوق وانتهاك الحرمات، وترك بيان شكل العاقبة مهملاً. إن التذكير بسنة الله تعالى في الظالمين من قبل، وإخفاء بيان جنس العقاب كان لإثارة قلق السامعين للوعيد، ويشمل الوعيد مطلق الظالمين الذين تسببوا بأذى المؤمنين سواء بأقوالهم أم بأفعالهم العدوانية.[٢٥٣] إن إحالة ادراك السامع بخفاء سوء عاقبته وحاله المستقبلي الى مجهول غامض في حدوده له دلالة بلاغية، وقد جاء في صياغة أدبية بديعة جمعت بين الاستقبال ووقوع المحذور لا محالة، وهو ما فيه من "**تهديد شديد بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك لما في «سيعلم» من الوعيد البليغ، وفي «الذين ظلموا» من الإطلاق والتعميم، وفي «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».. من الإبهام والتهويل**"،[٢٥٤] وسرُّ حذف العاقبة يكشف عن فخامة أمرها، ولا يحيط بها افهام الناس لاشتمالها من الاسرار الأخروية على ما لا يطيقونه وانما تسع عقولهم ما ذكر من غاياتها وهو التحذير من مؤاخذته تعالى الظالمين عاجلاً وآجلاً، وتتم عليهم الحجة بما ذكر فيها من آيات، ويتذكّر المؤمنون منهم خاصة بما فيها من المعارف الإلهية.[٢٥٥]

---

[٢٥٢] سورة الشعراء: 227.
[٢٥٣] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩، ص٢١٣-٢١٤.
[٢٥٤] الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ج٥، ص٦٨.
[٢٥٥] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان، ج١٢، ص٩٠.

إن هذا المنقلب وتلك العاقبة غير منحصرة بيوم القيامة ولا مقيدة بساحة الحساب، بل هي مطلقة في إشارتها الى جميع ما لحق بالكافرين من هزائم في المعارك الحربية والكلامية، وما تعرضوا له من مخازٍ وذلّة على أيد المؤمنين بالإضافة الى ما سيصيبهم من عذاب في يوم القيامة.[٢٥٦] وما يعضده الكثير من الخطاب القرآني المبين كقوله تعالى: **(وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**[٢٥٧]، وكما فصلّه قوله تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[٢٥٨]، وقد ورد عن المعصومين تأويل هذه الآيات المباركة جرياً وانطباقاً على من ظلم أهل بيت النبوة وغصب حقّهم الذي حباهم الله تعالى به،[٢٥٩] ويجري هذا الأمر بحسب القاعدة على كل من ظلم شيعة أهل البيت وعاداهم الى يوم القيامة، ومما تقدم يستشعر المتأمل سر نطق الرأس الشريف بهذه الآية المباركة وما فيها من دلالات وعبر كثيرة، فقد حذّر الإمام الحسين هؤلاء الظلمة من سوء العاقبة والدواهي التي تنتظرهم في الدنيا قبل عذاب الأخرة، وفعلاً قد خسر هؤلاء القتلة الدنيا التي باعوا دينهم لأجلها أولاً، ثم أصابهم الخزي والعار جراء ما ارتكبوه من أبشع جريمة بحق أهل بيت النبوة، وما هي الّا سنين معدودة عاشوها حتى أدركهم القصاص قتلاً وتنكيلاً على أيد المؤمنين في ثورة التوابين وثورة المختار، ولعذاب الآخرة أشدُّ عقوبةً ولهم فيها السوء والعذاب الأليم، وهذه الآثار هي نتائج حتمية وفقاً لسنة الله تعالى في الظالمين، واستجابة حتمية لدعاء المظلومين كما ورد على لسان السيدة زينب في مجلس الطاغية يزيد قائلة: "**اللّهم خُذْ بحقّنا، وانتقم ممن ظَلَمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا... حسبك بالله حاكماً، وبمحمدٍ خصيماً، وبجبرئيل**

---

[٢٥٦] ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج١١، ص٤٨٥.
[٢٥٧] سورة السجدة: ٢١.
[٢٥٨] سورة البقرة:١١٤.
[٢٥٩] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان، ج١٢، ١١٣.

ظَهيراً، وسيعلم من سول لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً.. ولئن اتّخَذْتَنا مغْنَماً، لَتجِدَنّا وشيكاً مغْرماً، حين لا تجدَ إلاّ ما قدَّمتَ وما ربُّكَ بظَلاّم للعبيد.. ولا ترحضُ عنك عارها، وهل رأيك إلاّ فَنَد، وأيامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد!! يوم ينادي المنادي :ألاَ لَعنةُ الله علَى الظالمين".[٢٦٠] لقد كانت هذه الصرخة إعلان انتصار الحق على الباطلَ، وانتصاف المظلوم من الظالم، وهي كلمة عظيمة عند الله تعالى حتى صارت امتداداً للجهاد الحسيني المبارك.

الآية الثانية- يجد المتأمل هذه السنّة في قوله تعالى: ﴿**ولَا تَحسبنَّ اللَّه غَافلًا عمَّا يعمل الظَّالمونَ إِنَّما يؤَخِّرهم لِيوم تَشْخَص فيه الْأَبصار**﴾.[٢٦١]

هنا خطاب الهي فيه تذكير للمؤمنين وتسليةٌ بوعد الله تعالى وسنتّه القاضية بالاقتصاص من الظالمين ولو بعد حين، ومن خلال نهي أفراد الأمة المظلومةّ بمجرد ظنهم بالله تعالى السهو أو الإهمال من إنجاز ذلك الوعد المحتوم؛[٢٦٢] وقد جاء هذا الخطاب الكريم "**لتأكيد الحجة في (ولا تحسبن الله..) وفي هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم أي: لا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم، ولا ينتصف للمظلومين منهم**".[٢٦٣] أما الغاية من هذا الخطاب البليغ فأنها تكمن في أنه "**خطاب لكل من توهم غفلته، جهلاً بصفاته، واغتراراً بإمهاله**"،[٢٦٤] وفي هذا البيان دفع توهم ضعاف الإيمان الحاصل من

---

[٢٦٠] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨١-١٨٢.
[٢٦١] سورة ابراهيم:42
[٢٦٢] ينظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٣٠٢، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام، الطبعة الأولى (قم المشرفة- ١٤٠٩هـ)؛ وآخرون.
[٢٦٣] الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص٨٨.
[٢٦٤] الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ج٣، ص٤٩٥.

ازدياد قوة أهل الباطل ورفاهيتهم بالرغم من ظلمهم لأهل الإسلام، فلو كان الإسلام حقّاً من عند الله تعالى لما أمهل الله تعالى الكافرين، ولماذا لا يعجل عقوبته بحقّهم؟، أهو في غفلة عنهم أم هو مخلف وعد رسله بالنصر.؟[٢٦٥] فيجيب المولى سبحانه على ذلك أنه تعالى ليس غافلاً عنهم أبدا؛ "**لأن عدم عقابهم مباشرة هو أن هذا العالم محل الامتحان والاختبار وتربية الناس، وهذا لا يتم إلّا في ظل الحرية، وسوف يأتي يوم حسابهم إنما يؤخّرهم ليوم القيامة**".[٢٦٦]

إن أنواع الظلم المشار الى قبحها في الآية المباركة يتخذ مستويات عدة منها: الشرك والكفر بالله تعالى، والاعتداء على حقوق الآخرين –مادياً أو معنوياً– قليلا كان أم كثيراً ويتأكد القبح إن كان المظلوم ضعيفاً أو قاصرا، ويشترك في الظلم من أعان ظالماً أو سكت عنه مع قدرته على الردّ عليه أو التشهير به.[٢٦٧]

بعد هذا البيان للآية المباركة ينكشف للمتدبر روعة استشهاد الرأس الشريف بهذه الآية لما فيها من دروس وعبر جليلة، فالسامع للرأس الشريف –سابقاً ومستقبلاً– إما أن يكون مؤمناً فتنفع في تسليته وتثبيته، وإما أن يكون ظالماً أو عوناً للظالمين فتعمل على تهديده وتنبيه لسوء عاقبته، وتذكّر الناس أن وعد الله حق لا ريب فيه، وحقيقة ذلك الحق ودليله هو أعجوبة نطق الرأس الشريف بتلك الآية المباركة، فتلك كرامة عظيمة يندهش لها القاصي والداني. ومن آيات غضب الله تعالى العاجل على قتلة الإمام الحسين في الدنيا هو التأثّر الكوني العظيم لهول مصاب أبي الأحرار تمهيداً للانتقام من الظالمين، وقد أشارت السيدة زينب إليه في الكوفة أمام الناس بقولها: "**ويلكم أتدرون أيُّ كبدٍ لمحمدٍ فريتم، وأيُّ دم له سفكتم، وأيُّ كريمةٍ له أصبتم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**

---

[٢٦٥] ينظر: محمد حسين الطبطبائي، الميزان، ج١٢، ص٨٠.
[٢٦٦] ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج٧، ص٥٤٣.
[٢٦٧] ينظر: محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج٤، ص٤٥٤، دار العلم، ط٣ (بيروت–١٩٨١م).

*** تَكَادَ السَّماواتَ يَتَفَطَّرْنَ منْهُ وتَنشَقُّ الْأَرضُ وَتَخرُّ الْجبال هدًّا)**[٢٦٨]**، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفَعجبتم أن تمطر –قطرَت– السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى...".**[٢٦٩]

إن سنة الله تعالى في معاقبة الظالمين قد تكون عاجلة في الحياة الدنيا وكأن الظالم نال من نفسه بظلمه للآخرين، وقد تكون العقوبة مؤجلة الى يوم القيامة حيث العذاب الأليم؛ ليحق الله تعالى الحق بوعده للمؤمنين والمظلومين إنصافاً لهم، وهو ما كان يرنو إليه الامام الحسين وقد سطره في سجل خطابه حين قال عليه السلام: "**رِضَى اللَّه رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْت، نَصْبرُ عَلَى بَلَائه وَ يُوفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَ آله لُحْمَةٌ هي مجموعةٌ لَهُ في حظيرة الْقُدْس تَقَرُّ بهم عينُه، وينَجَّزُ لَهم وعْدَه**".[٢٧٠] وَالحمد لله الذي أنجَز وعدَه لأوليائه الصالحين، وكلُّ من آمن بوعد الله تعالى بتحقق وعيده في الظالمين يكون صابراً محتسباً ومفوضاً أمره لربِ العالمين.

الآية الثالثة– وتظهر من قوله تعالى: ﴿**الَّذين كَذَّبُوا بِالْكتَاب وَبِمَا أَرْسَلْنَا به رُسُلَنَا فَسَوفَ يعْلَمونَ* إذ الْأَغْلَال في أَعْنَاقهم وَالسَّلَاسل يُسحبونَ*في الْحَميمِ ثُمَّ في النَّار يسجرونَ**﴾.[٢٧١] أن السنة الالَهية في عبادَه قائمة على نظام العلية وتنتظم فيه انتظام سلسلة الغرز، فأعمال العباد في الدنيا تخطُ مستقبلها الواقع لا محالة بحبر مواقفها وعقائدها، فمن تجرد عن أغلال الجهل والظلم وتخلّى عن ربقة سلاسل الكذب والافتراء في حياته الدنيا، فقد تحرر من ربق المعاصي وآثارها الوخيمة، وكان مرضياً عند خالقه كما

---

[٢٦٨] سورة مريم: ٨٩ـ٩٠

[٢٦٩] أحمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٣١.

[٢٧٠] حسين بن محمد بن حسن بن نصر الحلواني (ت– ٤٥١ هـ)، نزهة الناظر و تنبيه الخاطر، ص٨٦، ، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨ هجرية، مدرسة الامام المهدي قم/إيران.

[٢٧١] سورة غافر: 70–٧٢.

مدحه الله تعالى في قوله: **(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**.[٢٧٢] ويناسبه قول الشاعر المتنبي:

الظلم من شيم النفوس ... فإن تجد ذا عفّة فلعلّة لا يظلم.

وهذه الثلّة من المؤمنين الّتي ذكرتها الآية هم الّذين وضع عنهم –أي أزالوا عن أنفسهم وبكامل إرادتهم– تلك الأغلال والقيود التي كانت عليهم في حياتهم الدنيا، فطاروا بأنفسهم إلى جنة المأوى بعد عبورهم عقبات جهنم، وأما من أوثق نفسه بقيود الجهل والعناد وجادل بحقيقة النبوة والبعث، وكذّب بما هو حق فأن وعيد الله تعالى ناجزٌ بحقّه، حيث يجد نفسه في الآخرة مغلولاً في عنقه بما كذّب ومسحوباً بسلاسل مرائه وتحديه.[٢٧٣]

فالّذين رفضوا أن يؤمنوا بالمعاد، ويصدّقوا بالحساب في الآخرة هم في جهنم، وأنهم سوف يطوَّقون بجميع أنواع أهوائهم وأعمالهم السيئة الّتي طوَّقوا أنفسهم بها سابقًا في حياتهم الدنيا؛ ولذلك وصفهم الله تبارك وتعالى "بالظالمين والكافرين"، وأنَّ الأغلال الّتي جعلها الله في أعناقهم في الآخرة هي جزاؤهم بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا، تلك الأعمال هي الأغلال الّتي وضعوها بأنفسهم على أنفسهم في أعناقهم وتطوقوا بها بكامل إرادتهم عندما كانوا يعيشون حياتهم، وهذا يعني –وفقاً لنظرية تجسم الأعمال– أنَّ أعمالهم السيئة في هذه الأرض هي أغلالهم الّتي سوف يطوقون بها فيحاسبون بها وعليها في الآخرة؛ لأنهم رفضوا أن يؤمنوا بما هو حقٌّ فيتحرروا منها، وهو ما سيعلمه غداً الظالمون "**فسوف يعلمون، تفريع على مجادلتهم وتكذيبهم وتهديد لهم أي: سوف يعلمون حقيقة مجادلتهم في آيات الله وتكذيبهم بالكتاب**

---

[٢٧٢] سورة الأعراف: ١٥٧.
[٢٧٣] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص٢٠١–٢٠٢.

وبالرسل".[٢٧٤]

تنتهي الآية المباركة بتهديد ووعيد من خلال قوله تعالى: (فسوف يعلمون) أي: سوف يعلمون نتيجة أعمالهم واجرامهم كمقدمة للعاقبة السيئة، وذلك في حين أن الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في النار يلقي بهم في الماء المغلي ثم في النار هم حطب لها، هذا النوع من العقاب للمعاندين والمتكبرين والمجادلين يعتبر في الواقع انعكاس لأعمالهم في هذه الدنيا، حيث كذبوا بآيات الله بسبب ظلمهم وغرورهم، وأوثقوا أنفسهم بسلاسل التقليد والتعصب الأعمى، وفي يوم الجزاء والقيامة ستطوقهم السلاسل من الأعناق اذلاء خاسئين، إضافة إلى هذا العذاب الجسماني سيعاقبون بمجموعة من أنواع العذاب الروحي والنفسي كما تشير إليه الآية التالية بالسؤال عما كانوا يشركون من دون الله؟!.[٢٧٥]

إن التأييد الغيبي لثورة الإمام الحسين هو أحد أسرار خلود تلك الفاجعة الأليمة، وقد أنبأ النبي الأكرم عن حال من قاتل هذا السبط الشهيد بقوله: "**ولدي الحسين يقتل ظلماً وعدواناً، ألا ومن قتله يدخل في تابوت من نار، ويعذَّب بعذاب نصف أهل النار، هو ومن شايع وبايع أو رضي بذلك، كُلَّما نضجت جلودهم بُدِّلوا بجلود غيرها ليذوقوا العذاب، فالويل لهم من عذاب جهنَّم**".[٢٧٦] وفي روَاية أخرى تصف القاتل أنه خفيف الميزان في إشارة الى مدلول الآية المباركة: (**ومن خَفَّتْ موازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذين خَسِروا أَنفُسَهُم في جَهَنَّم خَالِدُونَ**)[٢٧٧]، وقد حذّر الإمام الحسين اعداءه -رأفة بهم واشفاقا- يوم العاشر من ارتكاب حماقة تفضي بهم الى نار جهنم وبئس المصير، وذكّرهم برسائلهم ووعودهم بنصرته والانقياد لأوامره وأن الكذب والنكث للعهد عاقبته سيئة، فقال لهم عليه السلام: "**تباً لكم أيتها الجماعة وترحا، أحين**

---

[٢٧٤] محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٧، ص٣٥٠.
[٢٧٥] ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج١٥، ص٣٢١-٣٢٢.
[٢٧٦] محمد تقي المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٢١.
[٢٧٧] سورة المؤمنون: ١٠٣.

استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، ... فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، ... لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون."[٢٧٨]

إن الحجة لبالغة على أعداء الإمام الحسين عليه السلام، والموعظة فيها أحسن الدروس والعبر، ولكن قست القلوب ورانت بذنوب لم يتداركوا التوبة منها والأوبة الى بارئهم عزوجل، فلقد تعددت سبل توجيه المواعظ والإرشادات عند الإمام الحسين عليه السلام، فلم تقتصر على مخاطبة الآخرين من خلال مخاطبة الذات، إذ نجده أحياناً يخاطب العدو بصورةٍ مباشرة، وأحياناً يخاطب الأجيال عبر كراماته؛ لتتحقق الأهداف المرجوة من هذه المواعظ، فقد يحمل الخطاب معنى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو ربما يكون الغرض منه إلقاء الحجة على المتلقّي الذي استبد به العناد والتعنت والغي، فهذا الرأس الشريف ينطق صارخاً بآية مباركة تحذر من كل من سولت له نفسه ظلم المؤمنين واغتصاب حقوقهم فضلاً عن قتلهم وسبي عيالهم، حيث يعرض الرأس الشريف لهم صورة من صور العذاب الأخروي ترهيباً لهم وردعاً لانتهاكهم الحرمات وتماديهم في الغي، فالأسلوب الإصلاحي يقتضي استثمار كل ما يرهب النفس ويردعها عن ارتكاب المعاصي والآثام.

خلاصة المطلب-

لقد انطلق منطق الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام في هذه الآية المباركة من حقيقة راسخة مفادها: أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أُديت على أُصولها ستُصلَح شؤون الأُمة كلّها ويتحقق الأمن المجتمعي، فينتصر للمظلوم ويردع الظالم. لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام -حياً وشهيداً- إلى هذه المسؤولية الشرعية بصورة جلية، إذ تجسدت

---

[٢٧٨] علي بن الحسن بن عساكر، ترجمة الإمام الحسين، ص٣١٨-٣١٩، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط٢ (قم-١٤١٤هـ.ق).

على أرض الواقع بالقول والفعل، ولم تكن الغاية من تبنّي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين عليه السلام إلّا الإصلاح، وإقامة العدل، ونصرة المظلوم من خلال الترهيب من عذاب الآخرة.

نتائج المبحث

١- تنوع استثمار الرأس الشريف من نطق آيات مباركة تضمن نحوين من السنن الإلهية هما:

الأول: ترغيبي لمن آمن وألتزم التقوى متمثلاً بسنن الهداية والتكامل والتأييد الإلهي والوعد بحسن العاقبة.

الثاني: ترهيبي لمن كفر وعاند في الغي والضلال متمثلاً بسنن الانتقام الإلهي والوعيد بالعذاب وسوء العاقبة.

٢- إنّ السنّة الإلهية تجري بصورة مضطردة على جميع المؤمنين كلٌّ بحسب درجته في هدايته، وتكميل معرفته في سلّم الكمالات الروحية.

٣- إن الوعد الإلهي لعباده المؤمنين والتسلية لهم في حفظ كيانهم والمبدأ الذي ساروا عليه لهو نافذ ومتحقّق لا محالة وإن طال بهم العهد.

٤- تكثيف الوعيد الإلهي للظالمين يحمل رسائل تنبيه وتحذير، فإن أصروا على كفرهم واجرامهم فأنّ عقوبتهم الذلُّ والخزي في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة بما يسوء عاقبة أمرهم.

٥- إن الترهيب في السنن الإلهية يخاطب النفوس الراغبة في الخلود الأبدي وهو أُمنية كل إنسان في حبه للبقاء منعماً، ويأمل من خلال هذه الغريزة أن يتجنب الإنسان ما يثير سخط ربه ويتودد إليه بما يحبه ويرغب في امتثاله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِ العالمين والصلاة على خير خلقه وآله المعصومين.

المبحث الثاني- أثره عليه السلام في سمات قادة الثورات ضد بني أمية

تقدمة

باسم رب المجاهدين والشهداء، والحمد لمن له المجد والآلاء، والصلاة على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله النُجباء.

بحكمة تخطيط الإمام الحسين عليه السلام المؤيد بالوحي الإلهي يكمن سرُّ ديمومة أثر نهضته المباركة، فقد أيقظت صرخته الضمير الإسلامي من سباته وأقضت مضجع الطغاة؛ لأن تلك الفاجعة قد أثارت نفوس المسلمين وأحرقت أفئدتهم حتى تجذّر انفعالها بعمقٍ تغور فيه الأنانية، وتبث في النفس جذوة الروح الجهادية والميل للدفاع عن الكرامة، والتضحية بالغالي والنفيس تحت شعار (هيهات منا الذلّة).

إن الأثر الكبير لثورة الإصلاح الحسينية يتضح جلياً في تفجير ما تلاها من ثورات عسكرية، مما يدلُّ على قوة تأثير الثورة في ذهنية الأمة بشكل عامٍ كمفهوم ثقافي جديد يتأصل في تصورات الأمة من خلال شخصيات رجالها، وانتمائهم، ومواقعهم في حياة مجتمعاتهم القبلية ومواطنهم الجغرافية، إن القيم التي حملها الحسين عليه السلام، ورفعها شعاراً، وجسدها بمواقفه في الطفوف أثّرت كثيراً في نهضة الأمة، بالإضافة الى تأثير المأساة التي حدثت في كربلاء، والتي هزّت الضمير الإسلامي هزّاً عنيفاً تفجر عبره ثورات عديدة، فالمتأثرون ينظرون إلى الثورة الحسينية بوعيٍ قد زرع الحبَّ والتقديس في قلوبهم، فهي جزء نابض بالحياة من تأريخهم، وهم يعتمدون في حكايتهم لأحداثها على مصادر ذات صلة وثيقة بالثورة (أئمة أهل البيت، الرجال والنساء الذين رافقوا الثورة منذ بدايتها حتى نهايتها في كربلاء).[٢٧٩]

---

[٢٧٩] ينظر: شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، أنصار الحسين ع، ص٢٢-٢٦.

يتميز الطالبون بدم الإمام الحسين عليه السلام في العهد الأموي بقربهم العهدي أو معاصرتهم لأحداث الفاجعة العظمى، فمنهم من أعرض عن الاستجابة لواعية الإمام فأحترق بنار ندمه، ومنهم من كان مغيباً في قعر السجون الأموية أو محاصراً في الكوفة، وثالثٌ لم يدرك أحداثها بسبب حداثته أو ولادته بعدها بفترةٍ وجيزةٍ ليستمع لأحداثها ممن عاشوها مباشرة، فكانت حقيقة الثورة الحسينية مقرها الضمير الإنساني، وأقلَّ ما يقال في حقّها إنها بحر العطاء، وديمومة العزة والإباء، حيث أيقظت الأُمة من رقدتها، واستنهضت الهمم من سباتها؛ لتستلهم من جود كربلاء ما يروي هيامها، فكانت كربلاء ميزان الفصل، والحكم العدل لجميع معضلات الأُمم ومشكلاتها ومصدر الحلول الناجعة،[٢٨٠] فبعد الفاجعة تعرض المسلمون عامةً للقتل والتنكيل، مما أضطرهم إلى الثورة ضد الأمويين، حتى أصبحوا مصدر رعبٍ لمملكتهم الخاوية. لقد أججت الثورة الحسينية المعارضة الفكرية والسياسية للمشروع الأموي وأدت إلى إسقاطه، ولكن لم يتمكّن الشيعة من تكوين كيان سياسي، أو مركزٍ علمي أو خط فكري واضح يسهم من خلاله فهم التيار الشيعي فهماً واضحاً؛ وذلك لأن بعضهم اشتركوا بالثورة مع آل الزبير، وإلى جنب الموالي، والآخر طلب تكفير ذنبه بحركة استشهادية، وأصبح شعارهم المشترك والمعلن بـ "الرضا من آل محمد" و"الرواح إلى الجنة" فضفاضاً يستوعب الكثير من الأشكال والأفكار والاتجاهات، فحبُّ آل محمدٍ كان شعاراً عابراً للطائفية، وحقيقةً استقطبت الكثير، ولكنه لم يترجم الى منهجٍ قويم لإنشاء دولة إسلامية.

إن أبرز تلك الحركات الثورية تتجلّى في قيادة ثلاث شخصيات موالية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي: الأولى بقيادة المختار الثقفي، والثانية بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، والثالثة بقيادة الشريف زيد بن علي السجاد بن الحسين السبط عليهما السلام، فساهم هذا التنوع في تعدد الاتجاهات الشيعية، ولا يمكن التمييز بينها إلاّ بدقة النظر وبذل الجهد في مراجعة النصوص الشرعية لأئمة

---

[٢٨٠] ينظر: السند، الشيخ محمد، في ميزان النهضة الحسينية، ص٩.

أهل البيت عليهم السلام،[٢٨١] وقد ظهرت قيادات ثائرة ضد بني أمية غير محسوبة على أهل بيت الرحمة بالولاء، ولكنها تأثرت بثورة الامام الحسين عليه السلام وموقفه البطولي في كربلاء.

ومن تلك المعطيات ينطلق الباحث للتحقيق في سمات تلك الشخصيات الثائرة –الدينية والأخلاقية والاجتماعية– من خلال اعتماد الأخبار الصحيحة والمحققة والسير الموثّقة بالبينات التاريخية؛ لأجل التمييز والمقارنة بين تلك القيادات الثائرة ونتائج ثوراتهم، وأثرها في التأريخ الإسلامي مع التحليل العقلي لتلك الوقائع المهمة في حياة المسلمين، وسيكون البحث مخصصاً لإبراز الجوانب المؤثرة في صياغة القيادة الناجحة والأمرة الخلّاقة، وهي كالنسب والمنشأ ثُم الجانب الديني والأخلاقي مع الصفات الكمالية كالشجاعة والسماحة والزهد والسياسة وغيرها من الصفات المؤهلة لتسنم هذه المواقع الخطرة في حياة المسلمين.

استهلال..

معنى ثأر لُغةً واصطلاحاً

ورد في معاجم اللغة معنى ثأر وثؤرة بمعنى: "**الثأر والثؤرة: الذحل. يقال: ثأرت القتيل وبالقتيل ثأراً وثؤرة، أي: قتلت قاتله .قال الشاعر: شفيت به نفسي وأدركت ثؤرتي* بنى مالك هل كنت في ثؤرتي نكسا، والثائر: الذي لا يبقى على شيءٍ حتى يدرك ثأره. ويقال أيضا هو ثأره، أي: قاتل حميمه، قال جرير: قتلوا أباك وثأره لم يقتل، وقولهم: يا ثارات فلان، أي: يا قتلة**

[٢٨١] ينظر: الساعدي، حسين، المعلّى بن خنيس، ص٢٥–٢٦.

فلان. ويقال: ثأرتك بكذا، أي: أدركتَ به ثأري منك، وثأرتَ من فلان، أي: أدركتَ منه، وأصله اثتأرت، فأُدغم. قال لبيد:

والنيب إن تعرمني رمة خلقا *بعد الممات فإني كنت أثتر.

والثأر المنيم: الذي إذا أصابه الطالب رضى به فنام بعد، واستثأر فلان: استغاث ليثأر بمقتوله. قال الشاعر :إذا جاء مستثئر كان نصره".[٢٨٢]

إذاً فالثأر لُغة يعني طلب الحق المسلوب ظُلماً وعدواناً، والثورة هي من نتاج طلب الثأر كما ورد في المعاجم ومنها قوله: " **أثار الأرض وثور السفر وثاوره وساوره واثبه وهو ثور القوم لسيدهم**"،[٢٨٣] ويشتق من الثأر معنى الثورة فيكون المعنى: "**والثُور ما علا الماء من الطحلب و.، وقد ثار الطُحْلُب ثَوراً وثَوراناً وثَوَّرتُه وأَثَرتُه.... وثَوَّرتُه واستَثَرتُه كما تستثير الأَسدَ والصَّيد وثَوَّرتُه واستَثَرتُه كما تستثير الأَسد والصَّيد**".[٢٨٤]

وأما في **الاصطلاح** فيعني: الثأر هو أن يقوم أولياء الدم «أقارب القتيل» بقتل القاتل نفسه، وهو ما يشابه في اصطلاحه لمعنى القصاص الشرعي من القصص الذي يعني تتبع الأثر وتلّقي المجرم عقابه بمثل ما فعل،[٢٨٥] وهو كما قال تعالى: ﴿**ولَكم في الْقِصاصِ حياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكم تَتَّقُونَ**﴾.[٢٨٦]

مما تقدّم يستنتج المتتبع لمعنى الثأر لُغةً واصطلاحاً عدّة مفاهيم تتعلق بالنهوض والخروج عن حالة السكون الى حالة الانفعال والهيجان وتتبع أثر الظالم والمجرم بحق الثائر حتى ينال منه مراده بمثل ما أقترف من ذنب بحق الثائر.

---

[٢٨٢] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة، ج٢، ص٦٠٣.
[٢٨٣] الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ص١٠٣.
[٢٨٤] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٤، ص١٠٩.
[٢٨٥] ينظر: الزبون، إسلام، معنى القصاص، ص٢، مقال.
[٢٨٦] سورة البقرة:١٧٩

توطئة...

سمات القيادة الصالحة

عندما نستنطق القرآن الكريم وسنّة المعصومين لمعرفة صفات القيادة الصالحة، يجد الباحث الاهتمام البالغ بمسألة تعيين القيادة الشرعية؛ لخطورة أمر هذا المنصب في حياة المسلمين، فمن هذه الصفات ما قاله تعالى في محكم كتابه: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٢٨٧] فالظلم لا يتناسب مع عدالة الشريعة الحقّة ولا ينسجم معها، كما قيل في الحكمة: (العدل أساس الملك). فالقيادة الثائرة لأجل الاصلاح لا بد أن تكون معروفة بصلاحها وبحسبها الرفيع ونسبها الشريف كما قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾[٢٨٨]، فمن صفات القادة إلى طريق الحقِ أنهم معروفون بالصلاح والاستقامة، ومعرفتهم تكون حجة على خصومهم وتسدُّ ذريعة قتالهم ومخالفتهم، فلو كان قادة الحقِ مجهولين لتذرع المنافقون بذلك، والأمر الآخر أن المصلح لا يستسلم أبداً لأهواء الناس ولا يقرُّ الناس على سجف الجهل وبدع الضلال وانحراف المسار، والصفة الأخرى للثائرين أنهم لم يطلبوا أجراً من الناس، ولم يأخذوا منهم شيئاً في مقابل نشر الحق؛ ليبقوا أحراراً طليقين في نشر دعوتهم بين الناس.[٢٨٩]

وعند الرجوع الى النصوص الإسلامية سنجد أنها أشارت إلى مواصفات كثيرةٍ لا بدَّ من توافرها في القائد الإسلامي أذكر منها ما يلي: أن يكون ذا قلبٍ عقول، ولسان قؤول وجنان على إقامة الحق صؤول، وأن لا

---

[٢٨٧] سورة البقرة: ١٢٤
[٢٨٨] سورة المؤمنون: ٦٩
[٢٨٩] ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٠، ص٤٨٢.

يكون بخيلاً ولا جاهلاً ولا جافياً ولا خائفا ولا مرتشياً ولا معطلاً للسنن، ولا باغياً ولا فاسقاً وأن يكون ورعاً وحليماً وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم، وأن يكون الأعرف بشؤون المسلمين وأن يكون أقوى الناس على أمر الولاية وأعلمهم بأمر الله تعالى فيه، وأن يكون عالماً بالله أميناً على حلاله وحرامه وأعلم الناس بما جاء به الأنبياء، وأن يكون الأعلم بأحكام الشريعة، وأن يكون أقرأ لكتاب الله تعالى والأقرب لله تعالى، وأن يكون عفيفاً عالماً ورعاً عالماً بالقضاء والسنة وأن يكون خير الناس وأشجعهم، وغيرها من أوصاف كثيرة أُخرى يمكن استفادتها من الروايات المباركة.[٢٩٠]

إذاً شروط القيادة الصالحة هي ما يوجب تحقيق ذلك الصلاح المنشود من العلم والتقوى، والشجاعة والسياسة، والتدبير والعقل الراجح وغيرها.

وهناك واجبات كثيرة تُلقى على عاتق القائد في ثورة الإصلاح لابدَّ أن يجتهد الثائر في تحقيقها والقيام بها ومنها: مشاورة الخبراء من أنصاره وأخذ رأيهم، وعدم الاستبداد بالأمر دونهم،[٢٩١] لقول الله سبحانه: ﴿وشَاوِرهم في الْأَمرِ﴾[٢٩٢].

لقد ثبت بالوجدان أن قلب نظام الأخلاق الأموية الفاسدة كان هو الهدف الأول والغاية الأسمى للإمام الحسين عليه السلام في ثورته الجبارة،[٢٩٣] فالحسين مفخرة الدهر، وغرة جبين التأريخ، ومشعل الحرية، فينبغي لكل مؤمن حر أن يرفع للحسين –مفتخراً– بيرقاً أينما كان، وينصب له في كل قرية منبراً يصدع من عليه بيانات الثورة الحسينية أسوة كل الثورات. فالحسين القدوة الأجل، وثورته ثورة الحق الذي تتوق إليه الأمم الأبية، فيفتخر –بحقٍ– كل من انتسب إلى الحسين بالسبب، وبالنسب، كما انتسب سلمان الفارسي إلى البيت النبوي الشريف بالسبب، حينما قال رسول الانسانية صلى الله عليه وآله وسلم: سلمان منا أهل البيت.[٢٩٤]

---

[٢٩٠] ينظر: العاملي، السيد جعفر مرتضى، مختصر مفيد، ج١١، ص٢٥٦–٢٥٩.
[٢٩١] ينظر: الشيخ سيد سابق، فقه السنة، ج٢، ص٦٤٠–٦٤٣.
[٢٩٢] سورة آل عمران: ١٥٩
[٢٩٣] البحراني، عبد العظيم المهتدي، من أخلاق الإمام الحسين ع، ص٥١.
[٢٩٤] البياتي، جعفر، الثورة الحسينية، ص٣٣١.

وكما أعلنها المسيحي بقوله: "**لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كل بلد بيرقاً، ولنصبنا له في كل قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين**".[٢٩٥]

بعد الفاجعة الكبرى في كربلاء دب الندم والأسى في نفوس المسلمين؛ تأسفاً على غيابهم عن نصرة الحق واغتنام فضيلة الفتح، فكانوا على ثلاثة أقسام بحسب الاستقراء وهي كما يلي:

الأول . الذين كانت لديهم أعذار في عدم تمكنهم من الحضور ونصرته بسبب السجن أو الحصار أو البعد.

الثاني . الذين كاتبوه ودعوه للدفاع عنهم وفي آخر المطاف وفي الموقف الحرج أسلموه لعدوه وهم قادرون على نصرته والدفاع عنه.

الثالث . الذين دعاهم ولم يستجيبوا، أو استجابوا بادئ الأمر ثم تركوه في الطريق أو في ساحة المعركة.

إن التساؤل المهم الذي ينبغي أن يطرح هو ما أُفق إجابة واعية الإمام الحسين عليه السلام الموجبة لبلوغ الفتح؟ هل تقتصر على من أستشهد في كربلاء أم تشمل لمن أستشهد من بعدها طلباً لثأر سيد الشهداء؟

إن سبل تلبية نداء الإمام الحسين عليه السلام مشرعة أمام الطالبين بثأره –كلٌّ بحسب معطياته– في كل زمانٍ يستبد فيه الحكام ويظلموا رعيتهم، فساحة الجهاد واسعة تستوعب كلَّ حرٍ يأبى الضيم ويرجو السعادة في الدارين، فكلُّ أرضٍ قد تكون كربلاء وكل يومٍ قد يكون عاشوراء، وحتى ظهور صاحب الثأر الأكبر الامام الحق المهدي المنتظر ليملأها قسطاً وعدلاً.

لقد ثار الكثير من المسلمين على الطغيان الأموي من بعد ثورة كربلاء، وكان بعضهم لا يوالي أهل البيت عليهم السلام ولا يحبُّ شيعتهم، كابن الزبير

---

[٢٩٥] أنطون بارا، الحسين في الفكر المسيحي، ص٧٢.

وابنه مصعب وعبد الرحمن بن الاشعث، ولكنهم تأثّروا بشجاعة الامام الحسين عليه السلام وتفاعلوا مع ما قدمه عليه السلام من تضحيات يوم الطف.[٢٩٦]

وسأقتصر في هذا المبحث على ذكر سمات القادة الموالين لأهل البيت عليهم السلام الذين ثاروا ضد بني أُمية انتصاراً للحق المغتصب.

المطلب الأول- أثره عليه السلام في سمات القائد المختار الثقفي

من أشهر قادة الثورات ضد الأمويين وأبرزهم، ومن أكثرهم جدلاً بين أرباب السير والتأريخ وأهل التحقيق، حيث اختلفوا في عقيدة المختار الثقفي وسيرته وأخلاقه مع اتفاقهم على نجابته وشجاعته ونبله، وفيما يلي سرد تحليلي ومفصل لنشأته وسيرته وعقيدته.

النشأة والنسب

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف، ولِد في العام الهجري الأول في القطيف على مقربة من مكّة المكرمة، وأبوه أبي عبيد من الصحابة أدرك النبي الأكرم ولم يره حيث عاش في القطيف وانتقل الى المدينة في عهد عمر بن الخطاب، واستشهد والده مع عمه (الحكم) وأخيه (جبر) أثناء قيادتهم معركة كبيرة مع الفرس على الجسر (الشهداء) من بغداد ضمن الفتوحات الإسلامية، وكان عمر المختار ثلاث عشرة سنة آنذاك،[٢٩٧] وجده مسعود بن عمرو وهو الرجل العظيم الذي جاءت حكايته على لسان المشركين في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[٢٩٨] الذي أسلم السنة التاسعة للهجرة وقتله قومه وهو سيدهم بسبب إسلامه ولقبه رسول الله بصاحب ياسين، وأُمه

---

[٢٩٦] ينظر: البدري، السيد سامي، الامام الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الأموي، ص٢٩٤-٣٢٥.

[٢٩٧] ينظر: ابن كثير، الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٨٩-٢٩٠؛ والحلي، ابن نما، ذوب النضار، ص٥٩.

[٢٩٨] سورة الزخرف:٣١

دومة بنت وهب بن عمرو بن متعب، تزوجها أبي عبيد على أثر رؤيا تحثّه على زواجها وأن لا يستمع للائم بعد امتناعه عن الزواج من النساء، وانجبت له المختار وكنيته (أبو اسحق) ولقبه (كيسان) بسبب تبركه بيد الإمام علي وهو صغير يمسح (عليه السلام) على رأسه ويناديه متوسماً فيه الخير (يا كيس يا كيس) والكيس هو الفطن،[٢٩٩] ومن ناحية النسب يكون المختار بن عم والد السيدة ليلى (أم علي الأكبر) وهي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي.[٣٠٠]

بعد شهادة أبيه كفّله عمه سعد بن مسعود الثقفي، ونشأ في المدينة متأثراً بالإمام علي عليه السلام وأصبح من محبيه، ولازم بني هاشم وتأدب بأخلاق أهل بيت النبي بالأخلاق الفاضلة ونصح لهم في السرِ والعلانية،[٣٠١] وقد عرف عنه أنه كان فارسا شجاعا، وقد ورث هذا عن أبيه،[٣٠٢] وكامن خاتمة حياته في الكوفة وقد دخل ربيعه السادس والستون، ومع كل هذه الوثائق يجد الباحث أن بعض المؤرخين يتهمه باطلاً ببغض أهل بيت الرحمة والخروج عن ولايتهم؛ لتأثرهم بأقلام البلاط الأموي الحاقدة على حركة المختار الثقفي ضدهم.

عقيدته وأخلاقه

لا يشكُّ أيُّ متتبعٍ للتأريخ الاسلامي أن المختار تحرك بشعار الأخذ بثارات الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصفته زوجتاه أمام مصعب بن الزبير (قاتله) بتحدّ أنه: "**رجل يقول ربي الله، كان صائماً نهاره، قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس**"[٣٠٣]

---

[٢٩٩] ينظر: المقرم، عبد الرزاق، زيد الشهيد وتنزيه المختار، ج١٠، ص٢٩٢-٢٩٣.
[٣٠٠] ينظر: شبر، السيد جواد، طف أو شعراء الحسين، ج ١، ص٢٧٤.
[٣٠١] ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، أعلام الورى بأعلام الهدى، ج٨، ص٧٠.
[٣٠٢] ينظر: المقرم، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٩٧؛ وبن جابر، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢١٤.
[٣٠٣] المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص١٠٧؛ وينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تأريخ اليعقوبي، ج٢٢، ص٢٦٤.

وشهد للمختار كثير من المصادر المعتدلة والأمينة في النقل بعبارات تدلُّ على حسن إسلامه ودماثة خلقه كما وردت تزكيته عن أرباب التاريخ بقولهم: "**كان معدوداً من أهل الفضل والخير، ...وكان المختار معدوداً من أهل الفضل والدين**".[٣٠٤] والغريب في الأمر أن يجد الباحث عن حقيقة المختار تناقضاً في كتب بعض المؤرخين، فأن بعض من طعن بتأريخه وتدينه في موضعٍ تجده يمتدحه في ما نقل عن ثقاته من قول المختار قاسماً في سجن بن زياد: "**أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصلّين الأخيار، لاقتلن كلَّ جبارٍ، بكل لدن جسارٍ خطار، ومهندٍ بتار، بجندٍ من الأخيار، وجموع من الأنصار، ليسوا بميل الأغمار، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، وجبرت صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت ثأر أولاد النبيين، لم أبك على زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا دنا**".[٣٠٥]

إن الظاهر من شهادات القدح والمدح في شخصية المختار ارتهنت بالظرف التاريخي لحال المختار ودوره علاوة على ميول المؤرخ، فأغلب شهادات المدح كانت تشير لجهاده وطلب الثأر من قتلة الامام الحسين، أي: حال كونه ثائراً ومضحياً مغوارا، وأما مرويات القدح والجرح فقدت صدرت في حال تسنمه أمرة الكوفة واستتباب الأمر له وجلوسه على عرشها أي: حال كونه أميراً.

فأما ما يتعلق بالطائفة الأولى من مرويات الإشادة بالمختار وتعديل سماته بالمدح فقد مر بعضها بذكر سلامة سيرته وحسن إسلامه، والثناء عليه بما قدمه من جهود بطولية في أخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين، وسأذكر المزيد منها فيما يلي:

---

[٣٠٤] ينظر: بن عبد البر، يوسف ين عبد الله، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ق٤، ص١٤٦٥.

[٣٠٥] ابن كثير، الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٧٤.

يرى المفسر الكبير الاندلسي أنّ أحد وجوه تأويل الآية ﴿ويوم يقوم الأشْهادُ﴾ هو: "**يوم القيامة. قال بن عباس: ينصرهم بالغلبة، وفي الآخرة بالعذاب. وقال السدّي أي: بالانتقام من أعدائهم..... وما قتل قوم قط نبيًّا أو قوماً من دعاة الحق إلّا بعث الله من ينتقم لهم، فصاروا منصورين فيها وإن قتلوا... ألا ترى إلى قتلة الحسين رضي الله عنه، كيف سلّط الله عليهم المختار بن أبي عبيد يتبعهم واحداً واحداً حتى قتلهم؟**"[٣٠٦]، فالرضا بادي في ثنايا كلمات المفسر عما قام به المختار وجهاده، وجعله مصداقاً لأحد أسباب العقوبة الالهية وإن كانت قد تجري أسبابه على أيد غير المؤمنين في بعض الأحيان.

وربّ متسائلٍ باستغرابٍ أليس ما قام به المختار من أخذ الثأر مكرمة تدعو إلى السكوت عن دقائق ما قد يتهم به أو ما أخطأه فعلاً –وهو غير معصوم– على الأقل؟!، وما يؤيده صدور الترحم على المختار –باستفاضة– عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام لما دخل عليه ابن المختار –أبو الحكم–، تناول يد الإمام ليقبلها فمنعه، ثم أدناه منه عليه السلام حتى كاد يجلسه في حجره، وقال أبو الحكم للإمام: أصلحك الله، إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول –والله– قولك! . . . ولا تأمرني بشيء إلّا قبلته. فقال الإمام عليه السلام: "**سبحان الله! أخبرني أبي –والله– أنّ مهر أمي كان مما بعث به المختار. أولم يبن دورنا؟، وقتل قتلتنا، وطلب بدمائنا، فرحمه الله..... رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما أصاب لنا حقّاً عند أحد إلّا طلبه**".[٣٠٧]، فالترحم صريح وهو مانع بمقتضى مؤدى المقال أن يتعرض له أحدٌ بالسبّ والذم دون النقد الموضوعي، والتزاماً برأي حبر الأمة بن عباس (رض) حينما طُلب بن الزبير منه سب المختار فأجابه على حدّ نصّ قوله: "**ذاك رجل قتل قتلتنا، وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا، وليَس جزاؤه منّا الشتم**

---

[٣٠٦] الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج٧، ص٤٥٠.
[٣٠٧] المجلسي، محمد تقي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٣.

والشماتة".[٣٠٨] وتشير الأخبار الى قيام أهل بيت النبيﷺ وذريتهم كافة بإظهار الفرح، وترك الحداد والحزن حين ثأر المختار من قتلة الإمام الحسين، مما يدلُّ على تعاطفهم –عملياً وعلنياً– مع المختار وحركته، فلما أرسل المختار برؤوس قتلة الإمام الحسين إلى الإمام السجادعليه السلام، خرَّ الإمام ساجداً، ودعا له، وجزاه خيرا.[٣٠٩]

ومن جملة الأخبار المادحة لسيرة المختار ولمواقفه الجهادية في نصرة الثورة الحسينية ما ورد من موقفه مع سفير أبي الأحرار مسلم بن عقيلرضي الله عنهما، فقد كانت دار المختار الثقفي أول منزل لمسلم بن عقيل في الكوفة وحتى قدوم الطاغية بن زياد الكوفة،[٣١٠] وحين اندلاع ثورته كان المختار من أوائل المناصرين لحركته، فحين كان مسلم بن عقيل متوارياً عن الأنظار، دخل المختار الثقفي الكوفة متأخراً عن وقت خروج مسلم بن عقيل وهو يحمل راية خضراء وتحوط به مواليه –وقد يعود سبب تأخر المختار الى استعجال مسلم بن عقيل في خروجه–، حتى انتهى إلى باب الفيل من مسجد الكوفة وهناك صدمته الحقيقة؛ لأن خبر انقلاب الناس على مسلم بن عقيل لم يكن قد وصل إليه.[٣١١]

وأثر ذلك كان اعتقال بن زياد للمختار وضربه بالقضيب على وجهه حتى خبط عيني المختار وزجه في السجن، وبعد أيام من اعتقال المختار يعتقل ميثم التماررضي الله عنهما، ويودع السجن مع المختار، وجرى حديث بينهما ينبعث منه في روح المختار أمل بالنجاة والخلاص من يد هؤلاء الأشرار، بل والشرف العظيم بأخذ ثأر سيد الشهداء وأصحابه الأخيار، فهي بشرى ميثم له –نقلاً عن

---

[٣٠٨] ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج٣، ص٣٠١–٣٠٢؛ واليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦١؛ والمسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، ج٣، ص٨٨.

[٣٠٩] ينظر: الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي، ص١٢٧؛ وبن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٧.

[٣١٠] ينظر: المفيد، محمد بن النعمان، الارشاد، ج٢، ص٤٥.

[٣١١] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٥، ص٣٨١–٥٦٩.

نبوءة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام- (إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يسجننا..)، فتطمئن نفس المختار بهذا الكلام؛ لأنه واثق من مصدره ومصدق له، وأخذ الأمل يسري في عروقه، ويعد نفسه للقيام بالمهمة الكبرى.[٣١٢]

لقد مرت فترة من الخمول والضياع بعد فاجعة كربلاء العظمى، وكان الشيعة والموالون قد أخلدوا إلى السبات بعد مصرع الامام الحسين في كربلاء، فهم بحاجة الى قيادة خليقة بالثورة، وما هي إلّا فترة حتى برز بينهم القائد الذي يرتجونه في شخص المختار الثقفي الذي نشأ في ولاية عمه سعد بن مسعود الثقفي أمير المدائن في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام، وقد أستخلفه سعد بن مسعود على ولاية المدائن حين خرج لقتال الخوارج مع الإمام علي عليه السلام، وفي عهد الامام الحسن عليه السلام ظل سعد بن مسعود على ولاية المدائن بأمر الإمام لحسن سيرته وتقواه، وقد لجأ اليه عليه السلام حين أُصيب بفخذه الشريف في حادثة النخيلة.[٣١٣]

إن المختار ظل مصراً على مبدأه في الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام والاقتصاص من شيعة آل أبي سفيان، حيث رفض منى بن الزبير بتوليه أمرة الكوفة؛ لما خبره من سوء النية وأن بن الزبير لا يريد الاقتصاص من الجناة بقدر ما يريده أداة طيعة لبسط ملكه وزيادة في أعوانه.[٣١٤] لقد عقد المختار عزمه على اذكاء أوار ثورته مستمداً شرعيتها من النيابة الخاصة للإمام السجاد عليه السلام، والأصول العامة لمذهب أهل البيت المشعرة بجواز الاقتصاص من القتلة والظالمين، فقد ورد احتجاج المختار بالأذن الشرعي من محمد بن

---

[٣١٢] نفس المصدر، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١؛ والعسقلاني، ابن حجر، الاصابة، ج٦، ص٢٥٠.

[٣١٣] ينظر: نفس المصدر، ج٤، ص٥٩-١٦؛ والمجلسي، محمد تقي، بحار الانوار، ج٢٢، ص١٨٧؛ وبن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٠٤.

[٣١٤] ينظر: الحلي: بن نما، ذوب النضار، ص٧٧-٧٨.

الحنفية الذي أكده للسائلين بقوله: "**ما أحب إلينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا فانصرفوا إلى المختار فبايعوه وعاقدوه**".[٣١٥]

إن وفاء المختار الثقفي لا يخفى أثره على كل متتبع لصفحات التأريخ، فقد أنقذ بحنكته محمد بن الحنفية والهاشميين من سجن بن الزبير ومحرقته في الشعب،[٣١٦] وكان يرسل الأموال والجواري ومنها –أم زيد الشهيد– الى الإمام السجاد عليه السلام فيقبلها في السر،[٣١٧] ومنها أموال كان يرسلها الى نسيبه عبد الله بن عمر؛ وفاءاً لموقفه في شفاعته عند الطاغية يزيد لإخراجه من سجن بن زياد، وكان بن عمر يقبله ويقول لا أسأل أحداً شيئاً ولا أردُّ ما رزقني.[٣١٨]

وأما شجاعة المختار الثقفي فهي نار على علم يطمع في حمايته الولي ويخافه العدو، فقد تواتر ذكر شهامته وبطولاته عموم أرباب السير بشهادتهم أن: المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين على بني أُمية، وأحد الشجعان الأفذاذ.[٣١٩] حيث قتل الآلاف من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ومنهم بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن، وأما عن عفو المختار وحلمه مع عدوه بعد الغلبة خاصة، فقد ورد من مناقبه عفوه عن بن مطيع –والي بن الزبير على الكوفة– وارسال الأموال له ما يتقوى بها وما يمكنه من الوصول الى المدينة بسلام.[٣٢٠]

ومما تقدّم يظهر لكلّ منصف أهم صفات المختار الثقفي وسماته الدينية والأخلاقية، ولا أدعي له الكمال لما شاب حركته من بعض الأخطاء الإجرائية والسياسية خلال فترة حكمه القصيرة (١٨ شهراً)، ولكن لا تصل لحد ما ذكره بعض أرباب السير من الطعن والتشويه لشخصيته تأثراً بالضغوط

---

[٣١٥] اليعقوبي، أحمد بن اسحق، تأريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٨.
[٣١٦] ينظر: بن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب، ج٣، ص٩٠٦.
[٣١٧] ينظر: الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، ص٨٦.
[٣١٨] البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الايمان، ج٣، ص٢٨٠.
[٣١٩] ينظر: الزركاني، خير الدين، الاعلام، ج٧، ص١٩٢؛ وآخرون.
[٣٢٠] ينظر: بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦؛ وبن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٢٣؛ وآخرون.

الأموية، حيث استعملوا أساليب التزوير والاتهامات الباطلة ضد معارضيهم روماً في إسقاط المعارضة إعلامياً. لقد استهدفوا شخص المختار و أصحابه بأشكال من الاتهامات التي ينخدع بها العوام، مثل السحر والشعوذة، كما اتهموه بدعوى النبوة والألوهية، وما أشبه ذلك من الخرافات؛ سعياً في إبطال مفعول حركته، وإبعاد الناس عنه، والتشويش على نداءاته وشعاراته بالطلب بثارات الإمام الحسين عليه السلام وتأسفه على قتله، وإعلانه عن هوية القاتلين، وحمايته لبني هاشم من الأذى.

فأما تهمة أدعاء المختار للنبوة فهي باطلة –فضلاً عن دعوى الالوهية– لعدم وجود الشواهد عليها من صريح كلامه، ولا دليل علمي يثبتها مع ثبوت سلامة عقيدته بالأدلة القطعية، فهي شبهة مقابل حقيقة ناصعة.[٣٢١]

وأما دعوى عقيدة الكيسانية فهي ضعيفة المستند وإن اشتهر بتهمتها المختار ؛ لأن هذه الفرقة غير معلومة في تشخيص إمامها ومن الذي دعى لها، ولا معلومة الفكر والعقيدة، ولا يوجد لها أتباع من الشيعة سوى ما ينقل عن أسماء قليلة بطريق غير معتبر،[٣٢٢] وقد تكون شبهة انطلت على فكر بعض الموالين للمختار بعد توليه الكوفة وهو الملّقب سلفاً بـ (الكيس) على لسان الإمام علي ع.[٣٢٣]

وتروي عنه المصادر بطريق غير معتبر حادثة بعد صلح الامام الحسن مع معاوية ولجوء الامام الحسن الى المدائن حيث ولاية عامله سعد بن مسعود الثقفي أن المختار قال لعمه "هل لك في الغنى والشرف؟" قال: "وما ذاك؟" قال: "توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: "عليك لعنة

---

[٣٢١] ينظر: المقرم، عبد الرزاق الموسوي، موسوعة السيد المقرم (تنزيه المختار)، ج١، ص٣٢١–٣٢٢.

[٣٢٢] ينظر: المقرم، عبد الرزاق، مصدر سابق، ص٣٢٩–٣٣٠؛ والصدر، محمد محمد صادق، شذرات من ثورة الإمام الحسين، ص١٣٨–١٤٠.

[٣٢٣] ينظر: البغدادي، عبد القاهر الاسفرائني، الفرق بين الفرق، ص١٧.

الله، ءأثب على ابن بنت رسول الله فأوثقه! بئس الرجل أنت".[٣٢٤] والرواية غير معتبرة ويمكن توجيه دلالتها بتأويل أن لو صحت لامكن أن يقال إن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي قومه، فإن علم أن قومه يريدون ذلك لقام باستخلاص الحسن عليه السلام، فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام.[٣٢٥]

ويبقى إمكان نقد حركة المختار الثقفي وإدارته للحكم في الكوفة من الناحية السياسية والأخلاقية والشرعية، فأما ما يتعلق بنية المختار من أساس إقامة دولته في الكوفة وماهية غايته فهي مدار نقاش النقّاد والمفكرين، فمنهم من يرى أن المختار الثقفي كان طالب ملك لا غالياً في التشيع وقيضه الله تعالى للأخذ بثأر الحسين ع فاستعان بالشيعة على ذلك.[٣٢٦]

إن حب الرئاسة وطلب الملك لا ينجو منه حتى الصديقين كما ورد في حكمة أهل المعرفة أن: "**آخر ما يخرج من قلب الصديقين حب الرياسة**"،[٣٢٧] ومعه لا يستبعد أن يشوب حب الملك نية المختار مع أن دافعه الأساس هو الانتقام من بني أُمية وأشياعهم، ولعل ما يؤيده هو تأخير المختار للثأر ممن شارك في قتل الإمام الحسين وإمهالهم، أو التغاضي من إجرام بعض أعوان الظلمة مقابل ان يمتدح المختار ببضعة أبيات شعر، فقد أعطى الأمان لشبث بن ربعي وشمراً وغيرهم مقابل أن يسلموا السلطة للمختار ومبايعته بعد أن استخلفهم بن مطيع قبل هروبه من قصر الإمارة.[٣٢٨] ومما يروي أصحاب السير أن خلافاً وقع بين المختار الثقفي إبان حكمه مع الصحابي الجليل عدي

---

[٣٢٤] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص٤٠٤؛ والطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، ج٥-في ذكر بيعة الحسن بن علي.

[٣٢٥] ينظر: المقرم، عبد الرزاق، مصدر سابق، ص٣٢٧-٣٢٨؛ والخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ق١، باب٨، حرف ميم.

[٣٢٦] ينظر: الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر، فوات الوفيات، ج٢، ص٥٠١؛ وآخرون.

[٣٢٧] الآملي، محمد تقي، مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، ج٣، ص٤٥٨؛ والعاملي، جعفر مرتضى، سياسة الحرب، ص١٥٢.

[٣٢٨] ينظر: الكوراني، علي العاملي، جواهر التاريخ، ج٤، ص٣٥٧، نقلاً عن: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب، ص٤٥٧٤.

بن حاتم الطائي والمعروف بحسن إسلامه وولائه للإمام علي عليه السلام وكريم فعاله، ففي الخبر أن "**عدي بن حاتم الطائي، ولما غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة وقع بينهما أمر، فهم عدي بالخروج عليه، ثم عجز لكبر سنّه، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة وقال حينها:**

أصبحت لا أنفع الصديق ولا * أملك ضرا للشانىء الشّرس

وإن جرى بي الجواد منطلقا * لم تملك الكفّ رجعة الفرس".[٣٢٩]

لقد ترك هذا الامهال وإعطاءهم الأمان أثراً سلبياً على دولة المختار وحكومته، حيث قام هؤلاء القتلة مع يزيد بن الحر بإثارة الفتن وتأليب الوضع العام ضد المختار وشاغلته عن مقاتلة بن زياد، مما أثار غضب المختار بعد ذلك عليهم فلاحقهم وقتلهم بجنده شر قتلة.[٣٣٠]

علاوة على هجاء الشاعر الأعشى –المعروف بتشيعه لأهل البيت– للمختار وأشادته بالتوابين كما ورد عنه أبيات منها:

أقر العين صرعاهم وقل ... لهم جم يقتل بالصحارى

وما أن سرني اهلاك قومي .. وإن كانوا وجدك في خيار

ولكني سررت بما يلاقي . . ابو اسحاق من خزي وعار

إن التشيع الأصيل يتجلّى بعمقه في هذا الشعر ناصعاً، فبينما يرثي التوابين وينوح على مصارعهم في عين الوردة، فأنه يشمت في المختار مع أن شعاره كان الطلب بثأر الحسين عليه السلام؛ وذلك لأن دعوة الأولين كانت دعوة صافية خالصة لوجه الحق، ودعوة الثاني كانت تشاب بمثل هذه الشوائب وبالمطامع.[٣٣١]

ومما يسجل على المختار كقائد ثوري يسير على خطا أهل بيت الرحمة هو إتخاذه قصر الإمارة مسكناً وقاعدة عسكرية وجلوسه على عرشه، وهذا مما عزف عنه الإمام علي حيث قال لا أسكن في مساكن الجبابرة

---

[٣٢٩] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦، ص٣٥.
[٣٣٠] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤، ص٥١٨.
[٣٣١] ينظر: الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج٧، ص٤٦٢-٤٦٣.

والطغاة، وقد يكون أعراض مسلم بن عقيل عن قصر الامارة أيضاً لنفس السبب. لعل السبب الذي ألجأ المختار اليه هو اتخاذ القصر كمركز أمان وحصانة ضد هجمات الأعداء من الداخل والخارج، وهذا مع السير مع مبدأ حسن الظن لسابقته في الاسلام ونصرة أهل البيت الرحمة.

خلاصة المطلب– المختار الثقفي قائد إسلامي كبير ينحدر من نسل يزهر بالشهداء، حسن إسلامه وولائه لأئمة أهل بيت الرحمة وهو فوق كل شبهة، له من الحنكة وروح المناورة دهاء ما يؤهله أن يكون خليقاً بالقيادة العسكرية، حتى طغت خبرته السياسية والعسكرية على سمة تفقهه في المعارف الشرعية، فأثمرت جهوده في النيل من قتلة العترة الطاهرة في ثورةِ لدم الإمام الحسين بالغة الأثر أسسها بحكمة وروية، فهو يستحق لقب بطل الثائرين، سماته دمث خلوق كريم الطباع ذو سخاء ووفاء، شانه في مستوى دون ذوي الكمال والرفعة ويفوق نظراء زمانه من أهل الحرب والسياسة، ولكل جواد كبوةِ وكبوته حب الرئاسة، وخاتمته شفيعة لتكفير خطيئته. فرحمه الله تعالى واسكنه فسيح جنته.

المطلب الثاني- أثره عليه السلام في سمات القائد سليمان بن صرد الخزاعي

أول الثائرين لدم الإمام الحسين عليه السلام وأكبرهم سناً وأطولهم صحبةً للنبي الاكرم ووصيه الكرار. قاد ثورة هدفها الانتقام من الطغمة الاموية الظالمة وتكفيراً بالنفس عن الخذلان.

نسبه وسيرته

هو سليمان بن صردِ بن الجون بن أبيِ الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعي الكوفي.. يكنى أبا مطرف. ولِد في اليمن قبل الهجرة النبوية المباركة بـ(٢٨) سنة في عام -٥٩٤م-،[٣٣٢] أسلم في المدينة المنورة، وكان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سليمان، سكن الكوفة، وابتنى داراً في خزاعة، وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون، فكان شجاعاً له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه. شهد مع الإمام علي صفين، وهو الذي قتل أبرز قادة جيش الشام وأسمه حوشباً ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة.[٣٣٣] وكان ختام حياته قتلاً في سبيل الله تعالى، وهو شيخ ناهز الـ(٩٣) عام (٦٥هـ) في معركة عين الوردة في الجزيرة الفراتية (قرقيسيا) بعد أن رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم غادر.[٣٣٤]

عقيدته وأخلاقه

أجمع أرباب السير والتأريخ على حسن إسلامه وزهده وسلامة عقيدته في صحبة النبي الأكرم ومتابعة أوصيائه من الإمام علي ومن بعده الإمام الحسن، واختلفوا في بيان سلامة موقفه من الإمام الحسين وحركته الكبرى ضد

---

[٣٣٢] ينظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، سيرة أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٩٤-٣٩٥.
[٣٣٣] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٦٤٩.
[٣٣٤] الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٩٢.

الاستبداد الأموي، فأهم مسألة تُطرح في هذا المبحث هي ماهية موقفه من الثورة الحسينية، وكيف كانت ردة فعله؟ وما هو حاله قبل الثورة؟

لا شك في حسن إسلامه ولا ريب في سلامة معتقده وسمال ملبسه وقلّة مؤنته وشرف علمه، فقد ذكره الخاصة والعامة بالتبجيل والتعظيم، فهو صحابي جليل كان خيراً فاضلاً، روى عن النبي الأكرم وعن الإمام علي وعن ولده الحسن وعن أُبي بن كعب وعن جبير بن مطعم، كما روى عنه الكثير من التابعين.[٣٣٥] عده بن شاذان من الصحابة الزهاد وكبار الموالين ومن رؤسائهم،[٣٣٦] وكان معاصروه يعدونه من أشياخ الشيعة وفضلائهم،[٣٣٧] والراجح بعد التحقيق مشاركة بن صرد لجميع حروب الأمام علي ولم يتخلف عن معركة الجمل،[٣٣٨] وقد شهد بولائه خيرة العلماء المحققين من طبقة الإجماع، حيث قال الشيخ المفيد في ترجمته إنه ممن "**أطبقوا على الرضا بأمير المؤمنين عليه السلام فبايعوه على حرب من حارب و سلم من سالم، وأن لا يولّوا في نصرته الأدبار؛ فحضروا مشاهده كلّها، لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته، وبقي المتأخر منهم على حجته، حتى مضى أمير المؤمنين عليه السلام لسبيله..**".[٣٣٩] كما ورد مدحه وتوثيقه في مصادر العامة أيضاً بما نصه: "**صحابي، من الزعماء القادة. شهد الجمل وصفين مع علي**".[٣٤٠] كما نقل عن غيره من المؤرخين مدحاً بحقّه،[٣٤١] ذكروه بسمو

---

[٣٣٥] ينظر: العسقلاني، الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص١٧٥.
[٣٣٦] ينظر: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ج٨، ص٢٧١.
[٣٣٧] ينظر: الزهري، محمد بن سعد، مصدر سابق، ج٦، ص٢١٦.
[٣٣٨] ينظر: آل راضي، الشيخ حسين، التوابون- رئيس التوابين سليمان بن صرد الخزاعي، ص٩-١٢، مقال.
[٣٣٩] المفيد، محمد بن النعمان العكبري، النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، ص١٠٨-١٠٩.
[٣٤٠] الزركلي، محمود بن محمد خير الدين الدمشقي، الأعلام، ج٢، ص١٢٧.
[٣٤١] ينظر: ابن الأثير، ابو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٦٨-٧١؛ وآخرين.

الخصال بوصفهم: " **كان شجاعاً بطلاً، قال..ا فارس مضر الحمراء كلّها، إذا عدَّ من أشرافها عشرة كان أحدهم. وكان متعبدا ناسكا**".[٣٤٢]

وأما عن موقفه من نصرة الإمام الحسن وموالاته في الوقوف نداً بوجه معاوية فهو ما قطعت به نقول العلماء وأكدته بحوث المحققين، وخير شاهد طلبه من الامام الحسن أن ينقض العهد مع معاوية كما نقضه ظلماً، فقد ورد طلبه من الامام الحسن عليه السلام في إعادة النظر بعهد الصلح مع معاوية، وأن يناجزه الحرب بقوله: "**أما إذا جمع الله لنا الكلمة والألفة فإن ذلك** –عهد معاوية– **تحت قدمي، ... فإذا شئت فأعدت للحرب عدّة، فقال الحسن عليه السلام: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، ما كان معاوية بأشد مني بأسا ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكنّي أرى غير ما رأيتم وما أردت بما فعلت إلّا حقن الدماء، فارضوا بقضاء**".[٣٤٣] وهنا شهادة من الأمام الحسن بتشيعه ووثيقة شرف تثبت مودته لأهل بيت الرحمة واستعداده للتضحية من أجل الدفاع عن حقّهم المهتضم.

بقي من البحث محوره وما يتعلق بولاء الصحابي سليمان بن صرد للإمام الحسين في نصرته والأخذ بثأره، وما هو سر غيابه عن معركة الطف؟ هل كان معذوراً أم مقصراً؟ وكيف كانت حركته الثورية وما هو سر تسميتها بالتوابين، وما مدى تأثيرها ونسبة نجاحها؟ هذه الشخصية الكبيرة والمتحمسة لأهل البيت وهذا العظيم ورئيس شيعة العراق وصاحب مشورتهم، ووجههم البارز، هل كان من المجموعة المعذورة؟ أو من المجموعة المتخاذلة ونكثت بعهودها ووعودها؟

حين قطع جميع المؤرخين وأهل التحقيق –الخاصة والعامة– على حقيقة تواصل مشايعة سليمان بن صرد للأمام الحسين والمداومة على موالاته

---

[٣٤٢] الزركلي، مصدر نفسه، ج٧، ص٢٢٦.
[٣٤٣] المرتضى، الريف أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي، تنزيه الأنبياء، ص٢٢١؛ والبلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٨٧.

حتى كان من أوائل المكاتبين لدعوته بالرسائل والتعهد بنصرته، فقد أختلفوا في معذرية وعدم تقصيره في نصرة الأمام الحسين، وهم القلّة من علماء الخاصة، وبين الأكثر ومشهور العامة من ذهب الى تقصيره وتردده في الوفاء بعهده بلا عذر الاّ أنه كان كثير الشك والاعتداد برأيه.

فالذين قالوا بالمعذّرية من الخاصة استندوا الى جهتين في الاستدلال هما:

١- ايراد النقض على بعض أدلة القائلين بتقصيره وعدم وفائه وتأويل بعضها الآخر؛ لإثبات العذر الشرعي في غيابه يوم الطف.
٢- اعتماد ظواهر الأدلة المادحة له في ترجيح المعذّرية وعدم تنجيز الإدانة بحقّه.

في الجهة الأولى اعتمد المحقق على توهين بعض الأخبار -كرواية سيف بن عمر المختلق- وتأويل البعض الآخر على وجه: أن إظهار الندم وإعلان التوبة لم يصدر من نفس سليمان بل من أتباعه ونائبه المسيب، وإن صدر منه فكان يعبر عن لسان حال أتباعه المقصرين وهم اكثر الثوار من التوابين، أو يدلُّ على التأسف من سلب توفيقه قهراً لنيل الشهادة؛ ولذا سموا أنفسهم بحركة التوابين.[٣٤٤] وأما إثبات العذر المانع لنصرة سيد الشهداء فهو المروي عند بعض العلماء -حكايةً- بتعرض سليمان للاعتقال على يد جلاوزة بن زياد وزج بالسجن مع ٤٥٠٠ شيعي موالي وضرب حصارٍ على البعض الآخر داخل الكوفة.[٣٤٥] أن أكبر شخصية في الكوفة راسلت الإمام الحسين وقتها كان سليمان بن صرد وكانت مكاتبة الشيعة قد وقعت بداره، فمن المحتمل -وان

---

[٣٤٤] ينظر: آل راضي، الشيخ حسين، التوابون- رئيس التوابين سليمان بن صرد، ص١٣-١٤.

[٣٤٥] ينظر: المامقاني، محي الدين بن عبد الله، تنقيح المقالب، ج٢، ص٦٣-٦٤؛ والدربندي، الشيخ آغا بن عابد الشيرواني، أكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج٢، ص٧٤١.

كان ضعيفاً- ان لا يتركه بن زياد حراً طليقاً حتى هلاك يزيد وكسر قيد السجن، بل الراجح أنه كان محاصراً ولم يستطع الخروج من الكوفة، فخرج سليمان بعد هلاك يزيد وجمع شمل الموالين في حركة انتقامية استشهادية كان قائدها وزعيمها.[٣٤٦] إن المنقول المشير الى تقصيره وتثاقله هو من أخبار العامة المتأثرة بالأقلام الأموية.

وفيما يخص الجهة الثانية التي اعتمد محققها في ترجيح معذرية سليمان بن صرد وعدم تقصيره في نصرة سيد الشهداء، فقد أستند إلى ظواهر الأخبار المادحة بتبجيل وتشريف لمقام هذا الصحابي الجليل والمجاهد الغيور، فقد ورد عن الإمام علي مدحه بجعله أحد مصاديق الآية المباركة: ﴿**فَمنهُم من قَضَى نَحبه ومنهم من يَنتَظرُ وما بدَّلُوا تَبديلًا**﴾،[٣٤٧] مما يدلُّ على عَلّو شأنه وحسن عاقبته،[٣٤٨] فلا يتصَور بحال أن يَترك الجهاد مع سبط النبي الأكرم ووصي وصيه ويجلس بالدار من غير عذر، وهذا التحقيق يتناسب مع ذوق الفقهاء وأهل الاستدلال الوجداني المنصف والله أعلم بالأحوال. وهكذا يتم الجمع العرفي بين التعارض الغير مستقر بين الروايات المعتبرة منها المادحة تصريحاً والأخبار القادحة في ظاهرها لهذا الصحابي الشهيد.

خلاصة المطلب- يستحقُّ الصحابي سليمان بن صرد لقب شيخ الثائرين وبجدارة، حظوته بشرفية تسمية النبي الأكرم له دلالة عمق إيمانه. قاد التوابين ولم يك مقصراً في نصرة سيد الشهداء؛ لأنه كان معذوراً بالحصار والمنع، فكان فيهم قائداً وليس منهم تائباً، خرج مستقتلاً مع أصحابه طالباً ثواب الآخرة، أتسم بالعلم والورع والزهد حتى طغت سمته الشرعية على جنبته السياسية، فرغم سمة الشجاعة والأقدام ببسالة في الحرب يلاحظ عليه ضعف

---

[٣٤٦] ينظر : النمازي، علي الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج٤، ص١٣٧.
[٣٤٧] سورة الأحزاب:٢٣.
[٣٤٨] ينظر : المنقري، ابن مزاحم، وقعة صفين، ص٥١٩.

التدبير وسداد الرأي في إدارة حركة أنصاره. فلم تك حركته مؤثرة بقوة على دولة آل أُمية، كما لم ترد مرويات صدرت عن أئمة أهل بيت الرحمة تذمه أو تمدحه على حركته أو الترحم عليه بعد شهادته، غير تنبؤ الإمام علي بجعله أحد مصاديق آية الصادقين، وسمة الإيمان الواردة في جواب الإمامين الحسن والحسين على مقاله وكتابه، هذا بحسب تتبعي لكتب التأريخ والسيرة، وعل أي حال يبقى أمره حسناً تحت قاعدة المروي: (لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته...). والحمد لله ربِ العالمين.

المطلب الثالث- أثره عليه السلام في سمات الشهيد زيد بن علي عليهما السلام

أول الهاشميين الثائرين لدم جده الإمام الحسين في أواخر العصر الأموي، من التابعين الكبار الحافظين للقرآن وتفسيره. زيد بن علي (عليه السلام) ذلك الثائر المظلوم الذي أطلق صرخته الرافضة للظلم والاستبداد، الرافضة للعبودية والإذلال.

نسبه وسيرته

هو الشريف أبو الحسين (ذو الدمعة) زيد بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين سيد الشهداء، القابه "زيد الشهيد"، "حليف القرآن"، "وزيد الأزياد". ولد في المدينة عام ٧٨ هـ على الأشهر، أمه أم ولد أُهداها المختار الثقفي الى الإمام السجاد عليه السلام واسمها "حورية"،[٣٤٩] من التابعين في الطبقة الثانية،[٣٥٠] ، نشأ زيد بن علي عليه السلام وتربى في أحضان العصمة والإمامة في أحضان أبيه السجاد زين العباد عليه السلام ومن ثم تعلّم وأخذ عن مدرسة أخيه الباقر عليه السلام باقر علوم الأولين والآخرين، ومن بعده أخذ وتخرج من مدرسة ابن أخيه الإمام جعفر بن محمد

---

[٣٤٩] ينظر: الشبلنجي، مؤمن بن حسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، ص ٤٠٣؛ وحاتم نوري، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، ص ٢٠.

[٣٥٠] ينظر: الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٣٦.

الصادق عليه السلام حيث روى عن أبيه وعن الإمامين الصادقين وجماعة من الصحابة، كما روى عنه الكثير من الخاصة والعامة،[٣٥١]

ثورته انطلقت من الكوفة في عهد هشام بن عبد الملك بعد جدال دار بين زيد الشهيد وهشام، فخرج زيد رحمة الله عليه وهو يقول: "إنه لم يكره قوم قطّ حر السيوف إلاّ ذلّوا"،[٣٥٢] وبعد تعرضه للغيلة في المدينة خرج منها متخفياً حتى وصل الكوفة وجمع من الأنصار (١٥) الف رجل بايعه على الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن استتب لزيد خروجه، وبلغ والي العراق (يوسف بن عمر) ذلك، بعث إلى (الحكم بن الصلت) وهو يومئذ على الكوفة، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم ويحصرهم فيه. فجمع الناس في المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم، وطلب زيد فخرج ليلا، ونادوا: "يا منصور امت". وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وأغلقوا أبواب المسجد على أهل الكوفة، وكان جميع من وافى زيداً تلك الليلة مائتي وثمانية عشر رجلا، فقال زيد: سبحان الله، أين الناس؟ فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون. وبعد قتال شديد ثبت زيد في أصحابه ثلاثة أيام قتل منهم جمعاً كثيراً، حتى إذا كان عند جنح الليل رمي زيد بسهمٍ فأصاب جانب جبهته اليسرى، فنزل السهم في الدماغ فرجع ورجع أصحابه فدخل داراً من دور أرحب وشاكر وجاؤوا بطبيب يقال له سفيان مولى لبني دوس فقال له إن نزعته من رأسك مت! قال: الموت أيسر علي مما أنا فيه فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات شهيداً عام ١٢٠هـ وعمره وقتها أثنان وأربعون عاماً، فجاؤوا به إلى نهر فسكّروا الماء وحفروا له فدفنوه وأجروا عليه الماء.

وكان السندي جاسوساً قد حضر مواراته فعرف الموضع، فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحاً فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث رأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن أصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك طيلة

---

[٣٥١] ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج٨، ص٣٥٧-٣٥٨؛ وحاتم النوري، مصدر سابق، ص ١٨-١٧.
[٣٥٢] المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٧٣.

حياة هشام، وقيل: أن هشاماً أمر بحرقه فأحرق ونسف رماده في الفرات. وقيل: بل بقي مصلوباً طوال حكم هشام فلما تصدى الوليد للحكم أمر بإحراقه ونسف رماده.[٣٥٣] فسلام الله عليه من مجاهد وشهيداً.

عقيدته وأخلاقه

أجمع علماء الشيعة على سلامة عقيدته، وحسن سيرته وسمو أخلاقه وغزارة علمه،[٣٥٤] ومن الآثار المنسوب اليه كتاب "المجموع في الفقه والحديث".[٣٥٥] وترجم له الشيخ المفيد بقوله: "وكان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام، ..... ولم يكن يريدها له; لمعرفته عليه السلام باستحقاق أخيه –الامام الباقر– للإمامة من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله عليه السلام".[٣٥٦]

لقد تعرضت شخصية زيد لحملة أموية واسعة من التهم؛ بسبب تذمره من الظلم الأموي ومعارضته لسياسة هشام الأموي، ومنها ما أثّر من صراع بينه وبين عبد الله بن الحسن على موقوفات الإمام علي عليه السلام في المدينة والتي انتهت، بتحكيم خالد بن عبد الملك وما تبعها من أحداث.[٣٥٧] هذه التهم وغيرها من الأسباب التي تعرض لها زيد، منضمة الى رفضه العمل بمبدأ التقية

---

[٣٥٣] ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ج ٧، ص ٢١٢؛ وصابري، تاريخ فرق اسلامي، ج ٢، ص ٦٧–٦٦؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص١٦٣، وعمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الاسلامي، ص٣٦؛ الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، ص ٤٠٣.

[٣٥٤] ينظر: المفيد، محمد بن النعمان العكبري، الإرشاد، ج ٢، ص ١٧١–١٧٣؛ والمجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج ٤، ص ١١٨، هامش؛ والمقرم، عبد الرزاق، زيد الشهيد، ص٤٢؛ وآخرون.

[٣٥٥] الزركلي، خير الدين، الأعلام، ص ٥٩؛ وصابري، تاريخ فرق اسلامي، ج ٢، ص ٦٦؛ عمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الاسلامي، ٤٦.

[٣٥٦] المفيد، محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص١٧١.

[٣٥٧] ينظر: عمرجي، أحمد شوقي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، ص ٤٧–٥٠.

واتخاذه أسلوب الثورة المسلحة. لقد عمل زيد الشهيد على تأصيل منشأ لحركته الثورية من خلال تفسيره للقرآن الكريم، ففسر الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾[٣٥٨] بقوله: الظالم لنفسه المختلط بالناس، والمقتصد هو العابد، فالسابق بالخيرات هو الشاهر سيفه يدع إلى سبيل ربه، فخروجه مبرر من الناحية الشرعية وله حكمة بالغة تفيد بقوله: وأخرج أنا غدا وأدعو إلى كتاب ربي وأظهر حجتي، وأطلب حقّي فأقتل، فإنه حجة قائم آل محمد على بني أُمية كي لا يقولوا: لم يجئ لهذا الامر منكم أحد يطلبه.[٣٥٩] فهو أول طالب لدم جده الإمام الحسين من الهاشميين، وقد أستمد شرعية حركته من إذن الإمام الصادق له مع الكشف بمصيره الاستشهادي، فقد مضى على بصيرة من أمره كجده الإمام الحسين عليه السلام.[٣٦٠]

إن أعظم إشكالية وردت على حركة زيد الشهيد الثورية هي ما أُشيع من فقدها الإذن الشرعي، وأنه كان يدعو لنفسه دون امام زمانه المفترض طاعته، وقد تصدى علماء الطائفة لتفنيد كل ما يسيء لحركته المباركة، والتأكيد على ارتباطها بالمعصوم وعدم المخالفة لأوامره، فقد صرح الأعلام بسلامة عقيدة زيد الشهيد –خصوصاً قبل شهادته– ورجوعه بالأذن من الإمام الصادق في ثورته الهادفة الى الرضا لآل محمد.[٣٦١]

لقد وردت كثيرة ومعتبرة في مدح زيد الشهيد وبيان علو مقامه واهمها ما صدر من الإمام الصادق(عليه السلام) في قوله: "... إن أتاكم أت منا فينظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا: خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم،

---

[٣٥٨] سورة فاطر:٣٥

[٣٥٩] الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الامام أمير المؤمنين علي، ج ٢، ص١٦٤.

[٣٦٠] ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٦٤٠؛ وآخرون.

[٣٦١] ينظر: المفيد، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٢؛ والخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج ٨، ص ٣٥٧؛ النوري، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، ص ١٨–١٧.

ولو ظهر لوفّى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، .."،[٣٦٢] ومثله ما ورد عن الإمام الرضاعليه السلام في دفاعه عن عمه زيد الشهيد بقوله للمأمون العباسي: "لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي الخير، فإنه كان من علماء آل محمد، غضب لله عزوجل، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله"،[٣٦٣] وذهب كل من السيد علي خان الشيرازي في رياض السالكين، والشهيد الأول في القواعد، المامقاني في تنقيح المقال والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث، الى تأكيد القول: أن قيام زيد كان بإذن من الإمام الصادق عليه السلام.[٣٦٤]

كانت ثورة زيد الشهيد امتداداً في عطائها لثورة جده السبط سيد الشهداء، وتأثّر الامام الصادق والأئمة بعده وشيعتهم حزناً لجلل مصابه، ورثاه العلماء بالشعر في أبيات منها ما قاله السيد الجليل والعالم المفضال السيد ناصر الموسوي الأحسائي في زيارته لمرقد الشهيد زيد...

أندب وقل بعد السلام لمن به **** بيت المعالي والحفاظ يشاد

يا زيد زدت علا بخير شهادة ****هدت لوقع مصابها الأطواد.[٣٦٥]

إن ترجمة حياة زيد الشهيد وسيرته المباركة تناولتها الكثير من الكتب قديماً وحديثاً، وأن أهم مسألة هي مسألة مدحه أو ذمه في روايات أهل البيتعليهم السلام وهل كان مرضياً عندهمعليهم السلام أو لا؟ فللأسف لم تعط حقّها بالبحث والمتابعة، بل أُخذت هذه المسألة في بعض الكتب كأصل موضوعي وأمر ثابت، أو أُقيم عليها الدليل ولكنه دليل غير تام، أو لم يحل التعارض بين روايات المدح والذم بصورة صحيحة، إن مخاض هذا البحث في أوسع تحقيق علمي وأرصن بحث موضوعي أنتج أثبات وجود خمسين رواية صحيحة السند وتامة الدلالة وردت في مدح زيد الشهيد وتأسف الائمة لفقده وحزنهم عليه،

---

[٣٦٢] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٨، ص٢٦٤- ح٣٨١.
[٣٦٣] البروجردي، السيد حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٦٩.
[٣٦٤] عمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، ص ٥٠-٤٧.
[٣٦٥] اللجنة العلمية لمؤسسة الامام الصادق، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١٤-ق٢، ص٨٧٥.

ومناقشة أكثر من عشرين رواية في ذمه بين الطعن في سند أكثرها وتجريح رواتها، أو تأويل مراد الباقي منها وحملها على ظرف التقية،[٣٦٦] وقد خرج الباحث بعد هذا الجهد الكبير بعدة نتائج ايجابية في سمات زيد الشهيد ووثاقته وهي كما ينص عليها بقوله: "**أن زيداً يعرف إمام زمانه وقد اعترف بإمامته، وأنّه الذي يجب اتّباعه، وأن زيداً لم يدّع الإمامة لنفسه، بل ادّعاها إلى إمام زمانه، وأن ثورته كانت طلباً بثارات أهل البيت**عليهم السلام**، فهي ثورة مشروعة، ومقبولة، ومأذونة، وأن زيداً كان عالماً، صدوقاً، دعا إلى الرضا –من آل محمد–، ولو ظفر لوفّى**".[٣٦٧]

لقد تم حل التعارض بين روايات المدح والذم ببيان تواتر روايات المدح مقابل ضعف ما استفاض من روايات الذم وتأويل بعض ما صح منها، وبذلك فقد تم حل أكبر مشكلة روائية تعترض مسألة نزاهة زيد الشهيد ووثاقته، فإن مدح زيد قد ثبت بالتواتر، وهو أمر يقيني وقطعي، وأما ذمه فقد ثبت بخبر الآحاد، وغاية ما تثبته هذه الأخبار هو الظن، والظن لا يقف في وجه اليقين، ولا يعارضه، فلا قيمة ولا اعتبار لروايات الذم حينئذ، فالأخذ بالمدح ورواياته هو المتعين، كما أن الواضح من الإذن لزيد في حركته من قبل الإمام (عليه السلام) لم يكن أمراً علنياً، ولم يكن لكل شخص; لأن التقية كانت حاكمة في كثير من الموارد؛ لكثرة العيون الأموية حول الأئمة عليهم السلام في زمانهم.

خلاصة المطلب–

يستحق زيد الشهيد لقب عميد الثائرين وشريفهم، فهو عالم فاضل ومن التابعين الثقاة الأجلّاء، ومن الحفّاظ المفسرين للقرآن الكريم، بطل مغوار وكريم جواد ذو خلقٍ وهيبة ووقار، شاب خرج لطلب الرضا من آل محمد عازفاً عن الدنيا وزهوها، لم يرجو سلطان ولا شهرة بل كان أمله رجوع الحق الى نصابه،

---

[٣٦٦] ينظر: التميمي، الشيخ رافد، زيد بن علي (عليه السلام)، ص١٧–١٩.
[٣٦٧] مصدر نفسه، ص٢٦٧.

أو الشهادة والرواح الى الجنّة، فرغم قلة الناصر والخذلان مع كثرة الأعداء ومكرهم صمد بكل بطولة حتى نال مناه. فسلام على زيد الخير والبركات..

نتائج المبحث

١. إنّ أفضل قائد ثائرٍ هو زيد الشهيد من حيث السمات والمنزلة.
٢. إن أفضل ثورةٍ هي ثورة المختار الثقفي من حيث القوة والتأثير في الحكم الأموي.
٣. إن الطابع العام للثورات الحسينية هو نهجها الاسلامي الاصيل والعابر للطائفية.
٤. تسببت بعض الأخطاء السياسية والمعرفية في فشل الثورات الحسينية.
٥. التعصب الشخصي والاستبداد بالرأي وعدم توحيد الصف والكلمة من عوامل إضعاف الثورات الحسينية.

والحمد لله الذي وفقني لتنظيم هذا البحث المتواضع، وأُهدي ثوابه لأرواح شهداء الحشد الشعبي مشفوعا بركة الصلاة على محمد وآل محمد.

المبحث الثالث- آثار تجليات العقيدة من الزيارة الحسينية

استهلال

حين يستقرأ الناظر -في آفق التأريخ- لحراك الأمم والشعوب بعين الناقد البصير سيكتشف من آثارهم مدى الاهتمام البالغ برمزية معتقدهم وبتقديس شعارهم سواء أكانوا اعتنقوا أديان سماوية أم أفكار مادية وأسطوريةّ، وتلك الحقيقة التأريخية هي الحاضرة باستمرار حيث يعتمدها مريدي أغلب نظريات الحداثة المادية وما بعدها، وأهمها العلمانية فضلاً عن الأصولي المتدين ؛ لأن أهم أسباب ديمومة أفكار الأمم وخلودها هو تقديس رموزها والدفاع عنها.

إن النظرية الاسلامية يرتكز بناءها نظرياً على محورين أحدهما متم للآخر، فالأول يهتم بالكمال العلمي والفكري، والآخر يعتني بجهة الكمال الروحي الضامن للخلود الأبدي، وأما الارتكاز العملي من الفكر الإسلامي فيعتمد في ديمومته على ركنين يكمل أحدهما الآخر، وهما الالتزام بالقرآن الكريم ذلك الكتاب الصامت، والآخر هو إتباع العترة الطاهرة ذلك الكتاب الناطق بالحق الى يوم الدينونة، فأما الكتاب فقد أحرز خلوده بإعجازه البياني وسائر وجوه الإعجاز، ولابد من مفسرٍ لآياته ومبينٍ لأحكامه وهم عدله وأهل بيت نبيه من الذين اختارهم الله تعالىَ بحكمته، بعد أن شرط عليهم الزهد بالدنيا وزخرفها وتحقق الوفاء منهم بأداء هذه الرسالة الكبرى على أتمِ وجه.

إن من أولويات مهام النبوة هو التأكيد على كل ما يفضي الى توحيد طاعة الله عزوجل والحث عليه، وبقباله التفنيد لكل ما يؤدي الى الشرك والنهي عنه، فقد عمد النبي الأكرمﷺ الى تحطيم الأصنام يوم فتح مكة والنهي عن زيارة قبور المشركين، بعد أن أعرض النبيﷺ عن القصاص من زعماء قريش، فهذا خير دال على أهمية تلك الرموز في نفوس المشركين ومقدار تأثيرها في ضلالهم عاجلاً وآجلا، وفي المقابل ورد الحثّ على زيارة

قبور المسلمين والتبرك بالحجر الأسعد، فالفارق بين التعبد بحجر الصنم وبين التبرك بالحجر الاسعد هو أن الأول من روح الشيطان ووسوسته أما الآخر فمن وحي الله تعالى وأمره؛ لذا كان الرمز الأول يدلُّ على الشرك وكان الرمز الثاني يدل على التوحيد.

وقد ترتفع دلالة التوحيد درجة إن كان الدال عليه هو جسد ولي اصطفاه الله تعالى لحمل أمانة وحيه، بعد أن اصطنعه لنفسه حتى صار مزيجاً من روحٍ قدسية ونفسٍ زكية مع جسد طاهر، وبينهما علقة خفية ورابطة قوية تختلف عما سواها من الأجسام البشرية.

لقد أولى الإسلام الجانب الروحي عنايةً خاصةً تفوق عنايته بالجانب المادي، فالبدن محدود القدرة ضمن نطاق (الزمكانية)، أما الروح فطاقة حيوية متجددة عبر الأجيال قد اخترقت أسوار المحدودية وكسبت سرَّ خلود المبادئ الدينية وحكمة شرعتها، ومن هذا المنطلق فقد أضفى الإسلام قدسية لرموزه وشعاراته، وحثّ مريديه على استلهام الدروس والعبر من تلكم الدوال، وأهم مصداقٍ لها مراقد الأولياء والصالحين والشهداء منهم، فهم الأحياء بحياة الروح الزاكية ولهم حقِ الوفاء وجميلِ الثناء.

مما تقدم يمكن أن يقدم الكاتب جملة التجليات العقدية من زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام خاصة كأنموذجٍ لأهم الزيارات التي حثّ عليها الشرع الحنيف وجعلها محطّ رحال أفئدة المؤمنين، حيث جاء مخطط هذا المبحث مبتدأً بالتمهيد لبيان مفاهيم العنوان وأهمية الزيارة مع الاستدلال على استحبابها، ثم الشروع بأهم التجليات العقدية من تلك النصوص الشرعية في ثلاثة مطالب وهي التوحيد والنبوة مع لازمها الخلافة ثم المعاد بالاعتماد على أهم نصوص الزيارات المعتبرة والمشهورة، ونسأله تعالى التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

توطئة

أولاً- المعنى

معنى التجلّي= وردت معاني غزيرة ومتعددة للفظ جلى سأذكر منها ما يخص المبحث كما وردت في لسان العرب حيث قال صاحبه: "**والجلاء، ممدود: الأَمر البيّن الواضح. والجلاء، بالفتح والمد: الأَمر الجليُّ، وتقول منه: جلا لي الخبر أَي وضح وظهر، ومنه البينة والكشف.**

ويقال: أَخبرني عن جليَّة الأَمر أَي حقيقته، والجَليَّة: الخبر اليقين... والجَليَّة البصيرة، وجلَوت أَي أَوضحت وكشفْتُ. وجلَّى الشيء أَي كشفه"[٣٦٨].

معنى الزيارة= زار يزور فهي زيارة أي: قصده، فهو زائر وزور وزوار مثل سافر وسفر، وورد في الأثر: (من قصد أخاه، فقد زار الله في عرشه)، وقال الصدوق: زيارة الله تعالى زيارة أنبيائه وحججه صلى الله عليه وآله من زارهم فقد زار عرش الله عزوجل، وليس ذلك على ما تتأوله المشبهة تعالى عن ذلك علوا كبيرا. وفي الدعاء "اللهم اجعلني من زوارك"، أي: من القاصدين لك الملتجئين إليك.[٣٦٩]

من خلال ما تقدم يتحصل من تلك المعاني الخاصة بمفردات العنوان بخلاصة مفادها أن ظهور وانكشاف حقيقة أصول الدين من آثار مضمون وطقوس مقاصد المؤمنين لمرقد سيد الشهداء.

ثانياً- أهمية الزيارة وشرعيتها

تكمن أهمية الزيارة لمراقد المعصومين والأولياء في دلالتها وآثارها، فللزيارة أقسام كثيرة لكل واحدة منها فوائد خاصة منها كزيارة بيت الله الحرام التي تنطوي على فلسفة وآداب خاصة ذكرت مفصلاً في المصادر الفقهية، ولا شك أن لزيارة قبور المؤمنين ثمرات ذات اتجاهين منها ما يعود على الزائر

---

[٣٦٨] ابن منظور، لسان العرب، مادة جلى

[٣٦٩] ينظر: فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج٢، ص٣٠٤.

ومنها ما يرجع إلى المزور، فبالإضافة إلى الثواب المترتّب على زيارة المؤمن فان الروايات أكدت على أن صاحب القبر يفرح بزيارة قبره. ومن الفوائد المترتّبة على زيارة قبور المؤمنين هي تذكّر الموت والعبرة والاستعداد لإصلاح النفس وتهذيبها، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "**زوروا موتاكم فإنّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما**".[٣٧٠] وفي الحديث الذي روته صحاح ومصادر العامة عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: "أمر رسول الله ﷺ أن يصلي على أهل البقيع فصلى عليهم رسول الله ﷺ ليلة ثلاث مرات، فلما كانت ليلة الثانية قال يا أبا مويهبة انى قد أمرت ان استغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، ثم قال ﷺ: أسرج لي دابتي قال فركب فمشيت حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته وأمسكت الدابة ووقف عليهم فقال ﷺ: **السلام عليكم أهل المقابر، ليهنئكم ما أنتم فيه مما فيه الناس أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضا الآخرة أشد من الأولى....**"[٣٧١]، وهذا دليل يلزم أتباع مدرسة الحديث والسلفية السماح بزيارة قبور الأولياء والصالحين وإعمارها لا العكس كما نراه في زماننا، فالموثّق لهذا الحديث ومصححه هو من كبار علماء مذهب السلفية.

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام هم المصداق الأمثل للإنسان الكامل وأنهم أحب الخلق إلى الله تعالى؛ لما اتسموا به من صفات الكمال تقوى وورعاً وعلماً، وقد عصمهم الله من الذنوب ظاهراً وباطنا، وأمر تعالى بحبهم وولائهم، وأن من حاربهم فقد حارب الله تعالى، فلا يصل الإنسان إلى مقام القرب الإلهي إلّا بمحبتهم وقبول ولايتهم.

---

[٣٧٠] الحر العاملي، وسائل الشيعة، باب٥٤، ح٥.
[٣٧١] احمد بن حنبل، مسند بن حنبل، حديث ١٥٦٠٣، ج٢٤، ص٤٨٩.

إن الفضل المترتّب على زيارتهم واضح العلّة باعتبارها تمثّل أفضل الطرق للتواصل مع أئمة الهدى المعصومين عليهم السلام مما يوجب فلاح الإنسان وترسيخ الجانب المعنوي في شخصيته، بالإضافة إلى ما تنطوي عليه الزيارة من الحظوة بكرامة الأئمة، وتعزيز الآصرة القلبية بين الزائر والإمام المعصوم؛ تجديداً للعهد باستمرار المسيرة الروحية التي يتحرك فيها المؤمن استلهاماً منهم وتأسياً بهم عليهم السلام.

ومن الآثار المترتّبة على الزيارة هو غفران الذنوب والفوز بشفاعة الأئمة الأطهار عليهم السلام وإنجاح طلبات الزائرين، وسأحاول هنا الإشارة إلى نماذج من الروايات التي تشير إلى ثمار الزيارة وما يترتّب عليها:

فقد ورد في المروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "من **زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة**".[٣٧٢]

كما أكد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم شرعية الزيارة عملياً حيث نقل خبر مفاده أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين انصرف من معركة أُحد مر على جثمان مصعب بن عمير وهو مقتول في سبيل الله عز وجل، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلّا ردّوا عليه**" وهو صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ولكن لم ينقلاه.[٣٧٣] وما إعراض الشيخين عن اخراج الحديث وغيره من المرويات الدالة على استحباب الزيارة الّا لأسباب سياسية عملت عليها الدولة الأموية لغرض إنكار فضل الشهداء وتقليل شأن الرموز الاسلامية، فقال الامام الصادق عليه السلام: "**من زار قبر**

---

[٣٧٢] ينظر: عبد الحسين الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج ٥، ص ٩٧.
[٣٧٣] الحاكم النيسابوري، مستدرك الصحيحين، ج٢، ص٦٢٩.

الحسين عليه السلام لله وفي الله أَعْتَقَهُ من النَّارِ وآمنهُ يومَ الفزع الأَكبر ولمْ يسأَل اللَّهَ حاجةً من حوائَجِ الدُّنْيا والآخرةِ إِلَّا أَعْطَاه".[٣٧٤]

هذا غيض من فيضِ المتواترات والروايات المستفيضة والمعتبرة الكثيرة في تأكيد شرعية زيارة المعصومين والأولياء والصالحين ذكرتها المصادر الحديثية وأشبعها العلماء بحثاً وتحقيقاً.

ومما تقدم يمكن استنتاج أهم ثمرات الزيارة وآثارها مرتبةً في عدة نقاط منها ما يلي:

١. تنامي معارف الزائر وعلومه الدينية من خلال المفاهيم والقيم التي تنطوي عليها نصوص الزيارات.
٢. معرفة مقام الأئمة وتحكيم آصرة الولاء بين الزائر والأولياء الربانيين.
٣. انتخاب النموذج الأمثل لمقام قيادة المجتمع.
٤. توفير الأرضية المناسبة لاجتناب المعاصي واقتراف الذنوب وكسب محاسن الأخلاق.
٥. تعزيز روحية العمل الجمعي وصيانة هوية التشيع من الضياع ومواصلة التعايش مع ثورات الأئمة وتحركاتهم السياسية والاجتماعية.
٦. إشاعة روح الثورة وتعزيز الشجاعة والفداء في الوسط الاجتماعي، وبثّ روح المطالبة بالحق والعدل والتأكيد على إحقاق حقوق الجماهير كأهم شعار يرفعه الشيعة.
٧. تقوية روح التصدي للظالمين ونشر جرائمهم التي وقعت على مر التاريخ بحق المسلمين أئمة ورعايا، وجعل المجتمع يعيش أمل الحكومة النموذجية ويمهد لتحققها على يد المنقذ الحجة بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه).

---

[٣٧٤] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٩٩.

تلك الثمار هي بعض ما يظهر من الآثار المعنوية والاجتماعية لدى المتأمل في أهمية الزيارة وفوائدها، وما يخفى من الأمور المعنوية والأخروية أكثر قد لا يتسنى لنا ادراكه والله أعلم بأسرار أوليائه وشريعته.

لقد أولى علماء الأمامية اهتماماً بالغاً في تحقيق نصوص الزيارات الواردة عن المعصومين، ووثقوها في كتبهم من قبيل (كامل الزيارات) لابن قولويه القمي، والذي يعد من أهم الكتب المصنفة في هذا المجال، ومنها: كتاب (المزار) للشيخ المفيد و(مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي و(مهج الدعوات) للسيد ابن طاووس و(المزار الكبير) لابن المشهدي و(تحفة الزائر) للعلامة المجلسي وكتاب (مفاتيح الجنان) المشهور للشيخ عباس القمي، فبالرغم من الأصول التأريخية المتينة لشعيرة الزيارة في الفكر الإسلامي عامة والشيعي خاصة إلّا أن هناك طائفة ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري تعرف بالوهابية رفعت راية المخالفة والرفض لزيارة المراقد المقدسة وقبور الصالحين وهدمها بدعوى انها من مظاهر الشرك تشبيهاً بالأصنام، وهذا ما لا ينسجم مع السنة النبوية وسيرتها مثيرين بذلك الكثير من الشكوك والاستفهامات، فتصدى للإجابة عنها علماء الفريقين من الشيعة والسنة بإثبات رجحان الزيارة وشرعيتها.

والملاحظ لنصوص الزيارات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام يجدها تتضمن كماً هائلاً من المعارف الإسلامية والعقائدية، وقد اشتهرت من بين تلك الزيارات بسبب اعتبار أسانيدها وعمق محتواها مجموعة من الزيارات كزيارة (عاشوراء) وزيارة (الجامعة الكبيرة) وزيارة (أمين الله) بالإضافة إلى زيارة (وارث) المشهورة.

تنقسم الزيارات الواردة عن المعصومين عليهم السلام الى طائفتين هما: الأولى الزيارة الخاصة ببعض المعصومين، والثانية الزيارات المشتركة التي يصحُّ زيارة أكثر من معصوم بها، وسأعتمد في هذه المقالة على جميع الزيارات المخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام بالإضافة الى بعض الزيارات

المشتركة التي يزار بها جميع المعصومين عليهم السلام كما ذُكرَ أعلاه، وأستنطق مضامينها لمعرفة أهم التجليات العقدية من تلك الكلماتَ النورانية، وهي كما يلي بالترتيب..

المطلب الأول- أثر تجلّي دلالة التوحيد

تقرر في علم الاجتماع أن الفعل الإنساني يتصفُّ بالمعنى أي: الغاية المقصودة بإرادة جادة، فكلُّ عمل عقلائي لابد أن يصدر عن دافعٍ وواعزٍ يدعو الإنسان للتحرك نحو مراده اشباعاً لحاجة في نفسه، فالمؤمن عندما يقصد بزيارته لمرقد الإمام الحسين عليه السلام يجد في نفسه واعز الميل نحو صرحٍ ممردٍ من الرحمة الربانية الواسعة تشفي غليله وتبرد لوعته من سقم مكابد الدنيا وخشية هول الآخرة، ويعتقد المؤمن أن مبدأ هذا الصرح ومبدعه هو اللهﷻ الذي أصطنعه بقدرته وكساه بصبغته بأحسن لونٍ من ألوان جميل صنعه، ومصدر هذا المعتقد معرفته بكمال صفات الامام الحسين عليه السلام الخلقية والخلقية، وقد أدى حق العبودية لمولاه تعالى، وأنه سبط نبي الرحمة ووصيه الذي ضحى بنفسه وأهل بيته وصحبه لأجل أنصاف المظلوم وإعلاء كلمة التوحيد وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين؛ حفاظاً على الهوية الاسلامية من مؤامرات بني أُمية الرامية لطمسها تمهيداً لعودة شرك الجاهلية بأساليب شيطانية خفية ظاهرها الهداية وباطنها الضلال كما حكى عنه تعالى بقوله: **(قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)**[٣٧٥]، فالمتتبع لسيرة سلاطين بني أمية وبني العباس وولاتهم يجد بوناً شاسعاً بين سلوكهم وتعاليم الدين الإسلامي المتمثلة في سيرة نبينا الأكرم، فقد تمظهروا بلباس الإسلام وأقاموا بعض شعائره؛ لتمشيه أمور سلطانهم

[٣٧٥] سورة الحجر ٣٩-٤٠.

والخشية من ثورة رعيتهم، وقد بين الامام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة لأصحابه بقوله: "**إن بني امية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه**".[٣٧٦]وهو ما يعرف بسياسة التجهيل وفن خداع الرعية بالنكراء والشيطنة.

إن المسلم عليه أن يقصد من أداء تلك الطقوس رغبته في النهل من معينٍ رباني دروس الإخلاصِ في طاعة ربه ولزوم عبادته في جميع الظروف وإن قست؛ لأن مصداق الايمان يتجلّى عندما يفترق الحق عن المصلحة، والهدى عن الهوى، والرسالة عن السياسة، والجهاد في سبيل الله عن الدعة والمنفعة، فلا عذر لأحد بعد تضحية السبط الشهيد سلام الله عليه العظيمة في أن يترك جهاد الظالم خوفاً على سمعته، وخشية تعرض حياته وأهل بيته للمخاطر.

إن عظمة الإمام الحسين عليه السلام وعلوَّ شأنه في النفوس الأبية بالإضافة الى جليل مصابه وأثره البالغ في نفوس المؤمنين قد يشغل ذهن الزائر بعظمة ذلك الكيان شغلاً –وإن ندر– قد يجعله في غفلة تذهله عن خالقه ومبدعه جل جلاله، فقد يقصد من الزيارة ذات المزور ويطلب منه بذاته لا بواسطة اعتباره الوسيلة لربه؛ لأن الطبعِ البشري يتأثّر بالمحسوس بدرجة أقوى من تأثّره بالغيب، الأمر الذي قد يؤدي الى الغلو بمقام حبيبه ومزوره، فما كان من أئمة الهدى عليهم السلام أن تغيب عنهم تلك العلل والأسقام المهلكة الّا ويضعوا لها اللقاح المناسب للوقاية من ضررها، وعليه قد لا يجد الزائر نصاً وارداً عن المعصوم مما يزار به خالياً من ذكر الله عز وجل من تكبيرٍ وتهليل وبسملة وحوقلة و....، وفي بعض الزيارات يستحب للزائر قبل وروده الحرم الشريف أن يكبر الله مئة مرة ويستغفره سبعين مرة، ثم يحمده تعالى لحسن توفيقه بقوله: "**الْحمد لله الْوَاحِد الْأَحَد الْفَرْد الصَّمد الَّذي هداني لولايتك، وخصَّني بزيارتك، وسهَّل**

---

[٣٧٦] مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، ج١٠، ص١٣٤.

لي قَصدَك".[٣٧٧] فهذه مقدمات لترسيخ معنى التوحيد في نفس المؤمن؛ كيلا تذهب به المذاهب بسابح الغفلة والخيال عن أصل الخير وخالق أئمة الهدى، فالزائر يجد نفسه في بيت أذن الله تعالى أن يرفع ذكره فيه؛ لأنّه من محال أهل معرفته ومعدن علمه جلَّ جلاله، فالزائر يقف متصاغراً أمام تلك العظمة مناجياً حضرته بقوله: "**السَّلَام عَلَى محَال مَعْرِفَة الله ومساكن بركَة الله ومعادن حكْمَة الله وحفَظَة سرّ الله وحمَلَة كتَاب الله...**".[٣٧٨] حيث تستمر تلكَ السلسة مَن الذكرَ التوحيدي تأكيداً لخلوص مَرادَ الزائر في مقصده القربي لله تعالى.

إن افتتاح مراسم نصوص الزيارة بالبسملة وحمد الله تعالى والثناء عليه هي السمة الغالبة في تلك النصوص الشريفة، فالزائر يقرأ في نص الزيارة وقبل دخول حرم الحائر الحسيني حين يقف مستأذناً للدخول: "**الله أَكْبر كبيراً، والْحمد لله كثيراً، وسبْحَان الله بُكْرَةً وأَصيلاً، الْحمد لله الَّذي هدَانَا لهَذَا وما كُنَّا لنَهْتَدي لَوْلَا أَن هدَانَا الله**"[٣٧٩]، فالتكبيرَ والحمد والتسبيح قبل الدخول للحرم غايته هو تأكيد معنى التوحيد الخالص في نفس المؤمن القاصد من زيارته نية القربى لله تعالى؛ لأن مقصده ومزوره كان عابداً مخلصاً لا يرى مؤثراً خارج قدرة البارئ عزوجل، ولا يشعر بأثرٍ سوى آثار رحمتَه تعالى، وقد كبر في نفسه مولاه فصغر ما دونه من المخلوقين. إن المتدبر في هذا التكبير والثناء يستذكر تلك العقيدة الراسخة بخالقه الذي أبدع تصميم مثل هذا الكيان الشامخ وجعل سبحانه منه قدوة للأحرار الذين خافوا الله تعالى فأخاف منهم كل موجود، وأحبوه سبحانه فألقى محبتهم في قلوب الناس، فمن أسَّس بنيان عقيدته على أصل توحيد خالقه ومعرفة صفات جلاله وجماله كان مثالاً للإنسان الكامل الذي لا يتذبذب في مواقفه ولا يزحزحه الجبابرة عن مواقعه؛ لأنه يدرك يقيناً أن الله هو واجب الوجود، وهو أكبر سلطاناً من جبروتهم وأعظم قدرة منهم وأن اليه سبحانه مرجعه ومردهم فعليه ثوابه وحسابهم.

---

[٣٧٧] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٤٤.
[٣٧٨] مصدر نفسه، ص٥٤٥. مقطع من زيارة الجامعة الكبيرة.
[٣٧٩] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٤٥.

إن التكبير معناه أن الله سبحانه هو الواحد المتفرد بصفات الكمال في هذا الوجود، فهو تعالى أكبر من كل شيء في هذا الوجود، وأعظم وأجل وأعز وأعلى من كل ما يخطر بالبال أو يتصوره الخيال؛ ولذا فإن على العبد إذا وقف بين يدي الله تعالى لمناجاته وأداء عبادته وتلفظ بهذه الكلمات بتدبرٍ عليه أن يستحضر هذه المعاني الجليلة القدر، والمتوافقة وفطرة النفس التي فطر الله الناس عليها، فقد ورد في القدسي: **"الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته جهنم"**[٣٨٠]، فالإنسان المؤمن لا يغفل عن حقيقة التكبير خاشعاً لمولاه ويسبحه في جميع أوقاته، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: **"وربك فكبر"**[٣٨١] أي: أيها العبد تواضع وأنسب ربك إلى الكبرياء والعظمة دوماً اعتقاداً وعملاً في قولك وفعلك، وهو تنزيهه تعالى من أن يعادله أو يفوقه شيء فلا شيء يشاركه أو يغلبه أو يمانعه، ولا نقص يعرضه، ولا وصف يحده؛ ولذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن معنى التكبير هو: أن الله أكبر من أن يوصف، فهو تعالى أكبر من كل وصف يصفه به خيالنا حتى من هذا الوصف، وهذا هو المناسب للتوحيد في الفكر الإسلامي الأصيل الذي يفوق ما نجده من معنى التوحيد في سائر الشرائع السماوية.[٣٨٢]

مقصد إثبات وجود الله ﷻ

لابد للمسلم أن يحمل تصوراً لائقاً بشأن الذات المقدسة وكمالها، فالتعبد بدين التوحيد الإسلامي يستلزم حصول اليقين بوجود الله تعالى ومعرفة صفاته والقطع بكماله سبحانه من جميع الجهات، وهذا اليقين هو فرع التصور والمعرفة الاجمالية على أقل تقدير، فقد ورد عن الامام علي عليه السلام بيان ذلك في قوله: **(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ،**

---

[٣٨٠] السيد حسين البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٤٤٥.
[٣٨١] سورة المزمل: ٦
[٣٨٢] ينظر: محمد حسين الطبطبائي، تفسير الميزان، ج٢٠، ص٨٠.

وكَمَالُ تَوْحيده الْإِخْلَاصُ لَهَ...)[٣٨٣]، ولكن هذا التصور قد يكون مشوشاً عند أغلب المسلَمِيَن بحسب الاستقراء لآرائهم حين توجيه السؤال لأحدهم عن طبيعة الذات المقدسة وصفاتها، مع أن كتب الكلام والعقيدة سطرت الكثير من المباحث العقلية والفلسفية في بيان معرفة الذات المقدسة، وأدلة إثبات وجود الواجب تعالى، ولكن هذه البحوث القيمة قد تتسم لغتها بالجزالة والتعقيد في صياغة الاستدلال[٣٨٤]، مما يصعب فهمها عند عوام الناس وعسر تلقيهم إياها بوضوح تام، ومن أجل حل بعض ما يعترض شبابنا اليوم من شبهات عقدية تخص مبدأ التوحيد كان لابد من صياغة دليل مستوحى من مجموع مضامين تلك الأدلة المثبتة لوجود الواجب تعالى بما يدفع شبهات مشككة بأسلوب أقرب لأذهان العامة.

يمكن الانطلاق في بيان الأدلة العقلية على وجود الذات المقدسة من استثمار بعض آي الذكر الحكيم، فمن قوله تعالى: **((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))**[٣٨٥]، فالكون كلّه عبارة عن آيتين هما آية النفس الإنسانية ذلك النظام المحير الذي يتحكم بالمخ وحركات القلب المنتظمة والشرايين والعظام والخلايا، وانعقاد النطفة ونمو الجنين في ظلمات الرحم. ثم أسرار الروح العجيبة. إن كل ذلك هي كتاب مفتوح لإثبات وجود خالق عظيم لها ومعرفته، وآية سائر الموجودات من الأرض الى عنان السماء مثل نفوس النبات والحيوان وأسرار الكواكب ونظام الكون كقانون الجاذبية،[٣٨٦] بمعنى أن الكون بأسره مؤلف من المادة المدركة بالحواس التي تتمازج مع النفس اللطيفة الخفية عن الحواس،

---

[٣٨٣] ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٤.

[٣٨٤] لقد ذكر علماء الكلام والفلاسفة أدلة كثيرة على إثبات وجود الواجب تعالى كدليل الصديقين والحدوث والحركة والعلية والنظم وغيرها من الأدلة في كتبهم القيمة ومنها ينظر: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص١٥٥-١٧٢.

[٣٨٥] سورة فصلت: ٣٥

[٣٨٦] ينظر: مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١٥، ص٤٤٩-٤٥٠.

فكل كائن حي أو جماد له نفس تناسب مقامه، ويرجع سر حياة الموجودات الى تلك النفس بحسب طبيعتها، فيكون للوجود في ذاته حقيقة غير مادية متسقة لها درجات من الكمال، وهي مع صفاتها الكمالية الموجودة في كل شيء بحسب رتبته ونوعه حتى تكون على أكمل وجه في سيد الوجود وخالقه تعالى[٣٨٧]. إن حقيقة النفس لا يمكن إنكارها مهما حاول علماء المنهج الحسي والتجريبي، كما لا يستطيعوا إدراك كنه نظام الجاذبية الذي أثبتوه في تجاربهم الحسية، فهذا يدل على وجود حقائق لأشياء غير مرئية منها النفس الإنسانية لا يمكن لعاقل إنكار وجودها ؛ لكثرة آثارها من سر الحياة الى سائر نشاط الإنسان الفكري والبدني، فوجود الله تعالى يمكن إثباته عقلاً ووجداناً وإن خفي عن لحظات الأبصار؛ لأن لكل موجود علّة فاعلة حققت وجوده ولولاها لكان عدما، ولم يتوقف الأمر على إيجاده بل تكفل بتنظيم كيانه بأدق القوانين وأحكمها، فلا الصدفة –على سبيل الفرض– قادرة على إحكام هذه النظم البديعة وهي في نفسها غير محكمة النظم ولا واجبة الوجود أي محتملة الوقوع، ففاقد الشيء لا يعطيه لأنه محتاج إليه.

شاهد الايمان

يذكر أحد أساتذة اللغة مروره بمرحلة حرجة في شبابه لغلبة الشكّ في وجود الخالق حتى صار في مفترق طريقين أحدهما يؤدي الى نعيم زائلَ بالموت وهو الإلحاد، والآخر يؤدي الى نعيم دائم وهو الإيمان بوجود الله عزوجل، وبسبب الحيرة عاش مخاضاً أقلقه وأقض مضجعه مما دعاه الى مراجعة أمهات المصادر الدينية، فلم يجد ضالته فيها حتى قرأ كتاب غرائب عالم الحيوان، فتعجب من قدرة البعوضة التي تفرز مادة سائلة قبل موتها لتتحول الى مادة صلبة على شكل قارب صغير تضع فيه بيوضها لتسبح في برك الماء، وبعدها تفقس لتخرج يرقات وتصير بعوضه وتفعل مثل ما فعلت

[٣٨٧] ينظر: صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية، ج٥، ص٢٥٧–٢٥٨.

أمها وهي لم تدركها ، فسأل نفسه من الذي علّمها ومن أبدع خلقها ونظم أمرها! سوى الله تعالى.[٣٨٨]

إن الشواهد العلمية الدالة على وجود الله تعالى كثيرة ومتجددة لا يسع المقام ذكرها، فقد قضى (ألبرت أينشتاين) حياته في البحث عن معادلة أساسية وراء الكون –ما يسمى بمعادلة الله– ويواصل العلماء من بعده ما كان قد بدأه.[٣٨٩]

مقصد إثبات التوحيد الإلهي

إن الشهادة لله تعالى بالتوحيد لا تفض عن فم المؤمن حال أدائه مراسم زيارة سيد الشهداء مستنداً في خطابه وسلامه على النصِ الوارد عن المعصومين كما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام من معاني جليلة تتسمُّ بشهادة الوحدانية وتعظيم الله تعالى، فالزائر يستقبل القبلة متوجها نحو مرقد المعصوم في إشارة الى الخط التوحيدي المستقيم ويتلو هذه الشهادة بقلب خاشع وعين باكية قائلاً: "**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شَرِيكَ لَهُ كما شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**.."[٣٩٠]، فهذه الشهادة تزيد من ترسيخ معنى التوحيد الخالص في نفس الزائر حيث تتجلّى له دلالات أخرى نافية للصفات التي لا تليق بشأنه سبحانه كالشريك والتحيز والمحدودية، فالمؤمن يسبح بحضرة جلالة مولاه وفي حرم وليه الداعي الى طاعته تعظيماً لشأنه وفكره يتقلّب بين صفات السلب والإثبات

---

[٣٨٨] صاحب الرحلة من الالحاد الى الايمان هو الأستاذ الجامعي د. فاضل السامرائي، أستاذ في جامعة بغداد والشارقة لمادة النحو والتعبير القرآني منذ عام ١٩٩٩، وله مؤلفات كثيرة في تفسير وبيان القرآن الكريم، وكان ضيفا رئيسيا في برنامج «لمسات بيانية» يشرح الإعجاز البياني في القرآن الكريم. لمشاهدة حلقة رحلته من الالحاد زيارة هذا الرابط "https://www.youtube.com/watch?v=H2eyXRwIa80

[٣٨٩] "معادلة الله".. كيف سعى أينشتاين إلى النظرية النهائية؟ وما يراه عالم مستقبل شهير حول ذلك! – RT Arabic https://arabic.rt.com/technology/1237240–.

[٣٩٠] عباس القمي، مصدر سابق، ص٥٤٥، مقطع من زيارة الجامعة الكبيرة.

لمولاه وخالقه، فبعد أن أثبت الزائر لمولاه صفة التفرد بالعظمة ينتقل بخاطره لنفي كلّ شريكٍ له سبحانه في تلك العظمة والعزة والعلم، ويسبح مولاه تنزيهاً له تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه جلَّ وعلا، فالخالق سبحانه غني مطلق قد تفرد بصفات الكمال من جميع الوجوه وحده لا شريك له؛ لأنه غيره –على سبيل الفرض– أما مثله في الكمال أو أنقص منه فليس بعد الكمال المطلق والمنتهي حد يفترض، ولو فرض جدلاً إمكان وجود الأكمل لما انتهت الفرضيات لحد ولزم التسلسل الباطل عقلاً، وان كان الإله المفترض هو مثله في الكمال لزم ان يكون نفسه ولا يتوقف وجود الشي على نفسه؛ لحصول الدور الباطل عقلاً، أو لوصلتنا رسله وأنبياءه ولرأينا آثاره، وهو غير متحققٍ في الوجدان فالعقل يحكم ببطلان وجود المثل والشبيه، وأما فرض الأقل من الواجب تعالى كمالاً فهو مرجوح عقلاً مغلوب على أمره فلا حاجة لوجوده فضلاً عن الاعتقاد به مع وجود الأرجح في كماله وهو أحق بالعبادة ولا يستحقها موجود الّا الله سبحانه.

لقد أحرز الزائر بشهادة التوحيد الكينونة في مصافّ الملائكة المقربين ومعية أهل العلم من الاولياء، وصحبة الأنبياء والمرسلين الذَين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم الذين كبروا الله تعالى وعظّموه في نفوسهم، وهذا ما يستحضره الزائر حين يقرُّ بما يتلوه: "**فَعظَّمتم جلالَه وأَكبرتم شأْنَه ومجَّدْتم كرمه وأَدمنْتم ذكْره ووكَّدْتم ميثَاقَه وأَحكمتم عَقْد طَاعته**"[٣٩١]، حيث أظهروا سوابغ الآئه وشكَروه عليها فكانوا من الذاكرين له تعالى َعلى الدوام في الليل والنهار بلا فتورٍ ولا ملل بل برغبة وشوق مع أمل الفوز برضوان الله تعالى.

إن من أظهر وجوه الشكر هو الدعوة الى الإسلام بأسلوبٍ حكيمٍ يطرق قلوب المريدين بلا تنفيرٍ ولا إكراه، ومقابلة الصادين والمعرضين بموعظة تخرج من قلبٍ سليم بألفاظ حسنة تثير عواطف قساة القلوب وتستميلهم نحو الهدى والنجاة في الآخرة، وقد ورد في بعض نصوص الزيارة المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام بعد السلام ترديد التلبية لدعوته بصفته الداعية للتوحيد "**لبيك**

---

[٣٩١] مصدر نفسه.

داعي الله"، والوجه في التلبية له أنه عليه السلام الداعي الثاني الى الله تعالى بعد جده المصطفى صلى الله عليه وآله الذي دعا الى الاسلام والشهادتين.[٣٩٢]

اذاً ينبغي على المؤمن أن يستوحي من تلك التجليات النورانية للزيارة الدروس والعبر مطبقاً لما ورد فيها من أوامرٍ الهيّة ومقتدياً بأئمته في الدعوة لدين التوحيد وفق المنطق السليم، فكما يشهد الزّائر لإمامه وقدوته وآبائه بالطهارة والزكاة من دنس الشرك والسلامة من آثار الجاهلية الأولى عليه أن يتعبد بآثارهم العلمية والأخلاقية، وأن يقتدي بمن أشار الأئمة اليه بوجوب إتباعه في زمن الغيبة من علماء ربانيين هم امتداد لأصل الإمامة وحصون للأمة من غواية الجاهلية الحديثة، وهذه الشهادة يسطّر كلماتها المعصوم بقوله: **"أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي ٱلأَصْلاَبِ ٱلشَّامِخَةِ، وَٱلأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمَّاتِ ثِيَابِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ ٱلدِّينِ...**"[٣٩٣]، ولَابد أن يقتدي المؤمن بإمامه في دعم أصول الدين وتقويته في نفوس الراغبين، فلا يكتفي بالوصول الى مقام التوحيد بل يسعى أن يكون سبب رحمة للآخرين كما ورد في زيارة عاشوراء **"اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ"**[٣٩٤]. إن الوجيه هو الذي يقصد ويتوجه إليه من قبل مجتمعه لحمايته وصيانته، فإنه المتحمل لأعباء مسؤوليته، والمؤمن القوي مثله كمثل الماء الكثير المطلق يكون طاهراً في نفسه من دنس الشرك فلا تنجسه الجاهلية بأنجاس شركها، ولا ينفعل بمغرياتها ولا يأتزر بردائها، بل باتباع إمامه الحق يكون مطّهراً لغيره من رواسب الجاهلية ودنس الشرك؛ لكي يصبح من الفائزين غداً بجوائز الرحمن مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، وهذه الارشادات يقرأها الزائر في وصف الإمام الحسين عليه السلام عند زيارته

---

[٣٩٢] جعفر التستري، الخصائص الحسينية، باب خصائص زيارته.
[٣٩٣] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٤٥.
[٣٩٤] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٥٤.

بما نصه: "**ونصحتم له في السر والعلانية ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة**"[٣٩٥]

إن التحصن بتلك الضوابط عند مواجهة المخالفين على أساس منطقي يشمل كيفية الحوار وماهية العقاب والعفو، وأسلوب الصمود أمام مؤامرتهم وغيرها، ويمكن تسمية ذلك بأصول المناورة الجدلية ومنهج المواجهة القرآني ضد المخالفين، كما قال تعالى: ((**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وجادلْهُم بالَّتي هي أَحسن ۚ إِنَّ ربَّك هو أَعلَم بمن ضلَّ عن سبيلِه ۖ وهو أَعلَم بِالْمهتدين**))[٣٩٦].فينبغي العمل بهذا القانون في مجادلة المخالف والاستعانة به كمنهجٍ كُلّي شامل لكل زمانٍ ومكان.[٣٩٧]

إن هذه الضوابط العامة تعتبر كدستورٍ للمسلم ينتهجه في دعوته التوحيدية قد استوحى الزائر مفاهيمها من تجليات الزيارة، فهي كالمدرسة التربوية والأخلاقية تشرع فتح أبوابها لمريديها كل صباحٍ ومساء، ومن ترك هذه المدرسة زهداً بكمال عقله وثواب آخرته فقد خسر الكثير من المواهب الالهية وابتعد عن مولاه كما قال الإمام الباقر عليه السلام: "**من لم يأت قبر الحسين من شيعتنا، كان منتقص الايمان، منتقص الدين**".[٣٩٨]فمرقد سيد الشهداء هو الصرح العلمي الذي يقصده الباحث عن الحق والطالب للحقيقة، وفي هذا الحرم الشريف يجد الضال حاجته الروحية في تلك الجذوة الوقّادة من شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في العلى يتسامى بشموخ.

إن الإيمان بالله يعتبر نقطة أساسية في مرحلة التصور عند الإنسان، كما تشكّل الإرادة الإنسانية النصف الآخر من شخصيته. وهذه الإرادة لا تتخذ طابعها الحقيقي إلا بعد اتصافها بتقوى الله وطلب رضاه كما بينه تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّس بنْيانَه علَى تَقْوى مِنَ اللَّه ورِضْوانٍ خَير أَم منْ أَسَّس بنْيانَه**

---

[٣٩٥] مصدر نفسه، ص٥٤٥.
[٣٩٦] سورة النحل: ١٢٥.
[٣٩٧] ا ينظر: مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٨، ص٣٩٦.
[٣٩٨] محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٤.

عَلَى شَفَا جرفٍ هارٍ فَانْهار به في نَارِ جَهَنَّمَ﴾[٣٩٩]، إنّها التركيبة الالهية لأساس الشخصية الإنسانية المؤلّفَة مَن الركنين، وهما يستندان إلى مرتكز آخر هو الإيمان بالله وحده.

إن تجليات التوحيد الإلهي سطّر كلماتها أبو الأحرار على صفحات التأريخ وكان مدادها دمه الطاهر الذي رسم خلود ثورته في نفوس الأحرار عبر الأجيال المتعاقبة حتى انبرى شاعرها يهتف عرفاناً بفضلها قائلاً:

هذي دماكَ على فَمي تتكلم
ماذا يقَول الشّعرُ إن نطَق الدم
قُل للدماء وقَد أُريقت عنوة
لا طاب بعدك مشرب او مطعم
كُتبتْ على لوحِ الخلود وصيرت
لَحَناً، فَم الدنيا بها يترنم[٤٠٠]

لقد أرتوت أرض كربلاء بدم سيد الشهداء ثم أينعت أجيالاً من الموحدين الأفذاذ الذين لبسوا قلوبهم على الدروع يجودون بالنفس دفاعاً عن حياض الإسلام الحنيف، وتلك هي السمة البارزة لخطّ التوحيد الحسيني يشهد له العدو قبل الحليف.

رغم ما تقدّم من نصوص شرعيّة لمراسمِ الزيارة متشحةً بأُطرِ التوحيد الإلهي نرى أن قوماً متأسلمين جلُّ شغلهمً تكفير كل من يتبرك بقبور الأولياء بدعوى الشرك والضلال، وهم من شذّاذ آفاق الأرض جمعتهم أرض نجد يقودهم محمد بن عبد الوهّاب (القرن الثاني عشر الهجري)؛ لإعلان تجديد مذهب التكفير باسم مذهب السلف الصالح أحياء لفكر أحمد بن تيمية الحراني (القرن الثامن الهجري) المعروف بولائه الأموي ونسبه اليهودي.

---

[٣٩٩] سورة التوبة:١٠٩

[٤٠٠] القصيدة للشاعر: عبد الحسن زلزله، أُلقيتْ في الصَّحن الكاظمي الشريف في منتصف الاربعينيات من القرن الماضي، ينظَر: منتدى الكفيل الالكتروني.

لقد أدعى الوهابي أن تشييد المساجد في مراقد الأنبياء والأولياء يعتبر من أعظم الكبائر وهو على حدّ الشرك -بحسب عقيدته- فضلاً عن حرمة طلب الحوائج بالدعاء والتضرعَ في تلك المساجد التي تعد من الكبائر، فقد تناسى هؤلاء أن مرقد رسول اللهﷺ كان ولازال جزءاً من المسجد النبوي الشريف، اذ كان في عهدهﷺ ذلك البيت المتصل بالمسجد يدخله من باب بيتهﷺ وقد أوصى أن يدفن في بيتهﷺ مع علمه باتصاله مع المسجد، والشواهد كثيرة تدل على أن عقائد الوهابية تخالف الثقلين من كتاب وعترة وما وصلنا من آثار وشواهد حية لا غبار عليها.

المطلب الثاني- أثر تجلّي دلالة النبوة والخلافة

بعد أن أستأذن الزائر ولوج حرم ولي الله وحبيبه متسربلاً برداء التوحيد ومتحلياً بصفات الخاشع الوله للقاء معشوقه بلهفة وشوقٍ لمولاه الذي غيبه الدهر الخؤون في غياهب رمضاء الكربِ والبلاء، وبعد أن تجلّت له صفات خالقه بجمالها وجلالها فعاهده أن يكون من أهل طاعته، والداعية الى دينه الحنيف متوكّلاً عليه وصابراً محتسباً؛ لكي يكون من حزبه ويأذن له في الدخول الى حرم وليه بنفسٍ مطمئنة وقلبٍ خاشع وعينٍ دامعة على من سفك دمه ظلماً، وهتك حريمه عدواناً من غير جرمٍ سوى قول كلمة التوحيد وإرادة الإصلاح في أُمة جده المصطفى.

تستمر نصوص الزيارة في بيان مسيرة العقيدة حيث تتجلّى منها أنوار النبوة في فواتح نصوصها المباركة، فيبتدأ الزائر قبل السلام على إمامه المعصوم بالاعتراف بحقيقة مقام الأنبياء والتصديق برسالاتهم حيث يقول: "**لقد جاءت رسل ربنا بالحق**"[٤٠١]، ثم يشرع بالسلام على أنبياء اللهعليهم السلام من أولهم الى خاتمهم كما ورد في زيارة الناحية المقدسة ما أقتصر بذكره على أولي العزم من

[٤٠١] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٤٤.

الرسل وبعض الأنبياء مما ورد في الزيارة: "**السَّلام على آدم صَفْوة الله من خَليقَته، ... السَّلام على نُوح المجاب في دَعوته، .... السَّلام على إبْراهيم الَّذي حباه الله بخُلَّته، السَّلام على إسماعيل الَّذي فَداهُ الله بذبح عظيم من جنَّته، ... السَّلام عَلى موسى الَّذي فَلَق الله البحر لَهُ بقُدرته، ... السَّلام علىَ يحيى الَّذي أزْلَفَهُ الله بشَهادته، السَّلام على عيسى روح الله وكَلمته. السَّلام على محمَّدٍ حبيب الله وصفْوَته**"[٤٠٢]، إن السلاَم من أسماء اللّه سبحَانَه وهو تحية الإسلام، وإن التسلَيم لقضاَء الله وقدره هو مطية التعظيم والتكريم، وقد ورد في الأثر استحباب البدء بالسلام وإفشاءه، والسلام هنا يعني البشرى بنصرة الدين وطلب السلامة في الدنيا والنعيم في الآخرة، فالسلام يعني أن لا شك في حياة الأنبياء والأوصياء بعد موتهم فإنهم أحياء عند ربهم في مقام القرب وعرش القدس يرزقون بموائد العلم والمعرفة ويرون مقام شيعتهم ومواليهم، فيسمعون كلامهم، ويردون سلامهم كما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة من الإقرار بحياتهم والاعتراف بشهادتهم على الخلق "**أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء**"[٤٠٣]، فعلى الزائر أن يؤمن بحياتهم وحضورهم، وإحاطة علمهم بأحوال مواليهم، وما يصدر عنهم من حركات وأقوال، فينبغي على الزائر التزام الأدب عند زيارتهم، ويتواضع في حضرتهم بخشوع كالعبد الذليل الواقف بين يدي مولاه الجليل، فتلك هي عبودية الطاعة لله تعالى، فمن أطاع أئمة الهدى فقد أطاع الله سبحانه.[٤٠٤]

إن وحدة الغاية وهدف الهداية هو الجامع المشترك بين حركة الأنبياء والمرسلين مع حركة الإمام الحسين عليه السلام، وهو جعل إلهي مخصوص بأشخاص قد اصطفاهم الله بحكمته وأختارهم بعلمه وجعلهم نبراس من نور يهدي الى

---

[٤٠٢] محمد بن جعفر المعروف بإبن المشهدي، المزار الكبير، ص٤٩٧.

[٤٠٣] عن الإمام الصادق والباقر عليهما السلام قالا: (واللهِ لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا: (فما لنا من شافعين * ولا صديقٍ حميمٍ)، ينظر: تفسير البرهان ج ٣، ص ١٨٧، ح١.

[٤٠٤] ينظر: الملا حبيب الله الشريف الكاشاني، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث، ص٢٣-٢٥.

الحق وصراط مستقيم كما قال تعالى: ((**وجعلْنَاهُمْ أَئمَّةً يهدُونَ بِأَمرنَا وأَوحينَا إِلَيهِم فِعلَ الْخَيرَاتِ وإِقَامَ الصَّلَاةِ وإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**))[٤٠٥].

مقصد إثبات النبوة

هناك عدة مقدمات لإثبات ضرورة مبدأ النبوة وأهميته في حياة الإنسانية وهي كما يلي:

الأولى- إن الإنسان اجتماعي بطبعه ويتعذر استمرار حياته وديمومة نسله لوحده، بل لابد له من عائلة تعيش ضمن محيط يوفر لها احتياجاتها الضرورية.

الثانية- إن اجتماع الناس ضمن محيط واحد يفضي الى الخلاف والنزاع؛ لاختلاف الأهواء وتضارب المصالح، فلابد من قانون ينظم حياتهم ويحل مشاكلهم بعدلٍ وإنصاف.

الثالثة- إن هذا القانون لابد أن يكون متقناً وحكيماً، ولا يستطيع الإنسان ان يضعه الّا أن يكون كاملاً ومعصوماً عن الخطأ، وعالماً بجميع أحوال الناس وطبائعهم وما ينفعهم ويضرهم.

الرابعة- إن شرط العدل والعلم المطلق والكمال في الصفات لا يتحقق الّا بالخالق للناس والعالم بجزئيات أحوالهم ودقائقها.

الخامسة- إن الخالق تعالى لا يمكن رؤيته ولا تدركه حواس الناس؛ لمحدودية قدرة الحواس وقصورها في إدراك اللامحدود واللامتناهي في وجوده وعظمته، فلا يمكن معها التوصل الى قانونه المنظم لشؤونهم مباشرة وبلا واسطة.

السادسة- لابد أن يختص الله سبحانه أفضل عباده وأخلصهم بمهمة حمل أمانة هذا القانون وايصاله للناس بتأييد المعجزات؛ لكي يصل لطف الله تعالى الى عباده وتسعهم رحمته بسفارة أنبيائه إليهم.[٤٠٦]

---

[٤٠٥] سورة الأنبياء:٧٣

وفي ضوء الرؤية القرآنية يمكن التدرج مع الآيات الكريمة لبيان تلك المقدمات المنتجة الى ضرورة النبوة في حياة الإنسانية، فقد أفصح القرآن الكريم عن حقيقة تأريخية كانت بمثابة العلّة لبعثة الأنبياء، وهي سنة الاختلاف بين الناس ووقوع النزاع بينهم حال اجتماعهم، وهو ما نقرأه في قوله تعالى: ((**كان النّاس أُمَّةً واحدةً فبعث الله النَّبيين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الْكتاب بالْحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاّ الّذين أُوتوه من بعد ما جآءتهم الْبيّنات بغْيا بينهم...**))[٤٠٧] فهنا اختلافان يخصّ الأول أمور الدنيا (فيما اختلفوا فيه) قبل البعثة، ويتعلق الثاني بمبدأ أمور الدين والنبوة (وما اختلف فيه) بعد البعثة[٤٠٨]، وكانت الحاجة لبعثة الأنبياء من جنس البشر وليس من غيره من ملائكة أو جن؛ لأجل حصول التماهي ورفع الغرابة والتردد من معاشرة غير البشر، وكان من خصوصية النبي هو تحمّله لقاء الوحي الإلهي وتلّقي الشريعة المنظمة لحياة الناس، فلا يمكن إدراك الحقائق الإلهية الّا من خلال طرقٍ قد بينها الذكر الحكيم في قوله تعالى: ((**وما كان لبشرٍ أن يكلّمه الله إلّا وحيا أو من وراء حجابٍ أو يرسل رسولًا فيوحي بإذْنه ما يشاء ۚ إنّه عليٌّ حكيم**))[٤٠٩]، فلا سفارة الهية الّا من خلال إما إلقاء في منام أو إلهاما (وحيا) وإما بواسطة كما كلم موسى نبيه عليه السلام من وراء شجرة، أو يرسل الله من ملائكته رسولا كجبرائيل عليه السلام، فيوحي اليه ما يشاء ربه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي.[٤١٠]

إن من أعظم دلائل صدق الأنبياء من بعد زكاتهم بين قومهم هي المعاجز والكرامات الخارقة لما اعتاد فعلها البشر، فلكل رسول أو نبي معجزة خاصة به تناسب ما أشتهر به أهل زمانه من علم أو عمل، ومن دلائل صدق

---

[٤٠٦] ينظر: مرتضى المطهري، النبوة، ص٨-١٢؛ ومحمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٢، ص١٤٢-١٤٣.
[٤٠٧] سورة البقرة:٢١٣
[٤٠٨] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، تفسر الميزان، ج١١، ص٦١.
[٤٠٩] سورة الشورى:٥١
[٤١٠] ينظر: تفسير الطبري، ج٢١، ص٥٥٩.

الأنبياء وحدة دعوتهم الى التوحيد الإلهي مع اختلاف أزمنتهم وأماكنهم، وهذا ما يمنع العقل من الحكم بتواطئهم على وحدة المدعى واتفاقهم عليه، وأن مصدر دعوتهم واحدة من لدن الواحد الأحد جل جلاله.

إن أهم دلائل صدق نبينا الخاتم هو معجزة القرآن الكريم الذي تحدى جميع البلغاء والعلماء بالإتيان بسورة من مثله محكمة في بيانها عميقة في دلالتها، وهذه المعجزة قد دلّت أيضا على صدق جميع الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا نبينا الأكرم، حيث وثقت سيرتهم العطرة بقصص الحق ومقارعة المستكبرين.

إن أدلة القرآن الكريم في إثبات نبوة نبينا الأكرم هي أدلة عقلية لا أدلة ادعائية، فهي تقنع طالب الحقيقة ومريد البرهان بأقصر الطرق وأسهلها لعوام الناس فضلاً عن خواصهم بعيدا عن تعقيدات الفلسفة ومتاهاتها، وإذا صحت نبوة نبينا الخاتم عقلاً صحت عقيدة التوحيد الإسلامية ورجحت على سائر الأديان السماوية، وأن سعادة الدارين والنجاة تكمن في سلوك سبيل الإسلام لا في سواه.[٤١١]

لقد كانت حياة نبينا الأكرم زاخرة بالمكرمات رغم قساوة الظروف التي عاشها ص وأهل بيته وصحبه الكرام، فبدأ دعوته بثلة قليلة من المستضعفين بين كثير من الأعداء الأقوياء، حتى تنامت قوة الإسلام وكثُر عديد المؤمنين وزادت بقاع الأرض للمسلمين، وهذه من دلائل تأييد الله ﷻ لنبيه الأكرم ﷺ وتسديدا لأوليائه الصاحين في نشر تعاليم الدين الحنيف، والتي دان لها الكثير من العقلاء بالفضل في حكمة شريعتها الغراء ومنافعها للناس أجمعين.

مقصد إثبات الخلافة

إن هذا الحرم هو حرم وريث بيت النبوة وسليل آل رسالة الله تعالى من لدن الأب آدم عليه السلام الى الخاتم محمد ﷺ، وهذا ما يتجلّى في مقدمة

---

[٤١١] ينظر: فاضل السامرائي، نبوة محمد من الشك الى اليقين، ص٨-٩.

نصّ زيارة وارث من قول المعصوم بحقّه: "**ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ آدَمَ صفْوَةِ اللهِ، ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبِي اللهِ، ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ إبْراهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ موسىٰ كَلِيمِ اللهِ، ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ عِيسَىٰ رُوحِ اللهِ، ٱلسَّلَامَ عَلَيكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللهِ**"[٤١٢]، فحركة الثورة الحسينية تنطلق من حركة الأنبياء والمرسلين وتستمد فكرها من وحي عقيدتها نصرة لرسالتها.

فأصل معنى الإرث لُغةً هو الميراث المادي يثْبت حقيقةً بالتبادر الذهني، وهو انتقال التركة للورثة، فأصل الإرث إنما يصدق في الأعيان المادية، ويُطلق مجازاً في المجد وغيره،[٤١٣] فإذا أُطلق في العلم كان معناه مجازي، كالاستعارة في المشهور: "العلماء ورثة الأنبياء"،[٤١٤]وأما معنى الإرث الأعم من الحقيقة والمجاز فيما يتعلّق بما ترك الأنبياء من إرث لأوصيائهم بوجه خاص كما ورد في الشاهد القرآني للتوريث بين أنبياء بني إسرائيل في قوله ﷻ: ﴿**وورث سليمان داوود**﴾،[٤١٥]وشاهد من حكاية عن النبي زكريا عليه السلام قوله ﷻ: ﴿**فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا**[٤١٦]﴾، فقد اختلف فيه علماء جمهور المسلمين فيما بينهم، فالبعض رأى أن المراد من الإرث هو إرث المال، "**فقال الحسن المال لأن النبوة عطية مبتدأه ولا تورث**"،[٤١٧] وتمسك الأغلب منهم بمعنى الملك السياسي والخلافة، وذهب الأمامية الى الجمع بينهما؟ مع اتفاقهم على أن النبوة لا تورث إنما هي جعل الهي.

إن أكثر مفسري جمهور المسلمين قالوا: أن معنى الإرث هو الملك الذي أختص به لخليفته دون المال، إذ ورث النبيُّ سليمان عليه السلام مقام الملك

---

[٤١٢] عباس القمي، مصدر سابق، ص٤٤٥. زيارة وارث.
[٤١٣] ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج١٥، ص٨٥؛ وأيضاً: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص٦٧١؛ وغيرهما.
[٤١٤] ينظر، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تفسير التبيان، ج٨، ص٨٢-٨٣.
[٤١٥] سورة النمل:١٦
[٤١٦] سورة مريم:٥-٦
[٤١٧] الرازي، الفخر محمد بن عمر، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.

خاصةً من أبيه داود عليه السلام من بين تسعة عشر ولد، وكان داود أكثر تعبداً لربّه، وسليمان أحكم قضاء وأكثر شكراً،[٤١٨] فلا مانع هنا من الجمع بين المال والملك مع بيان أهمية الملك، ولا حجة لهم في حصر الإرث بالملك دون المال سوى ادعاء وحدة السياق تأويلاً، وخبر آحاد لا يصلح به التخصيص ما ثبت عمومه بالدليل القطعي، أو قولاً بالنسخ لشريعة من قبلنا نقلاً عن اجتهاد أُمِ المؤمنين.[٤١٩]

إن النبي زكريا عليه السلام لم يقصد في قوله عليه السلام: ((يرثني ويرث من آل يعقوب)) معنى توريث ولده يحيى عليه السلام الملك وهو لا ملك له ولا حكم وقتها، فكيف أُخذَ ببعض القرآن تأويلاً وأُعرِض عن البعض الآخر، وهذا ما ورد الذم فيه صريحاً في كتاب الله المجيد في قوله عز وجل: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**[٤٢٠]﴾، وقوله عز وجل: ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**[٤٢١]﴾.

إن اختلاف مفسري العامة في حكمِ إرث أموال الأنبياء بين قلة مثبتة له، وبين كثرة منكرة له بلوي عنق النص مقتصرة على توريث العلم والملك دون المال دافعه الانتصار لرأي عقيدتهم بالذي منع حق فاطمة الزهراء عليها السلام من إرث أبيها المختار برواية مختلقة، فقد صرح أكابر مفسريهم أن القول بوراثة مال وملك الأنبياء معاً هو الأسلم، ولا يبطله سوى المروي (نحن معاشر الأنبياء لا نورث..)[٤٢٢]، فلقد خالف قناعته المنبثقة عن علمٍ ودرايةٍ بخبر آحاد لا يصلح أن يخصص به عموم القرآن ولا ينسخه؛ بسبب تعصبه لمذهبه بدل التجرُّد وعدم الانحياز في منهج بحثه العلمي.

---

[٤١٨] ينظر: الزمخشري، تفسير الكشّاف، ج٤، ص٤٣٨؛ وغيره من أغلب مفسري العامة.
[٤١٩] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٢٣٦.
[٤٢٠] سورة البقرة:٨٥
[٤٢١] سورة آل عمران:٧
[٤٢٢] ينظر: الرازي، الفخر أبو عبد الله محمد بن عمر البكري، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.

إن خلاصة القول يجده المتأمل فيما تقرر من تفسير الآية مفاده: "**واختلفوا فيما ورِثَ منه، فقال اصحابنا إنّه ورِثَ المال والحكم. وقال مخالفونا: إنّه ورث الحكم، لقوله ﷺ (نحن معاشر الانبياء لا نورث مالاً..)، وهو خبر آحاد لا يخصص عموماً قد ثبت.**"[٤٢٣] أي: أن الإرث والتوارث بين الآباء والأبناء عموماً ثابتٌ بدليل قطعيٍ بلا استثناء للأنبياء بدليل معتبر، سوى خبرٍ واحد لا يصلح بتخصيص أخبار متواترة؛ لسقوطه عن الاعتبار الشرعي عند جميع فقهاء الإسلام، ولا ينسخ حكماً ثابتاً في الاسلام، فقد تسالموا على رفض خبر الآحاد المعارض للنصِ القرآني الصريح، وما تواتر من الأخبار المعتبرة، وإن كان صحيحاً في سنده فضلاً عن كونه ضعيفا.

إن آيات توريث الأنبياء مطلقة غير مقيدة، وأن الإرث المقصود في الآية المباركة هو إرث المال والملك، وأما وراثة النبوة والعلم فقد يرد إشكال بثبوتهما خصوصاً بين الأنبياء، وهو أن النبوة لا تقبل الوراثة لأنها بالتعيين الإلهي لا بالانتقال، والعلم يقبل الانتقال إن كان فكرياً بالاكتساب، والعلم الذي يختص به الأنبياء والرسل حضوري، فهو كرامة الهية بالإلهام والهبة، وليس من جنس ما يكتسب بالفكر، فغير النبي كالوصي قد يرث العلم من النبي لكنَّ النبيَّ لا يرث علمه من نبيٍ آخر ولا من غير نبي.[٤٢٤]والثابت تاريخياً أن نبي الله سليمان كان أعلم من أبيه داود عليهما السلام في مسائل القضاء والحكم بين الناس، وهو ما نقرأه في القرآن الكريم صراحةً: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾[٤٢٥]، حيث كان النبي سليمان عليه السلام حكمه أصوب وملكه أوسع.

إذاً يمكن القول أنَّ الإمام الحسين عليه السلام بصفته الوصي قد ورِثَ العلم والحكم من جدّه النبيِ الأكرم، فأما العلم يكون بالوراثة بصفته الوصي أو بالتلقين الخاص من لدن جدّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يزقّ أهل بيته بالعلم زقّاً، فقد ورد عن الامام الباقر علَيه السلام قوله: "**وأن الله جمع لمحمدٍ ﷺ علم**

---

[٤٢٣] الطوسي، محمد بن الحسن، تفسير التبيان، ج٨، ص٨٣.
[٤٢٤] ينظر: محمد حسين الطبطبائي، تفسير الميزان، ج١٥، ص٣٤٩.
[٤٢٥] سورة الأنبياء:٧٩

النبيين بأسره، وأن رسول الله صير ذلك كلّه عند أمير المؤمنين"[٤٢٦]، وأما الحكم والخلافة فقد ثُبت بالوصيّة المتعينة بالأمر الالهي بجعله عليه السلام حجة الله على الخلق ، فولايته ثَابتةٌ بأمر الله تعالى الذي خص ذرية النبي إبراهيم عليه السلام بالإمامة وجعلها في الصالحين من ذريته دون الظالمين كما قال تعالى: "**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**"[٤٢٧]

إن مَا يهم الزائر في مَعنى الإرَث هو علمه أن صاحب المرقد هو الوصي والوارث الحقيقي لمقام الحكم وخلافة جده النبي الأكرم وسائر الأنبياء، وأن حجيته على خلقه نابعة من مقام نبوته الخاتمة، فمن أعتقد بسمو مقام خلافة هذا الامام في زيارته التزم عقائدياً بثبوت نبوة جميع الأنبياء والمرسلين، فهم خلفاء الله تعالى في أرضه وأنهم مصدر ثبوت حجية إتباعه وأصل شرعية ولائه عليه السلام، وهو ما صرحت به الكثير من الأخبار كما في زيارة الأربعين حيث ورد ما نصه: **(السَّلامُ على وَلِي الله وحَبِيبه، السَّلام على خَلِيل الله ونَجِيبه، السَّلام على صفي الله وابن صفيه)**[٤٢٨]، حيثَ أن الأئمة ورثوا عَلم أُولَي العَزم من الرُّسل وجميعَ الأنبَياء، وأنهمَ أُمناء الله في أرضه وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب[٤٢٩].

إن تحمل ثُقل مهام النبوَّة بصفة الخلافة الشرعية يقتضي لياقة بدنية وسعة في العلم ورحابة صدر وسمو روحي يتناسب وتلك المهام الجسام والخطيرة، فلقد تعرض الأنبياء والمرسلون لكثير من المخاطر في مسيرتهم الاصلاحية وكادت أن تؤدي بهم الى القتل أو أدت ببعضهم إليه كالنبي يحيى الشهيد عليه السلام، فتلك الخلافة لا يتحمل مهامها الجسام الّا من كان قد تربى في حجر النبوّة ورضع من ثديّ الإيمان وتغذّا من كفّ جدّه الأكرم،

---

[٤٢٦] أبو جعفر محمد الصفار، بصائر الدرجات، ص ١١٧، ح ١٢.
[٤٢٧] سورة البقرة:١٢٤
[٤٢٨] عباس القمي، مصدر سابق، ص٥٦٨.
[٤٢٩] ينظر: الصفّار، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٨ الباب الثاني.

فكانعليه السلام من أهل بيت النبي حقّاً بالنسب وبسبب الإتباع المحض لشريعة الإسلام والانصهار في بوتقته، فالزائر يشهد بكل فخرٍ في سلامه أن هذا الإمامعليه السلام هو بضعة من نبيه الأكرم وصفوته وحبيبه فيخاطبه في زيارته قائلاً: "**السَّلَام عَلَيكُم يا أَهْل بَيْت النُّبوَّة وموضع الرسالَة ومختَلف الْملائكَة ومهبطَ الْوحي ومعْدنَ الرَّحْمَة و ... وسلاَلَةَ النَّبيين وصفْوةَ الْمرسلين وعتْرَةَ خيرة رب الْعَالَمين ورَحمةُ اللَّه وبركَاته**".[٤٣٠] أي: أن النبي منكم، والرسالة نزلت في بيوتكم، فأنتم أعلم بما أُرسل إليهصلى الله عليه وآله وسلم، فإن أهل البيت أعرف بما فيه. وقد تأتي النبوة بمعنى الرفعة بلحاظ اقتران الرسالة مع الرفعة التي أعطاها الله لهم مع العلم بتحملهم لجميع الرسالات، فليس كل أحد يكون قابلاً للأسرار الإلهية، وكانوا قابلين لدرك الحقائق الإلهية، حيث كان النبي الاكرم ينفرد بأهل بيته وهو الامام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ليهبهم علوماً جما،[٤٣١]فلقد اقتضت سنة الله تعالى بحكمته أن يكون أُمناء شرعه وخلفاء أنبيائه على الأمة من ذريتهم، وكان تكليفهم هو حفظ بيضة الدين، وتسليتهم فيما أخبرهم جدهم الأعظم صلى الله عليه وآله الناطق عن وحي السماء من المزايا و المصالح بحيث لو لا التوطين على التضحية لذهب الدين أدراج المنكرات والأضاليل، ولا سبيل إلى معارضتهم فيما أطلعهم الله عليه من السر المكنون وعرفهم تلك الأهمية الملحوظة لديه عز شأنه، بل نؤمن بشرعية مواقفهم وحكمة تضحياتهم ونسلّم بكل ما صدر عنهم تسليما.[٤٣٢]

لقد ورث الامام الحسين من النبي آدمعليهما السلام الاصطفاء الإلهي لحمل أمانة إحياء الدين بعد أن حاول آل أمية طمس آثاره، وهو ما سطرته الزيارة في نصها الوارد بقول: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله) وصفوة الله خيرة الله أي مصطفاه ومختاره من خلقه، وفي بعض الأخبار سمي الصفا صفا لأن

---

[٤٣٠] عباس القمي، مصدر سابق، ص٥٤٥. زيارة الجامعة الكبيرة
[٤٣١] ينظر: محمد تقي المجلسي، شرح زيارة الجامعة الكبيرة، ص٢٠-٢١.
[٤٣٢] ينظر: عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسينعليه السلام، ص٥٥.

المصطفى آدم عليه السلام هبط عليه فقطع للجبل اسم من أسماء آدم[٤٣٣]، وكان الامام الحسين مصداقا لقوله تعالى: ((**إِنَّ اللَّه اصطَفَىٰ آدَم ونُوحا وآل إِبْراهيم وآل عمران علَى الْعالَمين**))[٤٣٤]، فهو عليه السلام الصفوة الباقية من آل إبراهيم وآخرَ أصحابَ الكساء الخمسَ عليهم الصلاة والسلام. كما ورث عليه السلام حمل رسالة الدعوة النبوية بعزمٍ واقتدار كما تصدى لحملها من قبل نبي الله نوح عليه السلام كما ورد في الزيارة (السلام عليك يا وارث نوح نبي الله) وهو أول أُولي العزم من الرسل، وثاني أب للبشرية بعد حدوث الطوفان العظيم، وكان له مقاماً عظيماً عند الله ووجاهة كبيرة ورثها منه الامام الحسين، وصار منهجه عليه السلام كسفينة نوحٍ ينجو من ركبها ويهلك من تخلّف عنها، وهو ما صرح به صاحب ثورة كربلاء في قوله: "**من لَحق بنا استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح**"[٤٣٥].

ثم تصل النوبة الى مستوى أعلى من الوراثة حين تنصُّ الزيارة على: (السلام على وارث إبراهيم خليل الله)، والخليل من الخلّة، وهي المودة البالغة في الإخلاص والصداقة، وتعني النبوة الخاصة أو الفقير الى الله والمحتاج إليه، أو عبداً مصطفى له وكثير الخلوص والمودة لله تعالى،[٤٣٦]فلقد أجتاز الخليل عليه السلام جميع الاختبارات الالهية بنجاح وطمأنينة، وكان مقام الخلّة مقدمة لتسنم مقام الإمامة، والوراثة هنا تدلُّ على عمق العلاقة بين الامام الحسين وربه جل جلاله، فهو عليه السلام الذي ضحى بنفسه الزكية لأجل ديمومة دين الإسلام حين تقاعس أسياد الجمع عن معارضة طاغوت زمانهم، وكان جل دعائه عليه السلام نيل رضا الله والاحتباء بخلته كما ورد عنه عليه السلام: "**اللّهُمَّ، أَنْتَ ثِقَتي في كُلِ كَرْبٍ، وَأَنْتَ رجائي في كُلِ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لي في كُلِ**

---

[٤٣٣] ينظر: الملا حبيب الله الكاشاني، جنة الحوادث، ص٥٥.
[٤٣٤] سورة آل عمران:٣٣
[٤٣٥] محمد تقي المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ٣٣٠.
[٤٣٦] ينظر، فضل بن الحسن الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج٣، ص١٤٦.

أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وعدَّةٌ، ... صبراً على قَضائكَ يا رَبِّ لا إلهَ سواكَ، يا غياثَ الْمستغيثين،... إن كان هذا يرضيك فخذ حتىَ ترضى"[٤٣٧].

إن سلّم الكمال الإلهي لا يقنع بمطلق التكامل في قاموس أهل بيت النبوة بل يكون مطلقاً بلا حد لكمالهم، فقد ورث الامام الحسين كل كمال لأنبياء الله ورسله الّا النبوة؛ لأن الإسلام هو خاتمة الأديان والشرائع ومعه أنقطع وحي التبليغ مع استمراره بالتأييد والنصرة لأولياء وأصفيائه،[٤٣٨] فقد ورث الامام الحسين نبي الله موسى ما بلغه من كمال وكرامة التكليم الإلهي كما ورد في الزيارة (السلام عليك يا وارث موسى كليم الله)، ومعنى كونه تعالى متكلّماً أنّه موجد وخالق للحروف المسموعة المنتظمة في بعض الأجسام كالشجرة ونحوها[٤٣٩]، فقد روي مناجاة للإمام الحسين عليه السلام مع ربه عند قبر جدته خديجة عليها السلام يقول فيها:

يا رب يا رب انت مولاه فارحم عبيداً اليك ملجاه

يا ذا المعالي عليك معتمدي طوبى لمن كنت أنت مولاه...

فنودي:

لبيك عبدي وأنت في كنفي' وكلّما قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتي' فحسبك الصوت قد سمعناه...[٤٤٠]

لقد حبا الله عز وجل الامام الحسين عليه السلام منزلةً عظيمةً يغبطه بفضلها الأولون والآخرون، فكان عليه السلام هو الوارث لكرامة أنبيائه ورسله بعد أن أخلص في عبادته وجهاده، وكان الوارث للنبي عيسى عليهما السلام كرامة دعوة الإصلاح في أمة جده كما ورد في الزيارة (السلام عليك يا وارث عيسى روح الله)، ومعنى الروح

---

[٤٣٧] مقاطع من أدعية الامام الحسين دعا بها يوم عاشوراء في مواطن مختلفة، ينظر: عبد الرزاق المقرم، مقتل الامام الحسين، ص٣٣-٤١.

[٤٣٨] هذا المعنى مستوحى من حديث المنزلة الذي رواه الخاصة والعامة بأسانيد معتبرة، ينظر: علي الحسيني الميلاني، حديث المنزلة، ص٥-٤٠ن مركز الأبحاث العقائدية.

[٤٣٩] ينظر: العلامة الحسن بن يوسف الحلي، الباب الحادي عشر، ص٣٩، المقام الثاني.

[٤٤٠] ينظر: مناقب ال ابي طالب لابن شهر اشوب، ج٣ ص٢٤٤؛ والبحار للمجلسي، ج٤٤ ص١٩٣؛ والعوالم الامام الحسين عليه السلام للبحراني ص٦٨.

أنه عليه السلام كان مظهراً للروح الشريفة التي نفخها فيه، أو أنه مظهر آثار صفات الله وعجيب صنعه في خلقه، وأن الامام الحسين عليه السلام هو مظهر لروح القدس بما أيده الله تعالى بكرامته والذي كان يتجلّى فيه أنبيائه بصورته، وفي محمد وآله بحقيقته[٤٤١]، فكما جاهد عليه السلام وضحى بنفسه وأهل بيته وصحبه في سبيل ديمومة الدين الإسلامي، فقد تجلّت فيه عليه السلام أنوار قدس الله سبحانه وجعل أفئدة الناس تهوي إليه وتستنير بنور منهجه.

ثم كانت وراثة جده الخاتم مسك ختام وراثة جميع الأنبياء والمرسلين الذي حباه الله تعالى بمنزل القرب وخصه بالمحبة، فهو حبيب الله وخالصته من خلقه والمخصوص بسلام الله وصلاته، وامتثالاً لإرادته يكون السلام على وريثه بمنطق (السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله)، فكمالات جميع الأنبياء قد ورثها وصي المختار حقّاً، وأنه عليه السلام جامع لجميع الكمالات الروحية والجسدية عدا النبوة المستعاضة بالولاية والخلافة لخليفة الله في أرضه وحجته على عباده[٤٤٢]، فالخلافة أمرها خطير يكمن في دورها الريادي الضامن لديمومة الدين الإسلامي موحداً بكلمة سواء لا طائفية مذهبية فيها، بل كلمة التوحيد ووحدة الكلمة هي السائدة في ساحة فكر المسلمين.

إذاً ينبغي على المؤمن الزائر أن يعترف بفضل أئمة الهدى من الأوصياء والاقتداء بسيرتهم معلناً ولائه لهم بكل ود ومحبة، وراضياً بقضاء الله وقدره فيهم بتسليم وإذعان، فيخاطبهم في زيارته قائلاً: "**وبموالاتكم تُقْبل الطَّاعَةُ الْمفْتَرضَةُ ولَكُم الْمودَّةُ الْواجبَةُ والدَّرجات الرَّفيعةُ والْمقَام الْمحمود والْمقَام الْمعلُوم عنْدَ اللَّه عزوجل.** "[٤٤٣].

فَإن النعم الحقيقية من العلوم والكمالات رشحت منهم إلى الأمة، والنعم الظاهرة نزلت بسببهم، فهم أولياء كل نعمة من نعم الله تعالى على العباد، كما روي في الاخبار المتواترة أن بهم تنزل السماء المطر، وبهم تنبت الأرض

---

[٤٤١] ينظر: الملا حبيب الله الكاشاني، جنة الحوادث، ص٧١.
[٤٤٢] ينظر: الملا حبيب الله الكاشاني، جنة الحوادث، ص٧٩-٨٠.
[٤٤٣] عباس القمي، مصدر سابق، ص٥٤٦. زيارة الجامعة الكبيرة.

بركاتها، وإنه لم يعرف ولا يعرف الإيمان إلّا منهم ولا يحصل بدون ولايتهم، وهذا يدلُّ على عصمتهم بدليل آية التطهير من حيث يقبح من الحكيم الأمر بإطاعة غير المعصوم؛ للزوم التغرير وتوريط العباد بالمخالفة مع ورود الأخبار المتواترة من العامة والخاصة أنها نزلت فيهم، **(وعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ به رُسُلُه وهَبِطَتْ به ملائكته وإلَى جَدّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ... ولَكُمُ الْمودَّةُ الْواجِبةُ والدَّرجاتُ الرَّفِيعةُ والْمقام الْمحمود والْمقَام الْمعلُوم)**، والراد عليهم في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدا بعد واحد في سلسة ذهبية ذكرها يحيى الموتى حياة إيمانية طيبة، وتكون خاتمة الدنيا باستخلاف المؤمنين في الأرض كما وعد جل جلاله: **((ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ))**[٤٤٤]، حيث يمكنهم الله تعالى في نشر دينه الحق بالعدل والقسط بين الناس في جميع أنحاء الأرض.

المطلب الثالث– أثر تجلّي عقيدة المعاد الأخروي

إن العدل والإنصاف من أهم أسس التعامل بين الناس في الإسلام، فالحكمة تقول: (العدل أساس الملك)، فلا تسود بلاد ولا تتقدم، ولا تقوم حضارة أو تخلُد من دون تفشي العدل والمساواة، فقد أكد البيان القرآني على هذه الدعامة بقوله تعالى: **((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))**[٤٤٥]، وإن ضاعت حقوق العباد لفترة، وإن ساد الظالمون وسحق المظلومون لحقبة، فإن من صفات الله الحسنى هو العدل، فلا يظلم أحداً، ويجازي الظالمين وينصف المظلومين ولو بعد حين في يومٍ لا مفر منه يرجع فيه الحق الى نصابه، وهذا اليوم إما أن يكون مقيداً قبل نهاية الدنيا حيث تقوم دولة الحق الإلهي، وإما

---

[٤٤٤] سوة الأنبياء:١٠٥
[٤٤٥] سورة النحل:٩٠

مطلقاً في الآخرة بعد الموت حيث الحساب الأكبر في يوم القيامة ((**ويوم تَقُوم السَّاعَةُ يومئذٍ يخسر الْمبطلُونَ**))[٤٤٦]، وهو يوم الوفاء والحصاد من مزرعة الدنيا ((**ووفّيت كُلُّ نَفْس مَّا كَسبت وهم لا يظْلَمون**))[٤٤٧].

إن من دواعي المعاد الأخروي هو تطبيق مبدأ العدل الإلهي بين الناس في الآخرة بعد رحلة الدنيا الفانية، وهذا الايمان يمنحنا السعادة في هذه الدنيا؛ لأن هذا الإيمان ينبهنا بنتائج أعمالنا وأقوالنا صغيرها وكبيرها، فهي لا تندثر آثارها في الحياة الدنيا، بل تبقى موثّقة لتحتسب في ميزان يوم الآخرة بحسب نظرية تجسم الأعمال وخلقها؛ لأن أعمالنا في هذه الدنيا سوف تكون أساس سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين في تلك الحياة، من هنا أكد القرآن الكريم على أن الإيمان باليوم الآخر أمر ضروري ولازم لسعادة البشر.[٤٤٨]

تستند عقيدة المعاد الى الاعتقاد بالمبدأ وأصل التوحيد الإلهي أولاً، ثم الاعتقاد بأصل النبوة ولازمها الخلافة أو الإمامة ثانيا، فلا يمكن للعقل بذاته الاستدلال على جزئيات عالم الآخرة وحقيقة المعاد من دون الرجوع الى الثقلين؛ لأن العقل حبيس الحواس الخمس التي تتوسط في حصول المعارف لدى العقل، والحواس محدودة في قدرة إدراكها بعالم الدنيا ضمن إطار المادة، فلا يمكنها إدراك ما وراء الطبيعة من المجردات، فيقتصر دور العقل الاستدلالي على قراءة النصوص المقدسة وتحليلها لمعرفة جزئيات عالم الآخرة. إن أثر التدين يستبان بالتوحيد والنبوة، وهذا الأثر قد يندثر بالغفلة عن لقاء الله تعالى ونسيان الحساب كما يظهر باستحضار المعاد ودوام تذكره.[٤٤٩]إذاً يرتبط الأثر الديني بعقيدة المعاد ارتباطا وثيقاً، فلا نفع للدين مع إنكار المعاد وإن أعتقد المرء بأصلي التوحيد والنبوة وغيرهما من المعارف الإسلامية.

---

[٤٤٦] سورة الجاثية:٢٧
[٤٤٧] سورة آل عمران:٢٥
[٤٤٨] ا ينظر: مرتضى مطهري، العدل الالهي، ص٢٤٥-٢٤٧.
[٤٤٩] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٤٨-٤٩.

لقد أتفق جمهور علماء الإسلام على حقيقة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام الذي لم يخرج في نهضته الكبرى طلباً لدنيا أو منصب، إنما كان الغاية من خروجه هو رفض تولّي مثل الفاسق يزيد لمنصب الهي لا يتناسب مع حاله جملة وتفصيلا، مع أن البيعة لا تكون الّا عن طواعية واختيار لا عن قوة إكراه وإجبار في حال شرعية ولاية الخليفة، فقد غض الامام علي عليه السلام طرفه عمن ترك بيعته وهي حقّه الشرعي بالنص والشورى كما لم يمنعهم العطاء[٤٥٠]، فلم يناجز الامام الحسين عليه السلام جيش يزيد الحرب بل طلب منهم أن يتركوه وشأنه يذهب لبلاد الله الواسعة بعيداً عن بيعة سلطانهم الظالم، مع ما له عليه السلام من مكانة عظيمة في الإسلام ومنزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد حباه الله عز وجل بالولاية واجتباه للخلافة وجعله حجةً على عباده، فقدم عليه السلام لأعدائه النصح وألقى عليهم الحجة بالغة ما يمنعهم عن التورط بسفك دمه الطاهر، وهو ما ذكرته نصوص الزيارة الواردة عن المعصوم بقوله: "**وأَعطَيتَه مواريثَ الأَنْبياءِ وجَعلْتَه حُجَّةً علَى خَلْقِكَ منَ الأَوْصياءِ، فَأَعذَرَ في الدُّعاءِ ومنَحَ النُّصحَ وبذَلَ مهجتَه فيكَ ليستَنْقذَ عبادَكَ منَ الجَهالَةِ وحيرَةِ الضَّلالَه**"[٤٥١]، فلقد انطلق الامام الحسين عليه السلام من موقع مسؤوليته في هداية الأنام، فأعذر إنذاراً ونصح جهاراً، ولكنهم أبوا الّا عدواناً وظلما، بل وأصروا على أن يتخلّى الامام الحسين عن مبدأه مبايعاً الطاغية، أو يقتلوه وأهل بيته واصحابه عتواً وطغياناً تجاهلاً لمقامه ونسبه الشريف، وإنكارا ليوم المعاد واستخفافاً بالحساب والعقاب.

إن المؤمن بحقيقة تلك الظلامة يقف متوجهاً في زيارته لمرقد الامام الحسين عليه السلام مقراً بمنزلته ومتألماً لمصابه مخاطباً حضرته بمفردات تدلُّ على هذا المعنى فيقول: "**لَقَدْ عَظُمَت الرَّزِيَّةُ وجَلَّت الْمُصيبَةُ بِكَ علَينَا وعلَى جميعِ أَهلِ السَّمٰوات والأَرضِ، فَلَعن الله أُمَّةً أَسرجتْ وأَلْجمتْ وتهيَّأَت**

---

[٤٥٠] ينظر: تاريخ ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج٣، ص٨٢.
[٤٥١] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٦٨.

لقتالك....."[٤٥٢] فإيمان المؤمن بمبدأ المعاد والحساب الأخروي من أهم عوامل تسَلية النفس عن جمرة مصابه بإمامه وأهل بيته وأصحابه الكرام، فتراه يكثّف دعاءه وطلبه من الله تعالى متضرعاً أن ينتقم من تلك الزمرة الظالمة والمجرمة بحقِ أهل بيت النبوة، ويطلب لعن تلك العصابة التي سفكت تلك الدماء الطاهرة وطردها من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة بإذاقتهم العذاب المقيم خالدين فيها، وهو ما نقرأه في زيارة ليالي القدر المباركة (**لَعَنَ اللهُ الظّالمين لَكُمْ من الْاَوَّلين والاْخرين وضاعف عليهم الْعذاب الاَليم**)[٤٥٣]، وهذه الدعوات تكشف عن ضرورة الاعتقاد بالمعاد والايمان بيوم الحساب، ولولا هذا الاعتقاد لكان تلفظ تلك العبارة إما لغواً وإما لا موجب عقلي أو داعي شرعي للنطق بها من الأساس، فمن أقترف هذه الجريمة الكبرى وأحدث تلك الرزية العظمى هم ممن أستولى الشيطان على قلبه، وأمتلأ قلبه من حب الدنيا وزخرفها مما أنساه عذاب الآخرة وجحيمها، وهو ما يتأمله الزائر حين يقرأ هذا النص من الزيارة: "**وقَدْ تَوازَر عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا وباعَ حَظَّهُ بالاَرْذَلِ الادْنى وشَرى آخرَتَهُ بالثمنِ الاوْكسِ وتَغَطْرس وتَرَدّى في هواه وأَسْخَطَكَ وأَسخَطَ نَبيَّك وأَطاع من عبادك أَهْلَ الشّقاقِ والنّفاقِ وحملَةَ الاوزارِ المستوْجبين النّار**"[٤٥٤]، فإن الإمام الحسَين عليه السلام مَنح النصح للناس وللمؤمنين سواء في السر أم في العلانية، كما ورد في زيارة الجامعة "**ونصحتم له في السر والعلانية**"، والمراد بالسر يعني النصح الخاص الذي ينفرد بصحابه من دون إعلام الغير، والهداية بما فيه تزكية النفس وتهذيبها في سبيل الله تعالى، وفي العلانية يعني: معاملته مع الناس باعترافهم بالعبودية له تعالى، وتعليمهم سبيل عبوديته. فالإمام الحسين عليه السلام أرشدهم ونصحهم إلى عبودية الله تعالى وشرائع دينه، والحث على نفي الأنداد والشرك في مواقف وخطب كثيرة؛ لكي ينقذهم من دخول النار وينجيهم من استحقاق العذاب الأليم، راجياً هدايتهم وتحريضهم

---

[٤٥٢] مصدر نفسه، ص٤٤٥.
[٤٥٣] مصدر نفسه، ص٤٦٠.
[٤٥٤] مصدر نفسه، ص٥٦٨.

على طاعة الله عزّ وجل وطاعة رسولهﷺ حتى اللّحظات الأخيرة من حياته عليه السلام كان ناصحاً للأُمة بخطبه المباركة.[٤٥٥]

وتارة يدعو المؤمن ربه أن يرزقه صحبة هذه الثُلّة الطيبة في دار الآخرة حيث مقامهم الكريم عنده جل وعلا حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت بذلك النعيم المقيم كما ورد في نفس الزيارة (**وأَنْ يجْعلَني معكُمْ في ٱلدُّنْيا وٱلآخرة.. وانْ يُثَبِّتَ لي عنْدكُمْ قَدَم صدْق في الدُّنْيا والاخْرة**)، فكما كان المؤمن معهم متشبها بأخلاقه وعقيدته في دار الدنيا يرجو أن يكون معهم وتتجسم أعماله بأبهى صور الخير في الآخرة، والمؤمن يشعر بيقين أن هذا الامام هو السبب في هدايته واستقامته وما يناله بفضل ولائه من خيرٍ كثيرٍ في الآخرة؛ فلذا يواصل هذا الزائر دعاءه لإمامه بالخير والرفعة ويدعو على أعدائه بالانتقام والعذاب الأليم فيقول: "**اللهم فأجزه خير جزاء الصادقين الأبرار، ولقاتليه العقاب، فقد قاتل كريماً وقُتِل مظلوماً ومضى مرحوما، ...وارفعه من شرف رحمتك في شرف المقربين**"[٤٥٦]. فثأر الامام الحسين عليه السلام قد تكفّل به الله تعالى وأوكله الى خليفته والقائم بأمره وهو الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام، ولذا ورد في نصوص زيارة وارث لقب ثأر الله وابن ثأره كما ورد: "**السَّلام عَلَيكَ يا ثَار الله وَابن ثَارِه والْوتْر الْموتور**"[٤٥٧] فالثأر هنا بمعنى الدم ومع نسبته للمولى عزوجل يعطي مفاد اختصاص الثأر لدمه الشريف بالله تعالى، وأن من سفك دمه الطاهر كأنما هزّ عرش الله سبحانه. إن معنى (ثأر) لغةً هو: الطلب بدم المقتول[٤٥٨]، وقد دلّت الروايات المعتبرة أن الإمام الحسينعليه السلام هو (ثأر الله في الأرض) وقد دعا الله الخلق إلى الأخذ بثأر الإمام الحسينعليه السلام وقال إنه المنتقم لهذا الدم[٤٥٩].

---

[٤٥٥] ينظر: مهدي تاج الدين، النور المبين في شرح زيارة الأربعين، ص١٢٨-١٢٩.
[٤٥٦] محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٢٥.
[٤٥٧] عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٤٤٥.
[٤٥٨] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج ٨، ص٢٣٦ (ماده ثار)؛ والزبيدي، تاج العروس، ج ٦، ص ١٣٨.
[٤٥٩] ينظر: ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، ص ٢١٨.

وفي دراسة معاصرة يربطُ فيها بين ثأر الله ومفهوم الثورة، فقد ذكر كاتبها أن: مفهوم (الثورة) و(الثأر) و(الوراثة) هي قصة بداية التاريخ، يعني أنَّ الثأر الأول (هابيل)، ومن ثم آخر الزمان يعني تحقق الثأر والانتقام العالمي على يد المصلح الأكبر، وهذا ما يفسر (فلسفة تاريخ الإسلام) بالمنظور الشيعي[٤٦٠]، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو الوارث لهذا الدم الشريف، فهو بتضحيته يكون سبباً في خلاص الشعوب من الظلم والاستبداد على بد حفيده القائم عجل الله فرجه، ويتم هذا الأمر ضمن منظور الحكمة القائلة: "حتمية انتصار دم المظلوم على سيف الظالم"، وإن كانت للظالم جولة فيكون للحق دولة.

خلاصة المبحث

ظهر مما تقدم أن أهم تجلّي عقدي وأظهره من نصوص الزيارة الحسينية هو انجلاء عقيدة التوحيد الإلهي بأروع صورها وأخلصها نصاعة، فالمتأمل لنصوصها بعقل واعي يجد تطابقاً مع ما قررته العقيدة الإسلامية من أصل التوحيد وصفات الذات المقدسة، وهذا انما يدل على صحة صدورها وأنها مدرسة عقدية غايتها التوحيد، وهداية الناس الى صراط مستقيم.

عندما يثبت تحقق هذا الأصل العقدي الأصيل فقد مهد لإثبات بقية أصول الدين الإسلامي من العدل الإلهي تشرفاً بالنبوة المحمدية الخاتمة وملازمتها الإمامة والخلافة الحقّة في الأرض، حيث شغلت مساحة كبيرة من نصوص الزيارة الحسينية، وكانت لها أهمية كبيرة تناظر أهمية ذكر عقيدة التوحيد، وحنى تصل النوبة الى إثبات حقيقة المعاد والحساب الأخروي الأكبر، وما يسبقه من عقيدة الرجعة والاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وممن رضي بفعلهم وناصب شيعته العداوة والبغضاء؛ لأجل تحقيق حلم الأنبياء والمرسلين بقيام دولة الحق المطلق التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد الظلم والجور.

---

[٤٦٠] ينظر: على شريعتي، الحسين عليه السلام وارث آدم، ص ٢٣٧.

كما دلّت نصوص الزيارة على ضرورة الاعتقاد بجميع الأنبياء والمرسلين من خلال خصهم بالسلام تارة، وتارة بالإشارة الى وراثة الامام الحسين المعنوية لمقامهم القربي من الله تعالى وقيادتهم للناس وخلافتهم في أرضه بأمر الله تعالى.

ثم ختمت دلالة الزيارة بتجلّيات عظيمة أشارت الى ثمرة الإيمان ومهجة الاعتقاد بالله تعالى وحقيقة أنبيائه التي تتمثل في عقيدة المعاد وضرورة تذكّر الآخرة من خلال الانتقام من قاتلي الإمام الحسين ولعن ظالميه عليه السلام بأنواع العذاب الأليم، والتضرع الى الله تعالى ان يحشر الزائر مع الصالحين في جنات النعيم بشفاعة اوليائه المنتجبين.

والحمد لله ربِ العالمين والصلاة على نبيه الأكرم وعلى آله الطاهرين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، ط١ (بغداد-١٤٢٨هـ).

١. إبراهيم تمبو، موسوعة حياة المستبصرين، القسم العقائدي، مكتبة أهل البيت (ع).
٢. ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت-٦٢٠هـ)، الكامل في التأريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ط٣(القاهرة-١٩٨٢م).
٣. ابن دريد، محمد بن الحسن بن عتاهية اليزدي (ت-٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين للطباعة، ط(بيروت-١٩٨٢م).
٤. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، محقق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. ابن فارس، أحمد أبو الحسين بن زكريا القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ٢.
٦. ابن قولويه، جعفر بن محمد القمي، كامل الزيارات، تصحيح: عبد الحسين الأميني، النجف - العراق، دار المرتضوية، ١٣٥٦ ش.
٧. ابن منظور، محمد ابو الفضل جمال الدين بن مكرم المصري (ت-٧١١هـ)، لسان العرب، دار ادب، ط (قم المقدسة- ١٤٠٥هـ).
٨. ابن منظور، محمد ابو الفضل جمال الدين بن مكرم المصري (ت-٧١١هـ)، لسان العرب، دار ادب، ط (قم المقدسة- ١٤٠٥هـ).

٩. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط (القاهرة-٢٠٠٦م).
١٠. أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.
١١. أبو الفرج علي بن الحسين الأموي القرشي الأصفهاني ت(٢٨٤هـ)، الأغاني، تحقيق: د. علي عباس، دار صادر للطباعة، بيروت .
١٢. أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق بن النديم البغدادي ت (٣٨٤هـ)، الفهرست، تحقيق: أبراهيم رمضان، دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٩٩٧ م.
١٣. أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (القرن الثالث الهجري)، بصائر الدرجات، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة-١٤٠٤ هـ.
١٤. أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج على أهل اللجاج (ق٦هـ)، نشر: دار الشريف الرضي، مطبعة شريعت، ط١ (قم المقدسة-١٣٨٠هـ).
١٥. أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة، المكتبة المصرية للطباعه- القاهرة.
١٦. احمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (١٦٤-٢٤١هـ)، مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ط١ (بيروت-١٤١٩هـ).
١٧. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار المعارف، ط (بيروت-١٤١٠هـ).

١٨. الأصفهاني، الراغب الحسين أبو القاسم بن محمد (توفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
١٩. الأعسم، الشيخ عدي، علم السؤال، طبعة غير منقحة، بلا مكان، ٢٠٠٤م
٢٠. الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله شهاب الدين (ت-١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، طبع ببيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.
٢١. الامام خالد التلمودي، الحوار في القرآن، مجلة منارة الدعوة، بتاريخ ٢٠١٧-٦-١، مقال.
٢٢. الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، موسوعة الأعلمي، ط٢ (بيروت-١٤١٢هـ).
٢٣. بارسانيا، د. الشيخ حميد، العوالم الاجتماعية، ترجمة: محمد ترمس، مراجعة: الشيخ محمد حسن زراقط، دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى (بيروت-١٤٤٢هـ).
٢٤. باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: دراسة وتحليل، تحقيق مهدي باقر القرشي. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ط٢، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
٢٥. المجلسي، العلاّمة محمد باقر، بحار الأنوار، نشر: مؤسسة الوفاء / الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م / بيروت . لبنان.
٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت- ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير من التفسير، الدار التونسية للنشر، طبعة (تونس – ١٩٨٤م).

٢٧. الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاّتي، نشر : مؤسسة إسماعيليان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٢ هـ / قم . إيران.
٢٨. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، المحقق: محمود شاكر أبو فهر، الناشر: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ط١ (القاهرة-١٩٩١م).
٢٩. جعفر عباس حاجي، فقه فلسفة كينونة السؤال وسؤال السؤال، دار الولاء للطباعة، ط١ (بيروت-٢٠١٤م).
٣٠. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.
٣١. الحسن أبو محمد بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي ت(٣٣٦هـ)، تحف العقول عن آل الرسول، تقديم: حسين الاعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي-بيروت.
٣٢. الحسين أبو القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٣٣. السيد حسين الطبطبائي البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، لمطبعة العلمية قم ١٤٠٧، مكتبة أهل البيت.
٣٤. حميد بارسانيا، العوالم الاجتماعية، ترجمة: دكتر محمد ترمس، مراجعة: الشيخ محمد حسن زراقط، دار المعارف الحكمية، ط١ (بيروت-٢٠٢٠م-١٤٤٢هـ).
٣٥. الحيدري، السيد كمال، مقدمة في علم الأخلاق، التنضيد والإخراج الفني: افتخاري منشورات: دار فراقد الطبعة الثانية: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، المطبعة: ستاره.

٣٦. خاتمة المستدرك، المحدث النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥ هـ / قم . إيران.
٣٧. د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، منشورات عالم المعرفة، ط (الكويت–١٩٩٨م).
٣٨. دكتور فاضل صالح مهدي السامرائي، نبوة محمد من الشك الى اليقين، تقديم: دكتور عبد الكريم زيدان، مكتبة القدس– بغداد.
٣٩. دلائل الإمامة / محمد بن جرير الطبري الشيعي / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / نشر مؤسسة البعثة / الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣ هـ / قم . إيران.
٤٠. الدماميني، محمد بن أبي بكر (ت–٨٢٨هـ)، شرح الدماميني على مغني اللبيب، تعليق: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، ط١ (بيروت–١٤٢٨هـ).
٤١. الديلمي، الحسن بن أبي الحسن محمد (ت–٧٥٥هـ)، ارشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، الناشر: دار الأسوة، الطبعة الثانية (ايران–١٤٢٤هـ).
٤٢. الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين (ت–٦٠٤هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر للطباعة، ط١(بيروت–١٤٠١هـ).
٤٣. رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ت(٦٦٤هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان، مطبعة أنوار الهدى، ط١ (قم المقدسة–١٤١٧هـ).
٤٤. رياض العلماء وحياض الفضلاء / الميرزا عبدالله الأفندي / تحقيق السيد أحمد الحسيني / طبع سنة ١٤٠١ هـ / قم . إيران.

٤٥. الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر (ت-٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل احمد وآخرون، مكتبة العبيكان، ط١(الرياض- ١٤١٨هـ).

٤٦. الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت- ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (بيروت-١٩٩٨م)، مجلدان.

٤٧. زيد الشهيد / للسيد عبدالرزّاق المقرم / نشر: انتشارات الشريف الرضي / الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١ هـ / قم . إيران.

٤٨. الساعدي، الشيخ نوري حاتم، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام-نشر: الغدير للدراسات / الطبعة الثانية، سنة ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م / بيروت . لبنان.

٤٩. الزيدية / أحمد صبحي / نشر: منشأة المعارف / طبع سنة ١٩٨٠ م / الإسكندرية . مصر.

٥٠. السحمراني، أسعد، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، المؤلف: السحمراني، أسعد القرن: ١٥ الناشر: دار النفائس مكان النشر: بيروت سنة النشر: ١٤٠٨ الهجري.

٥١. سليمان بن الشيخ ابراهيم الحسيني القندوزي، ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي، ط١(بيروت-١٤١٠هـ).

٥٢. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، نشر: دار التعارف للمطبوعات، طبع سنة- ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م (بيروت- لبنان).

٥٣. الصدر، السيد محمد محمد صادق، شذرات من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، تقرير: اسعد الناصري، مطبعة أنصار الامام الحسين عليه السلام- النجف الاشرف.

٥٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت-٩١١هـ)، الناشر دار الفكر، ط (بيروت-١٤٣٢هـ)، ٨ مجلدات.
٥٥. الشابندر، غالب حسن، إستراتيجية السؤال -رؤية قرآنية -, دار الهادي للطباعة، ط١ (بيروت-١٤٢٥هـ).
٥٦. شريعتي، علي، الحسين وارث آدم، ترجمة ودراسة وتعليق: د.إبراهيم دسوقي شتا، مراجعة: حسين علي شعيب، بيروت - لبنان، مؤسسة الأمير للثقافة والعلوم، ط ٢، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٥٧. الشهيد زيد بن علي / السيد محسن الأمين / نشر: دار المرتضى / الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م / بيروت . لبنان.
٥٨. الشيخ آملي، جواد، الانسان والدين، ترجمة: عبد الرحيم الحمراني، مكتبة طريق المعرفة، ط١(النجف الاشرف -٢٠٠٩م).
٥٩. الشيخ جعفر التستري، خصائص الحسين عليه السلام ومزايا المظلوم (الخصائص الحسينية)، حرره وحققه: السيد جعفر الحسيني، المكتبة العقائدية.
٦٠. الشيخ حسين آل راضي، رئيس التوابين- سليمان بن صرد الخزاعي، نسخة الكترونية على موقع الإشعاع الإسلامي للبحوث والمقالات الاسلامية.
٦١. الشيخ رافد التميمي، زيد بن علي (عليه السلام)، تقديم: الشيخ محمد الحسون- مركز الأبحاث العقائدية- الصفحة على الانترنت .site.aqaed.com/Mohammad.
٦٢. صابري، حسين، ١٣٨٤، تاريخ فرق اسلامي، طهران، سمت.
٦٣. صدر الدين محمد الملا صدرا الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٦٤. الصدر، السيد محمد باقر الموسوي، فلسفتنا، دار الكتاب الاسلامي الطبعة: الثالثة ١٤٢٥ هـ. ق / ٢٠٠٤ م المطبعة: مطبعة الأمير.
٦٥. الصدر، السيد محمد باقر، الأسس المنطقية للاستقراء، طبعة المؤتمر العالمي للإمام الصدر، ١٤٢٦ هـ. ق.
٦٦. الصغير، د. محمد حسين علي، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، ط١ (بيروت–١٩٩٩م).
٦٧. الطبرسي، الفضل ابو علي بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، ط١(بيروت–١٤٢٧هـ).
٦٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (المتوفى: ٣١٠هـ)، تأريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث – بيروت الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ عدد الأجزاء: ١١.
٦٩. الطبري، محمد بن جرير،١٤٠٧هـ ق، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية.
٧٠. الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١ (بيروت–١٤١٧هـ).
٧١. الطريحي، فخر الدين بن محمد علي النجفي (ت–١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، ط١ (بيروت–١٤٢٨هـ)
٧٢. طه حسين، الفتنة الكبرى، جزءان، مطبعة الهنداوي، القاهرة–٢٠١٢م.
٧٣. الطوسي، محمد بن الحسن ابو جعفر (ت–٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، تقديم: اغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي، ط(بيروت–بلا)

٧٤. الطوسي، محمد بن الحسن ابو جعفر (ت-٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، تقديم: اغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي، ط (بيروت-بلا).
٧٥. عباس القمي، مفاتيح الجنان، تقديم: السيد محمد رضا النوري، دار اليوسف، بيروت.
٧٦. عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الأعلمي للطباعة، ط١ (بيروت-١٤١٤هـ).
٧٧. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، الناشر: وكالة المطبوعات، الطبعة الثالثة (الكويت-١٩٧٧م).
٧٨. عبد الرزاق المقرم الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ترجمة المؤلف: السيد محمد حسين المقرم، مؤسسة الخرسان للطباعة، ط (بيروت-لبنان).
٧٩. عبد الله جواد الآملي، كتاب الحج (تقرير بحث المحقق الداماد)، مكتبة أهل البيت.
٨٠. العتابي، الشيخ ليث، جدلية الايديولوجي والمعرفي، دار القارئ للطباعة، ط١، لبنان، ١٤٣٨هـ.
٨١. عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، نشر جامعة بغداد، مطبعة الارشاد، ط١ (بغداد-١٩٦٧م).
٨٢. العريضي، الشيخ حيدر، الأسلوب القرآني في التنمية العقدية (السؤال المجازي انموذجاً)، الناشر والإخراج: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للدراسات الاسلامي، الطبعة الأولى (النجف الأشرف-١٤٤٠هـ). كتاب من أصل رسالة ماجستير صادرة من جامعة المصطفى العالمية٠ قم المقدسة.

٨٣. أحمد بن علي بن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني / نشر: المطبعة الحيدرية / الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م / النجف . العراق

٨٤. العلاّمة الأميني، عبد الحسين، موسوعة الغدير، نشر: دار الكتاب العربي / الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م / بيروت . لبنان.

٨٥. عمرجي، أحمد شوقي إبراهيم، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، القاهرة، مكتبة مدبولي.

٨٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ٩مجلد، نشر الهجرة – قم، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ.

٨٧. الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، تصحيح: مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي، قم – إيران، هجرة، ١٤١٠ هـ.

٨٨. الفضل ابو علي بن الحسن الطبرسي (ت– ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى لطباعة، ط١(بيروت– ١٤٢٧هـ).

٨٩. الشيخ الطوسي، الحسن بن يوسف، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، نشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧ هـ / قم . إيران.

٩٠. محمد تقي التستري، قاموس الرجال، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٠ هـ / قم . إيران.

٩١. القندوزي، سليمان بن الشيخ ابراهيم الحسيني، ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي، ط١ (بيروت–١٤١٠هـ).

٩٢. الكاشاني، الملا فتح الله بن شكر الله (ت-٩٨٨هـ)، زبدة التفاسير، تحقيق مؤسسة المعارف، مطبعة عترت، ط١(قم المقدسة-١٤٢٣هـ)
٩٣. الغفّاري، عبد الرسول عبد الحسن، الكليني والكافي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦ / قم . إيران.
٩٤. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.
٩٥. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة / الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٥ هـ / قم . إيران.
٩٦. الصدوق، محمد أبو جعفر بن بابويه ت(٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ط١ (قم المقدسة-١٤١٧هـ).
٩٧. الطبري، محمد أبو جعفر بن جرير ت (٣١٠هـ)، تأريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرف، ط٢ (مصر-بلا).
٩٨. محمد الطاهر بن عاشور ت(١٢٩٦هـ)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس- ١٩٨٤م.
٩٩. المجلسي، محمد باقر المولى (ت-١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، نسخة محققة، دار احياء الكتب الاسلامية، ط٢ (قم المقدسة-١٤١١هـ).
١٠٠. المجلسي، محمد باقر المولى (ت-١١١١هـ)، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول، تصحيح: السيد هاشم الرسولي، دار الكتب الاسلامية، ط٣ (طهران-١٤١٢هـ).
١٠١. النيسابوري، محمد بن الفتال ت(٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: مجتبى الفرجي، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، ط٢ (قم المقدسة-١٤٣١هـ).

١٠٢. الطبري، محمد بن جرير معروف الحرستاني، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د بشار عواد، دار الرسالة للطباعة، القاهرة-١٩٩٢م.
١٠٣. ابن المشهدي، محمد بن جعفر المعروف المتوفى سنة:٦١٠هجرية، المزار الكبير، الطبعة الأولى سنة: ١٤١٩ هجرية، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم/إيران.
١٠٤. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت(٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تقديم وتحقيق: عبد العزيز الوكيل، طباعة مؤسسة الحلبي، ط (القاهرة-١٣٨٧هـ).
١٠٥. النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم أبو عبد الله، مستدرك الصحيحين، قسم: القسم العام، اللغة: العربية. الناشر: دار الكتب العلمية.
١٠٦. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري فخر الدين ت(٥٤٤هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ٣٢ مجلد دار الفكر، ط١ (دمشق -١٩٨١م).
١٠٧. المفيد، محمد بن محمد النعمان ابن المعلم العكبري ت(٣١٤هـ)، الأمالي، تقديم: علي أكبر غفاري، مطبعة دار المرتضى، بيروت.
١٠٨. محمد تقي المجلسي (ت-١٠٧٠هـ)، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، تحقيق: أحمد الأحسائي، الناشر: دار الكرامة للطباعة والنشر. قم المقدسة، الطبعة: الأولى ١٤٣٣ هـ. ٢٠١١ م.
١٠٩. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، لناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- ط٢ (بيروت- ١٤١٧هـ).

١١٠. محمد صالح المازندراني ت-١٠٨١هـ، شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط١-١٤٢١هـ.
١١١. محمود بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- ط٢-بيروت:١٩٩٥م.
١١٢. مرتضى الشيخ المطهري، العدل الالهي، ترجمة: محمد الخاقاني، شبكة الفكر الإسلامي.
١١٣. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧ م / قم . إيران.
١١٤. محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، نشر: دار الكتب الإسلامية / طبع سنة ١٤٠٤هـ / طهران . إيران.
١١٥. المطهري، الشيخ مرتضى الشيخ محمد حسين (ت-١٩٧٩م)، سلوك وأخلاق الإسلام، نشر: مؤسسة تراث الشهيد مطهري، دار الارشاد للطباعة، الطبعة الأولى (بيروت-١٤٣٢هـ).
١١٦. المطّهري، الشيخ مرتضى، الله في حياة الإنسان، غبيري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان بيروت - الطبعة الثالثة (١٩٢٧هـ - ٢٠٠٩ م).
١١٧. المطهري، مرتضى الشيخ محمد حسين(ت-١٩٧٩م)، أنواع معرفة العالم -الإنسان والحياة-، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، موقع: مكتبة المعارف للكتاب المسموع.
١١٨. السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة / سنة ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م.

١١٩. أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: المكتبة الحيدرية، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٣ هـ / قم . إيران.

١٢٠. الملا حبيب الله الشريف الكاشاني (١٣٤٠هـ)، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث، تحقيق: نزار الحسن، نشر: شبكة رافد للتنمية الثقافية– قم المقدسة.

١٢١. الموفق الخوارزمي ت(٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مطبعة سيد الشهداء، ط٢ (قم–١٤١٤هـ) .

١٢٢. ميرزائي، نجف علي، فلسفة مرجعية القرآن المعرفية في انتاج المعرفة الدينية، ترجمة: د، دلال عباس، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط١ (بيروت–٢٠٠٨م).

١٢٣. ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الكتب الإسلامية، ط٢ (قم المقدسة= ١٤٣٣هـ).

١٢٤. علي بن الحسين الشريف المرتضى، الناصريات، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، نشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طبع: سنة ١٤١٧ هـ / طهران . إيران.

١٢٥. عبدالله المامقاني، مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى . سنة ١٤١١ هـ / قم . إيران.

١٢٦. نوري، حاتم، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، قم، مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي، ١٣٨٤.

١٢٧. وردة كحيل، السؤال في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماستر، الجامعة الاسلامية، غزة–١٤٣٠هـ.

١٢٨. اليزدي، محمد تقي المصباح، تحديات ومواجهات، دار الهادي للطباعة، الطبعة الاولى، بيروت–١٤٢٧هـ.

المقالات

١. حسني إبراهيم عبد العظيم، الفكر الاجتماعي في الحضارة اليونانية ١/٤، الحوار المتمدن-العدد: ٥٠٥٣ - ٢٠١٦ / ١ / ٢٣ - المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات.

٢. د. بغريش ياسمينة، "محاضرة المدخل إلى علم الاجتماع"، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ٢، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٧/٥.

٣. ديمة صالح، تعريف علم الاجتماع، تدقيق: أسيل حماد، ١٩ أغسطس ٢٠٢١، موقع موضوع الالكتروني.

٤. سماح عادل، علم نفس-٥-، رؤية العلماء لسلوك الإنسان، مدارس السلوك الانساني، موقع كتابات الالكتروني، https://kitabat.com/cultural.

الجبوري، عماد الدين، رحلة مع الفلاسفة في نظرية المعرفة، القسم الرابع، مقال على موقع الاندبندنت عربي، https://www.independentarabia.com/.

٥. عبد الرحيم حمدان، بنية الاستفهام في سورة «ص»، موقع ديوان العرب الالكتروني، في ١٣ تموز ٢٠١٣م.

٦. منيرة فاعور، الاستفهام المجازي في كتاب (الصاحبي) لابن فارس، مجلة مشكاة الفصيح، موقع الكتروني، في ٢٠٠٥/١٠/١٤م.

المواقع الالكترونية

١. https://ar.wikipedia.org/wiki

٢. https://search-academy.com/index.php

٣. https://ar.wikipedia.org/wiki/ كانط